

علوم اللب^{لغة} البيان والمعاني^{لغة} والبدیع

تأليف
أحمد مصطفى المراغی

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
لِدَارِ الْكِتَابِ الْعِلْمِيِّ
بَبُيُوت - لُبْنَان

مَزِيدَةٌ وَمُنْقَحَةٌ وَمُخْرَجَةُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

الطَبْعَةُ الثَّالِثَةُ

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيِّ بِبُيُوت - لُبْنَان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تَلَكُس: Le 41245 Nasher

هَاتِف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فَاكْس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١ - ٠٠

المقدمة

حمداً لك اللهم ، بك المعونة والتوفيق ، ومنك الهداية لأقوم طريق ، اذا
أظلمت الشبهات ، في دجنة الخطوب المدلهات ، وبفضلك نطلب يقيناً يلاً الصدر ،
ويستولي على زمام القلب ، ويكبت سورة النفس ، فيردها عن غيها ، ويكبح
جراح شهواتها ، فإنك الملجأ والنصير والمعين ، وصلاة وسلاماً على محمد عبدك
ورسولك الذي آقيته الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ وألهمته
الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من
أهل الزور والبهتان .

وبعد - فإن موضع علوم البيان من علوم العربية ، موضع الرأس من الإنسان ،
او اليتيمة من قلائد العقيان ، فهي مستودع سرها ، ومظهر جلالها ، فلا فضيلة
لكلام على كلام ، إلا بما يحويه من لطائفها ، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ،
ولا تبرز لتكلم على آخر ، إلا بما يحوكه من وشيها ، ويلفظه من درها ، وينفته
من سحرها ، ويخفيه من يانع ثمرها .

إلى أن بها نعرف وجه إعجاز القرآن ، وندرك ما فيه من خصائص البيان ،
ونفهم براعة أسلوبه ، وانسجام تأليفه ، وسهولة نظمه وسلامته ، وعذوبته
وجزالاته ، الى أمثال تلك المحاسن التي أسالت على العرب الوادي عجزاً ، حتى
حارت عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم ، حتى اضطر ذلكم
المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته المأثورة :
« والله إن لكلامه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفل لمغدق ، وإن أعلاه
لمورق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما هو بقول البشر ، فالجاهل بأسرارها ،

والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الإعجاز إلا بالتقليد ،
ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء في قضية النظر ، هو والزنجي والبربري ،
والفارسي والنبطي ، إذ كل أولئك يتلقونه سماعاً ، ويصل إليه علمه مشافهة .

مما تقدم تعلم جليل خدورها ، وعظيم منزلتها ، وأنها لا تدانيها منزلة علم آخر
من علوم العربية ، فلا غرو إذا اتجهت هم العلماء والباحثين في مختلف العصور
الى التأليف فيها ، وبسط القول في بيان مغازيها ومراميها ، وقد رأينا أن ندلي
دلونا بين الدلاء ، ونضرب بسهم في هذا الميدان ، والله ولي التوفيق ، والهادي
لأقوم طريق .

أحمد مصطفى المراغي

نبذة في تاريخ علوم البيان ...

١ - الحاجة الى وضع قواعدها

(أ) اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهيبها وتطاير شررها الى جميع أنحاء البلاد الإسلامية ردماً من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن ، واختلفوا في ذلك طرائق قدداً ، وتفرقوا أيدي سبا ، وتعددت نزعاتهم ، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور في زبر المتكلمين كالمواقف لمعضد الدولة ، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني .

وكان الرأي الآفن من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأي إبراهيم النظام صاحب المذهب الذي ينسب اليه (مذهب الصرفة) إذ قال : إن القرآن ليس معجزاً بفصاحته وبلاغته ، وإن العرب كانوا قادرين على أن يأتيوا بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقاً لنبيه ، وتأييداً لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه ، فانبرى الرد عليه جم غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني ، وإمام الحرمين ، والفخر الرازي ، وناضلوا نضالهم الحمود الذي خلد لهم في بطون الأسفار فكتبوا الفصول الممتعة مبينين خطئ رأيه وفساد مذهبه ، بما أملت عليه قرائنهم الوقادة ، وأفكارهم النقادة ، حتى لم يبق في القوس منزع ، ولا زيادة لمستزيد .

(ب) كذلك قامت سوق نافقة للحجاج والمناظرة ، بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر الجاهلي ، الذين رأوا أن الخير كل الخير في المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم في حل من كل قديم ، لا يشاكل بيئة

الحضارة التي عُذوا بلبانها ، وربوا في أحضانها ، ولم يكن الغرب ليحلموا بها من قبل ، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدنية ، وطرائف لطائفها ، لكان لهم شأن في آدابهم ، ومميسع في أساليبهم غير شأنهم هذا .

(ج) أضف الى تلك الضوضاء وذلك اللجج ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه ، في بيان وجود تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة ، وينال قسطه من الفصاحة ، وتناقضت آراؤهم في ذلك أيما تناقض ، ففريق مال الى رصين الكلام الجامع بين المذوبة والجزالة ، وفريق أولع بالمنطق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشد الى ذلك ما تراه في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكثير عزة بأنها مونقة خلاصة في لفظها ، لكنك اذا فتشتها وبجشت عن ذات نفسها لم تحل منها بطائل ، وهي :

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومستح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا	ولم ينظر القادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطي الأباطح

ثم ما تجده في كتاب « الصنائع » ، لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قتيبة واتهام ذوقه ، ووافقه على نقده أبو الفتح بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتاب « الخصائص » ، والإمام عبد القاهر في « أسرار البلاغة » ، وأطال الإطراء لثالثها الى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن .

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة الى أن يضصوا قوانين وضوابط يتعاطون اليها عند الاختلاف ، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب ، منشورها ومنظومها ، ونشأ من ذلك البحث في علوم البيان ، أو علوم البلاغة .

٢ - أول من دونها

لا نعلم أحد سبق أبا عبيدة معمر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٢١١ هـ . فقد وضع كتاباً في علم البيان سماه « مجاز القرآن » ، لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد ، بل هو أشبه بكتاب

في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية ، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله عز وعلا : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ (١) ، فقال : هو مجاز كقول امرئ القيس : « ومسنونة زرق كأنياب أغوال » .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكتاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ إمام الأدباء وسultan المنشئين في عصره ، والقُدوة في أساليبه التي اختص بها ، وتحدها فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار الى مسائل منه في كتابه « إعجاز القرآن » وعني في كتابه « البيان والتبيين » بدرس بعض القواعد التي كثر ولوع القوم بها في عصره ، كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن الاسجاع ، ثم قفاه ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » والمبرد في كتابه « الكامل » فتعرضا لبعض تنف من هذه العلوم .

وغني عن البيان أن المتكلمين بداءة ذي بدء في أي فن من الفنون لا يحيطون بأطرافه ، ولا يتغلغلون في استقصاء مباحثه .

لكننا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبدالله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات ، وألف كتاباً سماه « البديع » ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع ، الى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ، ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليعمل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن اليه فله اختباره » .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ، ثم ألف معاصره 'قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً في نقد الشعر سماه « نقد قدامة » ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعاً .

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

تلاهذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله المسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وألف كتابه «الصناعتين» صناعتى النثر والنظم، جمع فيه خمسة وثلاثين نوعاً من البديع، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والإيجاز والإطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب في نقد الشعر، إلى غير ذلك من جليل المباحث.

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه إلى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

٣ - رقى هذه العلوم بتأليف الامام عبد القاهر

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطن، ونابغة البلغاء، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذي نظر بمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا تنقلاً مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع فشرع عن ساعد الجد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملى في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على اليقاع، وقرن فيها بين العلم والعمل، إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حتى تتمثل، ولا تنجلي حقيقتها تمام الإنجلاء.

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة البيان، وما تجلّى به قلمه من الطلاوة الخلافة، والبلاغة الساحرة للألباب.

٤ - الامام جاز الله الزمخشري

نبغ إثر عبد القاهر أستاذ المفسرين، جاز الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره «الكشاف» نحاً فيه نحو الفرض المقصود من تفسير التنزيل، وهو إظهار أسرارهِ، وشرح وجه إعجازه، ببيان وفاء دلالاته على المراد، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها، حتى بلغ هذه المرتبة، وحتى تحدى البشر بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وغني عن البيان أنه لن يصل الى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سليمة ،
ورأياً حقيقياً ، وفكراً ثاقباً ، وبرهاناً ساطعاً ، وقلماً أطلوع له من بنانه حتى
يتاح له بواضح البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ولطائف
الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا أبان في 'عرض كلامه كثيراً من
قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعد ، دستوراً للكلام في كثير
من مسائلها .

٥ - أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي ، المتوفى سنة
٦٢٦ هـ وألف كتابه 'مفتاح العلوم' ، وجمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه
الأئمة قبله في هذه الفنون ، ونظم لآلئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم ، وأحاط
بكثير من قواعدها المبعثرة في الأمهات ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها خير
تبويب ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الاطلاع
على علوم المنطق والفلسفة .

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم
مع ما بينها من 'بعد الدار' ، وشط المزار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات ،
لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون ، لجمعه شتاتها ، وضمه ما تفرق
من قواعدها .

وقد اختصر مؤلفه في كتاب آخر سماه 'التيان' ، ولخصه بعض المتأخرين
في أمهات مشهورة ، كما فعل ابن مالك في كتابه 'المصباح' ، والخطيب جلال الدين
محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في كتابيه 'تلخيص المفتاح' ،
و 'شرح الإيضاح' ، والأخير مؤلف جليل ، جمع فيه مؤلفه خلاصة 'المفتاح' ،
و 'دلائل الإعجاز' ، و 'أسرار البلاغة' ، و 'درر الفصاحة' لابن سنان الخفاجي .

٦ - الوزير ضياء الدين ابن الأثير

بينما السكاكي يؤلف كتابه 'مفتاح العلوم' ، اذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح
نصر بن محمد الموصلبي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه ، جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شاردة ولا واردة ، لها مساس بالكتابة والقريض إلا ذكرهما بشرح واف ، يدل على طول باع ، وسعة اطلاع ، مع قدرة على النقد ، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة ، ومن ثمة اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون ، وطبق عليها كثيراً من آي الكتاب والسنة النبوية ، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم .

وكان يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير صلاح الدين الأيوبي (على ما بينها من شاسع البون) وطريقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي من النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية ، وكانت براعة الكتاب في هذا العصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية ، وبها يفوق كاتب كاتباً ، وببز الأقران في هذا الميدان .

٧ - عصور الاختصار ووضع الشروح والحواشي

طفق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والحواشي على المفتاح وتلخيصه للقرؤيني ، وصرفوا جل همهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين ، والجمع بين ما تناقض من آرائها .

ومن أجل تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشروح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم تتابعت التقارير والحواشي توضح ما انبهم من تلك التراكيب المجهلة ، والمبارات الفامضة ، وليس علينا من غضاضة في التصريح بأن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليها العجمة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعميد بخيلها ورجلها ، فلم تكن هي الأساليب التي يحذر أن تكتب بها علوم البلاغة ، أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين .

ومن ثمة لم يكن القارئ ليجعلها قدوة في أساليبها ، أو نماذج في تراكيبها ، فهي أخرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية ، لا لغوية أدبية ، تشرح خصائص كلام العرب وتبين مزايا أساليبها ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت الى ما تراه اليوم ، تتضاءل في أطلالها البالية وتزوي أمام أهل الجيل الحاضر .

٨ - تأليف معاصرنا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الغابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقاً سوياً ، لا مشاكلة بينه وبين ما تقدمه في معهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بغيرتهم منها ، فحمد لهم الناس جميل صنعهم وأوفوهم حقهم في الشناء والتفريط مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترتيبها ، وتنوع تبويبها ، تنحى على الجملة في أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم (وقد عرفت حال هذه التأليف) فضلاً عن خلوها من الأمثلة المنوعة التي تتضح بها مجملات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب «دروس البلاغة» فهو على إيجازه الذي لوحظ فيه حال النشء ، وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيلاً بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع .

٩ - طريقنا في التأليف

رأينا أن نضع كتاباً يجمع بين طريق المتقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والاعتماد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارى ، خصائص البلاغة مرموقة محسوسة ، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والإجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس ، وطريق المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب ، وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجع في الدرس ، وأقرب إلى التناول .

فإذا كنا قد وُفّقنا إلى ما قصدنا وُهدينا إلى الغرض الذي توخينا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإن كنا تنكبنا عن جادة الحق وأخطأنا شاكلة الصواب ، فليغض القارى الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ،

فإن الطريق وعمر ، والمركب غير ذلول ، وقديماً قال الأول : « كفى المرء نبلاً
أن تُعدّ معاييه » .

وليعلم أننا لم ندخر وسعاً في تحبص ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا
وتجويده ، بمد أن قضينا زمناً طويلاً في البحث والتنقيب ، في الأمهات المؤلفة
في هذه الفنون وغيرها للمتقدمين والمتأخرين ، واطلعنا على الرسائل التي
صنفها معاصروننا ، ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيراً ، وعليه التكلان ،
وبه المستعان .

أحمد مصطفى المراغي

المقدمة

في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً

للفصاحة لغة ومعان متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة ، فيقال :

١ - فصَحُ اللبْنُ وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة ، قال نضلة السلمي :
وتحت الرغوة اللبن الفصيح ^(١)

٢ - أفصح الصبح : بدا ضوءه ، ومنه المثل : «أفصح الصبح لذي عينين» ^(٢) .

٣ - يوم مفصح وفصح لا غم فيه ولا قَرَر .

٤ - أفصح الأعجمي بالعربية ، وفصحُ لسانه بها إذا خلصت لفته من اللكنة
وفي التنزيل : ﴿ وأخي هرون هو أفصح مني لساناً ﴾ ^(٣) أي أبين مني قولاً .
وبلاغة لغة : تنبىء عن الوصول والانتها .

يقال : بلغتُ الغاية إذا انتهت إليها ، ومبلغ الشيء منتهاه ، ورجل بليغ
وبلّغ وبلّغ ، حسنُ الكلام فصيحُه يبلغُ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، وبلغُ
بالضم بلاغة : صار بليغاً ، وتبالغ في كلامه تماطى البلاغة وما هو ببليغ ،
وتبالغ به الفرح والحزن : تناهى .

أما البلاغة اصطلاحاً فالبلغاء في ذلك فريقان :

١ - المتقدمون كالإمام عبد القادر الجرجاني ومن لف لفه ، وهؤلاء يرون

(١) يضرب مثلاً للامر ظاهره غير باطنه .

(٢) يقال للشيء ينكشف بعد استتاره .

(٣) سورة القصص الآية ٣٤ .

أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي^(١) معاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها ، وإلى ذلك أشار في دلائل الإعجاز في مواضع عدة منها قوله : « فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالتمتع والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتماها فيما له كانت دلالة » ، ثم قال : « ولا جهة لاستعمال هذه الحاصل غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » .

وقال قبله أبو هلال العسكري في الصناعتين : « الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة على المعنى والإظهار له » .

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز : وأكثر البلقاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشينين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما .

ويشهد لذلك قول الجوهري في الصحاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا الرأي فرجعها وما شاكلها النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢ - المتأخرون كابن يعقوب يوسف السكاكي وابن الأثير ، ومن شايعها ، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كَنَف^(٢) البلاغة ، ويجعلونها اسماً لما كان بنجوة^(٣) من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سيذكر

(١) الطلب والتحري .

(٢) الناحية والجانب .

(٣) يقال : هو بنجوة من كذا إذا كان بعيداً .

بعد^١ ، ويحملون البلاغة اسماً لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا الرأي فالبلاغة كل^٢ والفصاحة جزؤه ، وعليه أيضاً فالفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

والى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال ، وقيل : الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى ، اهـ
وما نحن أولاء نشرحها لك على الرأي الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهداية لأقوم طريق .

الفصاحة

تقع الفصاحة وصفاً للمفرد والكلام والمنكلم .

فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب^(١) :

- ١ - تنافر الحروف .
- ٢ - غرابة اللفظ
- ٣ - مخالفة القياس .
- ٤ - الكراهة في السمع .

تنافر الحروف

صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم والشعور الذي ينشأ من مزاولة أساليب البلغاء ، وليس منشؤه قرب مخارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه ، ونحوه ، الفم والشجر ، وتجد لفظ ملع بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر ، ولا طول الكلمات لأنه إن صح ذلك في نحو

(١) لتسلم من الخلل مادته وصيغته ومعناه .

صَهْدَلَقْ^(١) وَخَنْشَلِيل^(٢) وما جرى مجراها ، فليس يصح في نحو ليستخلفنهم في الأرض فسيكفيكم^(٣) الله .

ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساسه المشاهدة ، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي نحو : عذب وعسجد . أما الخماسي الأصول نحو : صهصلق وجمجمرش ، وما جرى مجراها ، فإنه قبيح ، ومن ثمة لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن الكريم إلا ما كان معرباً من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل .

والتنافر ضربان :

١ - شديد متناه في الثقل كالصمم^(٣) والطسّاسيج^(٤) والظشّش^(٥) .

٢ - خفيف كالنقّاخ^(٦) والنقنقة^(٧) والمثنججر^(٨) ومستشزرات في قول امرئ القيس :

غداثره مستشزرات^(٩) الى الملا تضل المدارى في 'مثنى ومرسل'^(١٠)

والضمير في غداثره يرجع الى فرع في قوله قبله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتشكل^(١٠)

(١) الشديد من الاصوات .

(٢) السيف .

(٣) الصغير الرأس .

(٤) جمع طسوج القرية ونحوها .

(٥) الموضع الحشن .

(٦) الماء العذب .

(٧) صوت الضفادع .

(٨) السائل من ماء أو دمع .

(٩) غداثره أي ذوائبه جمع غديرة وهي الشعر الشديد بخيوط على الرأس ومستشزرات أي مرتفعات وتضل تقيب والمداري جمع مداراة آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبّد ، والمثنى الفتول وضده المرسل .

(١٠) الفرع الشعر والاثيث الكثير والقنو الكباسة والتشكل كثير المشاكل أي العيدان التي عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وفرة شعرها ، وكان من عادة نساء العرب أن تشدّ قسما من الشعر كالرمانة ، ثم ترسل فوقه المثنى والمرسل .

الفراية

هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوقة الاستعمال عند خلص العرب (لا عند المولدين لأن كثيراً مما في المعاجم غريب عندهم) .
ولذلك سيبان^(١) :

١ - احتياجها الى بحث وتفتيش في كتب اللغة ، ثم يعثر على معناها بعد كُتْمُ سَحْفَرَةٍ^(٢) وُبُعاقٍ^(٣) وجرد حل^(٤) وجعش بمعنى فريد مستبد برأيه في قول ثابت شراً يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يظل بمومة ويمسي بغيرها جعشاً ويعروري ظمور المسالك^(٥)
ومرجلة وزيزم في قول ابن جعدَر :

حلفتُ بما أرقلت حوله مرجلة خلقتها شيطمُ
ومسا شبرقت من تنوفية بها من وحي الجن زيزم^(٦)

وربما لا يعثر على معناها كجحلنجع ، قال في اللسان : قال أبو تراب : كنت سمعت من أبي الهيمسح حرفاً وهو جحلنجع فذكرته لشمر بن حمدويه وتبرأت اليه من معرفته ، وكان أبو الهيمسح من أعراب مدين لا نفهم كلامه ، وأنشدته ما كان أنشدني :

(١) لأن الفراية أما في الجوامد والصادر المشتقات باعتبار مبادئها أي أصولها وهو القسم الاول ، وإما في المشتقات باعتبار هيئاتها ، وهو القسم الثاني .

(٢) أي متسعة .

(٣) الطر .

(٤) الوادي .

(٥) المومة المفازة ويقال: للمستبد برأيه جعش وحده بالتصغير عند إرادة الذم واعروري الفرس ركبته عريانا .

(٦) الأرقال ضرب من السير والمرجلة الناقة السريعة والشيطم الشديد الطويل من الابل ، والحيل وشبرقت قطعت ، والتنوفية المفازة والوحي الصوت الحقي وزيزم حكاية صوت الجن اذا قالت زي زي على زعمهم . يريد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وربما قطعت من مفازة لا يسمع فيها إلا صوت الجن .

إن تمنعي صوبك صوب المدمع يجري على الخد كضئب الشعشع
وطمعة صيرها جحانج لم يحضها الجدول بالتنوع^(١)

قال في المثل السائر : ومن الغريب من يعاب استعماله في النثر دون النظم
كلفظ مشمخر في أبيات بشر في وصف الأسد :

وأطلقت المهند من يميني فقد له من الأضلاع عَشرا
فخرّ مضرجا بدم كاني هدمت به بناء مشمخرا^(٢)

ولفظ الشدنية ، وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الأدلاج والاسراء^(٣)

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنشور يسوغ استعماله في
المنظوم دون العكس ، وذلك شيء استنبطته ودلني عليه الدوق .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين : ورأيت الناس يدبرون في كتبهم ، أن امرأة
خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر ، فانتهرها مراراً فقال له يحيى : أن سألتك
ممن شكرها وشبك أنشأت تطلبها وتضلها^(٤) ، فإن كانوا قد رووا هذا الكلام
لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وإن كانوا فعلوا ذلك
لأنه غريب فأبيات من الشعر المعجاج والطرماع تأتي لهم مع الوصف الحسن على
أكثر من ذلك .

٢ - احتياجها الى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود نحو
مسرجاً وصفاً للأنف في قول رؤبة بن المعجاج (شاعر إسلامي) :

(١) الصوب المطر المنصب والضئب حب اللؤلؤ والطمعة النظرة والصبير السحابة البيضاء
وحضا النار حركها والجدول النهر والتنوع تحريك الريح الغصن والتذبذب وصيرورة الشيء أنواعا .

(٢) قد قطع والمضرج الماطخ بالدم والمشمخر العالي .

(٣) الابيضاع نوع من السير ، والوجناء عظيمة الوجنتين ، والادلاج والاسراء من
سرى الليل .

(٤) الشكر بفتح الشين وكسرهما عضو التناسل ، والشبر النكاح ، وضهل فلان حقه نقصه
وطله مطله .

أيام أبدت واضحاً مفلجاً أغر براقاً وطرفاً أبرجاً
ومقلةً وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً^(١)

فالمرسن الأنف ولا يدري ماذا أراد بوصفه بمسرج ، ومن ثم اختلف أئمة اللغة في تفسيره ، فابن دريد قال : هو من قولهم للسيوف سريجية أي منسوبة الى حداد يسمى 'سريجاً' ، فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجي في الدقة والاستواء ، وابن سيده صاحب (المحكم) قال : هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به في البريق واللمعان ، وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه بالكسر ، أي حسن ، وسرج الله وجهه ، بهجته وحسنه .

وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعلل بالتشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء الى آخر لا على التشبيه ، فدلالته عليه بعيدة ، وقريب من هذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لمسا فيه من دخول الحيرة على السامع كاستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده ، إلا إذا وجدت قرينة تخصه بالمراد ، نحو عزز ، فإنه لفظ مشترك بين التعميم والإهانة فلا تقول لقيت فلاناً فعززته إلا بقرينة ، ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القرينة فقال : ﴿ فالذين آمنوا معه وعزروه ونصروه ﴾^(٢) فذكر النصر قرينة على إرادة التعميم

مخالفة القياس

كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب كجمع ناكس على نواكس ، بمعنى مطأطني الرؤوس في قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

« مع أن فواعل إنما تنقاس في وصف لمؤنث عاقل ، لا لمذكر كما هنا ، وكفك الادغام في أجلل من قول أبي النجم بن قدامة من رجز الإسلام :

(١) الضمير في أبدت يعود الى محبوبيته ليلي في الابيات قبله وواضحاً أي فما فيه أسنان واضحة والفالج تباعد ما بين الأسنان والأغر الأبيض والبريق اللمعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والترجيح للتدقيق مع تقويس ، وفاحماً أي شعر اسود كالقلمح .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

الحمد لله العلي الأجلل أنت ملك الناس رباً فاقبل

واستعمال همزة القطع بدل همزة الوصل في قول جميل :

ألا لا أرى إننين أحسن شيمة^(١) على حدثان الدهر مني ومن مجمل^(٢)
وعكسه في قوله : إن لم أقاتل فألبسوني برقماً .

فهذا وأمثاله قبيح يشين الكلام ويذهب بمائه^(٣) .

قال في الصناعتين : وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية ،
والبداية مزلة ، مع أن أشعارهم لم تكن تنقد عليهم ، ولو نقدت كما تنقد على
شعراء هذه الأزمنة ويُبهرج^(٤) من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب لتجنبوه .

وقال القاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه :
ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام
الحجة لوجدت كثيراً من أشعارهم معيباً متروكاً ومردوداً منقياً ، لكن هذا الظن
الجليل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب
وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام . اهـ

ويستثنى من ذلك ما ثبت عن العرب من الشواذ نحو : أبى ، يابى^(٥) ،
وعور^(٦) واستعوذ^(٧) وقطط^(٨) شعره .

الكراهة في السمع

هي أن تقع الكلمة الأسماع وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرشي ،
بمعنى النفس في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة :

(١) الشيمة الخلق والحدثان نوايب الدهر وجمل فرسه أو جملة .

(٢) حسنه وروثه .

(٣) البهرج الرديء .

(٤) قياس مضارعه الكسر ، لأن المفتوح المين لا يكون إلا إذا كانت عين ماضية أو لامة

حرف حلق كسال ونفع .

(٥) القياس فيه عار لتحريك الواو وانفتاح ما قبلها .

(٦) القياس استعاذ .

(٧) تجعد .

مبارك الاسم أغرّ القلب كريم الجرشي شريف النسب^(١)
وكالتقاخ فيما أنشده شمر:

وأحق من يلعق الماء قال لي دع الخمر واشرب من تقاخ مبرد^(٢)

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استئصال الطبع لما يسمع، إنما يتصور من
جهة غرابة الكلمة ووحشيتها، ففي ذكر الغرابة غنية عن ذكرها.

تدريب أول

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

- ١ - وما أرضى لمقلته بحلم إذا انتبعت قومه (ابتشاكاً)^(٣)
- ٢ - لم يلقها إلا بشكة باسل يخشى الحوادث حازم (مستعدد)^(٤)
- ٣ - يا نفس صبراً كل حي لاق وكل (اثنين) إلى افتراق
- ٤ - فلا يبرم الأمر الذي هو (حائل) ولا (يحلل) الأمر الذي هو يُبرم
- ٥ - أن بني للثام زمده مالي في صدورهم من (مودّده)
- ٦ - كتب بعض أمراء بغداد رقعة طرحها في المسجد الجامع حين مرضت أمه
فقال : صين أمرو ورعى دعا لامرأة (إنقحلة) ، (مقسّنة) فقد منيت بأكل
الطرموق فأصابها من أجله (الاستمصال) أن ين الله عليها (بالاطرغشاش) ،
و (الابرغشاش)^(٥) .

(١) مبارك الاسم لأن اسمه علي من العلوي، وأغرّ القلب أي مشهوره لأنه سيف الدولة .
(٢) يلعق يلحس ، والتقاخ العذب من الماء .
(٣) الابتشاك الكذب والحلم والرؤيا التي يراها النائم .
(٤) الضمير يعود الى الحرب ، والشكة الحصلة ، والبائل الشجاع .
(٥) أنقحلة يابسة ومقسّنة مسنة عجوز ومنيت ابتليت والطرموق الخفاف والاسمصال
الاسهال والاطرغشاش والابرغشاش البرء من المرض .

الاجابة

الكلمة	الحكم	السبب
الابتشاك	غريبة	لقلّة استعمالها ومن ثم قال صاحب بن عبّاد لم يسمع هذا اللفظ في شعر قديم ولا محدث
مستعدّد	مخالف للقياس	إذ الواجب في هذه الحالة الادغام
إثنين	مخالف للقياس	إذ جعل همزة الوصل همزة قطع وأثبتها
حائل	مخالف للقياس	إذ الواجب الادغام في مثل هذا
يحلل	مخالف للقياس	إذا الواجب الادغام في مثل هذا
مودده	مخالف للقياس	إذا الواجب الادغام في مثل هذا
إنقحله	غريبة متنافرة	لقلّة الاستعمال وثقل النطق
مقسّنة	غريبة	لقلّة الاستعمال وثقل النطق
الاستمصال	غريبة متنافرة	لقلّة الاستعمال وثقل النطق
الاطر غشاش	غريبة متنافرة	لقلّة الاستعمال وثقل النطق
الابر غشاش	غريبة متنافرة	لقلّة الاستعمال وثقل النطق

تدريب ثان

يتمنّ ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

١ - قال ابن نباتة في خطبة له يذكر أهوال يوم القيامة :

(أقطر) وبألها ، و (اشمخر) نكالها ، فما ساغت ولا طابت^(١).

٢ - يوم (عصبصب) و (هلوف) ملا السجسج طلا^(٢).

٣ - قد قلت لما (اطلختم) الأمر وانعشت عشواء ثالبة غبسا (دهاريسا)^(٣)

٤ - نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا (جيدّر) ولا جبس^(٤)

(١) اقمطر اشتد والوبال الثقل والوخامة واشمخر طال.

(٢) والعصبصب الشديد الجر والهلوف الذي يستر غمامه شمه والسجسج الارض السهلة والطل المطر الندى أو المطر القليل .

(٣) اطلختم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والمشواء الناقة الضعيفة البصر والغبس جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلمة وهو لأبي تمام ويعده :

لي حرمة بك أضحى حق فازلها وقفا عليك فدتك النفس محبوبا
(٤) حباك أعطاك والاروع المعجب والجيدر القصير والجبس الثقيل .

٥ - بقي نقي لم يكثر غنيمه بنهكة ذي قوبى ولا (بمقلد) (١)

٦ - قال امرؤ القيس حين أدر كنه المنية وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجده على قتله أبيه : رب جفنة (مثنجره) ، وطعنة (مسخنفره) ، وخطبة مستحضره ، وقصيدة محبرة ، تبقى غداً بأنقره (٢).

الاجابة

الكلمة	الحكم	السبب
اقطر	متنافرة	لثقل النطق بها
اشمخر	غريبة	لقلّة الاستعمال
عصيب	غريبة	لقلّة الاستعمال
هلوف	غريبة	لقلّة الاستعمال
اطلخم	غريبة غليظة في السمع	لقلّة استعمالها ووحشيتها
دهاريس	غريبة غليظة في السمع	لقلّة استعمالها ووحشيتها
جيدر	غريبة	لقلّة استعمالها ووحشيتها
حقلد	غريبة	لقلّة استعمالها ووحشيتها
مثنجر	متنافرة	لقلّة استعمالها وثقل النطق بها
مسخنفرة	متنافرة	لقلّة استعمالها وثقل النطق بها

تموين (١)

يبين ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - تشكو الوجى من (أظلل وأظلل) من طول إملال وظهر 'ممل' (٣)
- ٢ - فأرحام شفر تتصلن (لدننه) وأرحام مال ما تقي تقطع (٤)
- ٣ - رواق العز حولك (مبسطر) وملك علي ابنك في كمال (٥)

(١) النهكة القلب والحقد الاثم .

(٢) المثنجرة اللأى والمسخنفرة المتسمة ، وأنقرة بلد بآسيا الصغرى .

(٣) الوجى الحقي والأظلل باطن خف البعير وبمعير ممل أكثر ركوبه حتى دير ظهره .

(٤) تنا تناخر ، وتنقطع تتمزق .

(٥) مبسطر ممتد .

- ٤ - لا نسب اليوم ولا خلة (إتسع) الفتق على الراقع^(١)
 ٥ - فأيقنت أني عند ذلك نائر غداثئذ أو هالك في (الهوالك)^(٢)
 ٦ - قال أبو علقمة يوماً لحاجه : أرهف 'ظلمات المشارط' ، وأمر 'المسح' ،
 واستنجل الرشح ، وخفف الوطء ، وعجل النزع ، ولا تكرهن ألباً ،
 ولا تردن ألباً ، فقال له الحجام : ليس لي علم بالحروف^(٣).

تمرين (٢)

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - جرت سحاً فقلت لها (اخبريني) نوى مشمولة فمقى اللقاء^(٤)
 ٢ - اعاذل قد جريت من 'خلقي' أني أجود لأقوام وإن (ضننوا)
 ٣ - من كلام أم الهيثم الأعرابية لأبي عبيدة الراوية ، وقد عادها في علة أصابتها ،
 كنت وحى (سدكة) ، وشهدت مآدبة ، فأكلت (جججبة) ، من صفيف
 (هلمة) فاعترتني (زلخنة) ، فقبل لها أي شيء تقولين ، فقالت أو للناس
 كلامان ، والله ما كلمتكم إلا بالعربي الفصيح^(٥).
 ٤ - يا نرجس الدنيا أقم أبداً (للاقتراح) ودائم النخب^(٦)
 ٥ - قال بعض الأدباء لكاتبه بوصيه بحسن الجلسة للكتابة والاستماع لما يلي
 عليه ، ألصق روافئك (بالجبوب) ، وخذ الأسطر (بشناترك) ،

(١) الخلة للصدقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق .

(٢) الثابار الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك نأره .

(٣) أرهف رفق ، والظلمات جمع ظبة وهي السيف والموسى ، والمشارط جمع مشروط وهو مبضع الحجام الذي يشترط به الجلد واستنجل استخرج والرشح التز والألبى المتنع والألبى الجائي والحروف هنا اللغات .

(٤) السح الشديدة والنوى البعد وهو خير لمبتدأ محزوف أي هذه والمشمولة العامة .

(٥) سدكة مشتهية للطعام والجججبة كرش يحشئ باللحم المقطع ، والصفيف الشواء ، والملمى أثنى المعز ، والزخنة وجع في الظهر .

(٦) الاقتراح الابتداء والاختيار ، والنخب الشربة العظيمة من الخمر وغيرها .

واجل ('خندورتك) الى (قبلى) حق لا أنفى نفيسة " ، إلا أودعتها
('حماطة 'جلجلانك) (١) .

فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب للتمام والناقص (٢)
وقصاحته تكون بسلامته من كل ما ينفلق به معناه وينبهم مقزاه ، وإلا كان
مردوداً خارجاً عن حدود البلاغة ، ورسوم الفصاحة ، ولو احتوى على أجل
المعاني وأشرفها ، وإنما يتم له ذلك اذا عرى عن الأشياء الآتية :

- ١ - تنافر الكلمات مجتمعة ، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات .
- ٢ - ضعف التأليف .
- ٣ - التعميد اللفظي .
- ٤ - التعميد المعنوي .

تنافر الكلمات - المعاطلة (٣) اللفظية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند
النطق بها ، وقد علم بالاستقراء أن منشأها إما :

- ١ - تكرير حرف أو حرفين من كلمة في المنشور أو المنظوم ، وهو قسمان :

(١) ما اشتد ثقله وتناهى كالذي أنشده الجاحظ :

وقبرٌ حرب بمكان قفرٌ وليس قربَ قبرٍ حرب قبرٌ (٤)

فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية ، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها
من بعض .

(١) الروائف جمع رافعة الآلية والجبوب الأرض ، والقلم والشتائر الأصابع ، والخندورتان
حدثنا المين ، والقييل الوجه ، والحماطة حبة القلب ، والجلجلان الصدر .

(٢) كالركب الإضافي ، والركب التقييدي ، وهو مجاز من إطلاق الخاص على العام .

(٣) عاظم الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض .

(٤) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شمر الجن قالوه
لما قتلوه بنار حبة منهم ودفنوه بناحية بعيدة وقفر ، فمت مقطوع للضرورة أو هو خبر ، والباء
بمعنى في أي مكان .

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمتُهُ لمتهُ وحدى^(١)
وقول المتنبي :

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى^(٢)

فتكرار الحاء والهاء المتقاربي المخرج في بيت أبي تمام ، والجيم والراء في أكثر كلمات بيت المتنبي ، أوجب الثقل فيها .

وقال بعض الوعاظ في كلام أورده : (حق جناتُ وجنات جنات الحبيب)
فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال : سمعت جيماً في جيم فصحت .

٢ - إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف ، سواء اختلفت بين الماضي والاستقبال نحو قول القاضي الأرجاني يحدث عن الشمع :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحي^(٣)

أم لم تختلف كقول المتنبي يدح سيف الدولة :

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل^(٤)

فورود نذرت أعود أقتل مكثابة على تلك الشاكلة في البيت الأول جاء ثقيلًا متعاطلاً ، كما أن مجيء أفعال الأمر متكررة في البيت الثاني جعل للثقل فيها حظاً عظيماً ، فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن في الثقل كالأول نحو قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن :

احمل وامرر وضر وانفع ولن واخشن وأبرر ثم انتدت للمعالي^(٥) .

(١) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وأنما يقابل بالذم ، وكأنه أراد أن ينفي الذم عنه بتغية اللوم بالطريق الأولى .

(٢) وراءها وأما فحصل فيه إعلال بالقلب بتقديم الألف وتأخير الهززة ورقا الدمع والدم انقطع ، يريد أنها لا ترحم باكبيا لأنها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقيًا .

(٣) يقول بلسان الشمع أنه ألف العمل وهو أخوه الذي ربي معه لكن النار فرقته عنه ، وأنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضاً من ألم الفراق .

(٤) أقل من الاقالة وأقطع من الأقطاع لأرض ونحوها وعل من العلو وصل ، أي بالعطية .

(٥) أبرر من قولهم أبر اليمين أمضاها عل الصدق وانتدب لكذا ساسها .

٣ - إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي في المديح ، وقد أولع كثيراً بهذا النوع :

دان بعميد محب مبغض بهج أغرّ حلو ممرّ لين شرس
ند أبي غرّ واف أخى ثقة جعد سرّنه ندب رضى ندّس^(١)

ولا يخفى ما فيه من الثقل فما أشبه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات .

٤ - تماقب الأدوات ومجيء بعضها إثر بعض كمن وإلى ، وفي وعن وعلى كقول أبي تمام :

كانه في اجتماع الروح فيه له في كل جارحة من جسمه روح^(٢)
وقول المتنبي يصف فرساً :

وتسعدني في عمرة بعد غمرة سروح لها منها عليها شواهد^(٣)

فجيء في بعد له في البيت الأول ، ولها منها عليها في البيت الثاني ، أورث فيها ثقلاً حمل اللسان يتعثر عند النطق بها ، قال صاحب الصناعتين : وسبيل تلافي ذلك أن تفصل بين الحرفين كأن تقول : أقمت به شهيداً عليه .

٥ - تتابع الإضافات كما تقول : سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بابك :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجمي فأنت برأى من سعاد ومسمع^(٤)

قال في دلائل الإعجاز : ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه ، قال صاحب بن عبادة : إياك والإضافات المنداخلة ، وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقوله :

(١) الشرس الصلب هنا والقوى المغرى بفعل الجميل وجمد الماضي في الأمور والسري الشريف والنهي العاقل والندب السريع في أموره ، والندس العارف البعانة ، يريد أنه محب لأهل الفضل مبغض لأهل التقص يبهج بالقصايد ويحلو لأوليائه ويمر على أعدائه .

(٢) الجارحة العصور يريد أن يقظ نشيط .

(٣) القمرة الشدة ، والسروح الفرس الحسن العدو الذي لا يتعب راكبه كأنه يسبح في الماء يريد أنه يمينه على الشدائد ، وله شواهد دالة على كرم خصاله .

(٤) الجرعى تأنيث الأجرج وهي الرملة لا تنبت شيئاً ، والحومة معظم الشيء ، والجندل الهجارة ، والسجع هديل الهمام المعنى الطربي لأن الحبيبة تراك وتسمعك .

يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة^(١) في خيارة ،
(تنبيه) لا يقبح القسمان الأخيران إلا إذا أوجبا ثقلاً على اللسان ،
وإلا فلا يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة في قول
قطري بن الفجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئة^(٢) من عن يميني مرة وأمامي^(٣)
كما تكررت الإضافة ولطفت في قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
زَكَرِيَّا ﴾^(٤) وقول ابن المعتز :
وطلت قدير الراح أبدي جاذر عتاق دنائير الوجوه ملاح^(٥)
ومن ذلك تعلم أنه لا وجه لعد هذين القسمين بمعيدين عن التنافر .

ضعف التأليف

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفاً لما اشتهر من قوانين النحو المشهورة ،
كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف (مع وجوب الفصل في نحو هذا) ،
كقول المتنبي :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا^(٥)
وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :
أنظرا قبل تلوماني الى طلل بين النقا والمنحنى^(٦)
وكحذف نون يكن في الجزم حين يليها ساكن نحو :

(١) قوله ثلجة في خيارة في أي خيارة ثلجة ، وفي هذا اشتباه من عبد القاهر ، لأنه ليس فيه
تتابع اضافات .

(٢) الدررئة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن والرمي (النشان) .

(٣) سورة مريم .

(٤) الراح الحمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسان لجبال عينيه ،
والمعاقب التجائب ودنائير الوجوه أي وجوههم متألثة كالدنائير .

(٥) الغزاة الشمس ، يريد أن البلاد اذا خلت من الشمس ليلا جعلك الله عوضاً منها .

(٦) الطلل ما بقي من آثار الديار ، والنقا والمنحنى موضعان .

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفت بالمرر^(١)
وكالاتمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكماً^(٢) في قول حسان بن ثابت:
ولو أن مجدأ أخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجدأ الدهر مطعماً^(٣)

التعقيد

هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سببان ،
أحدهما يرجع الى خلل في النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظي ، وثانيهما يرجع
الى المعنى وهو التعقيد المعنوي .

التعقيد اللفظي^(٤)

حقيقته أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني ، فيفسد نظام
الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك ، كتقديم الصفة
على الموصوف ، والصلة على الموصول .

وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه ،
وذلك ضد الفصاحة التي هي ظهور وإبانة ، ومن ثم قال العتاي : الألفاظ أجساد
والمعاني أرواح ، وإنما تراها بعين القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت
منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس الى موضع يد
أو يد الى موضع رجل ، فإن الخلقة تتحول والخلية تتغير .

وأكثر من استعماله الفرزدق وكأنه كان يقصده لأن مثله لا يجيء إلا متكلفاً ،
إذ لو خلى الإنسان ونفسه تجري على سجيته في الاسترسال لم يعرض لها شيء من
هذا النوع ، فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك :

-
- (١) هاج ثار ورسم الدار أفرما وتعفت درست واضمحلت والمرر موضع .
(٢) فإن تقدم الضمير لفظاً وتأخر معنى جاز نحو ضرب غلامه محمد ، وكذا إن تقدم لفظاً
وتأخر حكماً نحو نعم رجلاً على .
(٣) يرثي مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي عليه الصلاة والسلام .
(٤) قد يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى وإن كان كل منها جازياً
على قانون النحو ، فلا يفني ذكر ضعف التأليف عنه .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(١)
يريده إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حتى أهيأ المعنى .
وقوله في البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل في التعقيد يمدح به إبراهيم
ابن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا مملوكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه^(٢)
مراده : وما مثل هذا المدح في الناس حي يقاربه ويشبهه في الفضائل
إلا مملوكاً أبو أم ذلك الملك أبو المدح ، فيكون المدح خال الملك ،
وخلاصة ذلك أنه لا يماثله إلا ابن أخته .

فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى ، وصار به إلى النعمية دون الإفصاح ،
ولهذا قال الرماني : قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة : سوء الترتيب
وبه تغير نظام الكلام ، وسلوك الطريق الأبعد في قوله : أبوه أمه أبوه ، وكان
يجزئه أن يقول : خاله ، وإيقاع مشترك الألفاظ في قوله : حي يقاربه ، لأنها
لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة .

قال في المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خط يهجنها كأن قفرا رسومها قلماً^(٣)

يريد فأصبحت بعد يهجنها قفرا كأن قلماً خط رسومها ، ففصل بين الفعل
الناقص وخبره ، وبين كأن واسمها ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وقدم خبر
كأن عليها ، وعلى اسمها .

التعقيد المنصوي

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة
والكنائيات المفتقرة إلى وسائط ، أو اللوازم القريبة الحفية العلاقة ، مع عدم

(١) محارب وكليب قبيلتان .

(٢) فصل فيه بين البتداء والخبر وهو أبو أمه أبوه بالأجنبي الذي هو حي ، وبين الموصول
الصفة ، أعني حي يقاربه بالأجنبي الذي هو أبوه ، وتقديم المستثنى أعني مملوكاً على المستثنى
منه ، وهو حي ، وفصل كثير بين البديل وهو حي ، والبديل منه وهو مثله .

(٣) الظاهر أنه يصف ديواراً درست وعفت آثارها .

ظهور القرائن الدالة على المقصود ، فبمعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول
المعباس ابن الأحنف :

سأطلب 'بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
يريد أنه يتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، عله
يحظى بوصول يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانهم ، وفرجت
كروبهم . وهذا المعنى مطروق لهجت به ألسن الشعراء والكتاب ، قال
عروة ابن الورد :

تقول سليمى لو أقت بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوف
وقال أبو تمام :

أألفة النحيب كم افتراق ألم^(١) فكان داعية اجتماع^(٢)

وقيل للربيع بن خيثم ، وقد صلى ليلة حق أصبح : أتعبت نفسك ، فقال :
راحتها أطلب .

إلا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سنن قويم ، فإنه كنى عما قصد
بكنايتين أصاب في أولاهما ، المحزّ وطبّق المفصل ، وأخطأ في آخرهما وجه
الحقيقة ، ولم يسلك الميسر الواضح في الرمز والإيماء الى ما أراد ، بيان هذا أنه
دل بديئاً بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب
والنصب ، فأصاب شاكلة الصواب ، فإن البكاء عنوان الحزن والأهارة الدالة
عليه ، فيرمز به اليه حق قالوا : « أبكاني وأضحكني » على معنى ساء في وسرني ،
كما قال الحماسي :

أبكاني الدهر^(١) ويا ربما أضحكني الدهر^(٢) بما يرضى^(٣)

ثم تلا ذلك فدل يجمود العين على ما يوجبه دوام التلاقي ، من الفرح والسرور ،
لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا ، إذ الجمود إنما هو خلو العين من البكاء عند
الداعية اليه ، فهو كناية عن البغفل بالدموع حين الحاجة اليها ، كما قال أبو عطاء
يروثي أبي هبيرة :

(١) ألم نزل ، ولنحيب البكاء .

(٢) قبله : أنزلني الدهر على حكمه من شامخ عال الى خفض .

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك مجاري دمعها لجود
لا كناية عن السرور لأنه لو صح ذلك لجاز أن يدعى به فيقال : لا زالت
عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكى الله عينك ، ولا خفاء في بطلان ذلك ،
كما يرشد اليه قول أهل اللغة : سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها ،
على معنى أن السنة بخيلة بالقطر ، والناقة لا تسخو بالدر .

وهكذا حسال الكنايات التي استعملها العرب ، لأغراض إذا غيرها المتكلم
وأراد بها أغراضاً أخرى ، كما إذا استعمل قولهم : بيته كثير الجرذان ، كناية
عن وسخ المنزل وسوء نظامه ، وقولهم : أبيض سربال الطباخ ، كناية عن نظافة
الطاهي وحسن هندامه ، كان ذلك خروجاً من سنن العرب واستعمالهم ، وعد
ذلك تعقيداً ، إذ هذا غير ما يتبادر الى الفهم ، لأن العرب كنت بالأولى عن كثرة
الطعام ، وبالثانية عن البخل .

تدريب أول

أذكر ما أخل* بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١ - تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطعحبان
- ٢ - لما رأى طالبوه 'مصعباً' دُعروا وكاد لو ساعد المقدور' ينتصر
- ٣ - لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن
- ٤ - لما عصى أصحابه 'مصعباً' أدوا اليه الكيل كيلاً بصاع
- ٥ - ولم أر مثل جبراني ومثلي لمثلي عند مثلهم 'مقام

الاجابة

- ١ - في البيت تعقيد لفظي ، إذ تقديره : نكن يا ذئب مثل من يصطعحبان .
- ٢ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في طالبوه يعود الى مصعب وهو متأخر
لفظاً ومرتباً .
- ٣ - فيه تنافر في الكلمات ، أوجبه تكرار لفظ كنت عدة مرات .
- ٤ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في أصحابه يعود الى مصعب المتأخر
لفظاً ومرتباً .
- ٥ - فيه تنافر في الكلمات ، سببه تكرار لفظ : مثل .

تدريب ثان

اذكر ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي:

- ١ - ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
- ٢ - تجمعت في فؤادهم هم ملء فؤاد الزمان إحداها
- ٣ - ألا ليت شعري هل يلومنّ قومه زهيراً على ما جرّ من كل جانب
- ٤ - لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواء
- ٥ - قبيل أنت أنت أو كنت منهم وجدك بشر الملك الهمام
- ٦ - جواب مسألي اله نظير ولا لك في سؤالك لا ألا

الاجابة

- ١ - فيه تعقيد لفظي، لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف سميت أغطيتها جفوناً .
- ٢ - فيه تنافر، أوجبه ثقل النطق بالهاء والم مجتمعتين في كلمتين .
- ٣ - فيه ضعف التأليف، لأن الضمير في قومه يعود الى متأخر لفظاً ورتبة .
- ٤ - فيه تنافر، لثقل تأليف البيت وركة صوغه .
- ٥ - فيه تعقيد وتنافر، لأن تقديره قبيل أنت على شرف قدرك، أنت منهم، وأنت أنت ، وإذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرأ .
- ٦ - فيه تنافر، أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حتى قال الصاحب بن عباد: ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمماً، وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع بالألاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف .

تموين (١)

أذكر سبب خروج ما يأتي من الأساليب الفصيحة :

- ١ - وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه^(١)
- ٢ - لم تر من نادمت إلا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

(١) ازور عدل وعاف كره والعافي طالب المعروف والعرف النوال والمطاء .

- ٣ - وبه يضمن على البرية لا بها
 ٤ - هو السيف الذي نصر بن أروى
 ٥ - ونهنت نفسي بعدما كدت أفعله^(٢)
 ٦ - الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل^(٣)

تمرين (٢)

- (١) وقلقتُ بالهم الذي قلقل الحشا
 (٢) ليس إلاك يا عليُّ همَّامٌ
 (٣) ومن جاهل بي وهو يحجل جهله
 (٤) صان اللثيم وصنت وجهي ماله
 (٥) فما من فتى كنا من الناس واحدا
 (٦) ففتنتني فجعتني فجمني
 (٧) زار داود أروى وأروى
 قلاقلَ عيسى كلهن قلاقل^(٤)
 سيفه دون عرضه مسلول
 ويحجل علمي أنه بي جاهل
 ووفى فلم يبذل ولم أتبذل^(٥)
 به نبتني منهم عديلا فبادله^(٦)
 بتجن يفتن غب تجمني^(٧)
 ذات دل إذا رأت داودا^(٨)

فصاحة المتكلم

هي صفة راسخة في نفس المتكلم بقدر بها على التعبير عما يحول في خاطره من الأغراض والمقاصد .

- (١) الضن البخل والبرية الخلق ، يوسي يحزن ، يريد أنه يبخل بالمدح على الناس كلهم لا بهم يبخل عليه .
 (٢) نهته كفت وزجر :
 (٣) يريد أنك أطيّب من الطيب وأطهر من الماء إذا اغتسلت به .
 (٤) قلقل حرك والحشا داخل الجوف وقلاقل الأولى جمع قلقة وهي الناقة السريمة والثانية جمع قلقة وهي الحركة ، وضمير كلهن للعيس لا للقلقل ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوفاً خفاً في السور سريعات الحركة .
 (٥) الأصل صان اللثيم ماله ووفى ، فلم يبذل وصنت وجهي ولم أتبذل .
 (٦) تقديره فما فتى واحداً من الناس كنا نبتني به عديلا فبادله منهم ، أي أنه لا نظير له يكون عوضاً منه .
 (٧) تجبني آخر الصراع الأول اسم امرأة وتجن ، أي بدعوى ذنب ، ويفتن بتشوع ، وغب عقب .
 (٨) أروى اسم امرأة ، والدل الدلال .

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام ، من مديح وهجاء وتهان ومراث ، وخطب محبرة ، ورسائل منمقة في الوعظ والإرشاد ، والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو نثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة كثير الاطلاع على كتب الأدب ، محيطاً بأسرار أساليب العرب ، حافظاً لعبون كلامهم من شعر جيد ونثر مختار ، عالماً بأحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، محيطاً بعمدات العرب وأخبار أيامهم .

البلاغة

تقع البلاغة وصفاً للكلام ، والمتكلم ، ولم يسمع وصف الكلمة بها .

بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقتها لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحتها^(١) . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البيان وقوة المنطق ، فلاسوقة كلام لا يصح غيره في موضعه والفرض الذي يبني له ، ولسرارة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسداه سواه ، ولقد أفصح عن ذلك الخطيب حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

نحن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

قال صاحب الصناعتين : وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على بعض علماء العربية ، فيخاطبون السوقي والملوك والأعجمي بألفاظ أهل نجد ، والسرارة كآبي علقمة إذ قال لطبيب : « أجد رسيماً في أسنابي وأرى رجلاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دأيات العنق »^(٢) فقال له الطبيب (متهمكاً) : هل من وجع القرشي ؟ قال له : وما يبعدنا منهم يا عدوي نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجل واحد . قال الطبيب : كذبت ، وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك . قال : بل لك الهوان والخسارة والسباب .

(١) فإذا قلت: فلان مستعد للامر، لم يكن بليفاً .

(٢) الرئيس ابتداء الحمى إذا فتر الجسم، والاسناب منابت الأسنان، والوابلة طرف الكتف والأطرة كل ما أحاط بشيء ، ودأيات العنق نقارها .

ومما سبق تعلم أن :

(١) الحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو المتكلم الى إيراد خصوصية في التركيب .

(٢) المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة .

(٣) مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .

فمثلا الوعظ حال ومقام يقتضي البسط والأطناب ، وذلك البسط مقتضى ، وإيراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكراً يوم البعث حال يقتضي التأكيد ، والتأكيد مقتضى ، وكونك مخاطبه بقولك « إن يوم الساعة لا شك فيه » مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذي يخالف في الخطاب مقام القبي ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ، لأن لكل منها من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده .

مراتب البلاغة

بلاغة الكلام متفاوتة ، لأن الألفاظ اذا ركبت لإفادة المعاني المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العد ، ألا ترى أن طلبة الفرقة اذا كتبوا في موضوع واحد في منشئاتهم تناولوا معاني متقاربة ، أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون في الأشياء الآتية :

(١) العبارة التي ينشئونها .

(٢) ترتيب المعاني .

(٣) بسط الألفاظ أو إيجازها .

وكما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً وكلما كان أوفى بها كان أبلغ ، وبالعكس اذا قل وقاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلاء كان أقل مرتبة في البلاغة ، ولا يزال ينزل حتى يصل الى المرتبة السفلى ، فيلتحق عند البلاء بأصوات الحيوان ، وإن كان صحيح الإعراب .

والمرتبة العليا وما يقرب منها هي مرتبة المعجز ، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبة أن يأقوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل في أرقى المصور

فصاحة وأكملها بلاغة ، ومع ذلك وجم العرب ، وخرست شقاشقهم مع طول
التعدي وشد النكير عليهم ، وحقت له الكلمة العليا .

ثم يليه في الرتبة كلام رسوله ﷺ ، فقد أوتي من جوامع الكلم ما حارت
في أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلغاء من العرب جاهليين
وإسلاميين .

شواهد

من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة

القرآن الكريم هو ينبوع الذي لا يفيض ماؤه والشجرة التي لا ينقطع ثمرها
والجديد الذي لا تبلى جدته ، فقد ضرب الأمثال ، وتفجرت منه ضروب الحكمة
وقص علينا من أخبار الماضين وسير القافرين ما فيه العبرة لمن كان له قلب أو
ألقى السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائع الأساليب ، وبديع التراكيب ، انظر الى ما جاء فيه عند
ذكر الحساب والصراط والميزان ، تجدد اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، نحو :
﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾
ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام يُنظَرُونَ . وأشرقت الأرض بنور ربها
وَوُضِعَ الْكِتَابَ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ١١ ﴾ . كما تجدد السهل المهلل خطاباً لنبيه ﷺ نحو :
﴿ والضحى والضحى إذا سجدى ما ودعك ربك وما قلا ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ الى آخرها .

وقد اغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض فأوتيت
من موجز الحكم وجامع الكلم ما لا يزال نجمة الرائد وكعبة القاصد ، فمن جزلها
قوله ﷺ : « يا بن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن وينقص كل يوم
من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وتطلب ما يطفئك ؛ لا بقليل تقنع
ولا بكثير تشبع » .

(١) سورة الزمر .

(٢) سورة الضحى .

ومن مهلهلها وسهلها قوله ~~بالحسن~~ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
واعدد نفسك في الموتى ، فإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح ، وإذا أصبحت
فلا تحدثها بالمساء ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن
فراغك لشغلك » .

وإن شئت إيضاحاً وبياناً ، وعلماً وعرفاناً ، فوازن بين قول النمر بن تولب
يذم الحياة :

يود الفقى طول السلامة والغنى	فكيف ترى طول السلامة بفعل
يكاد الفقى بعد اعتدال وصحة	ينوء اذا رام القيام ويحمل

وقول الفند الزماني :

أيا تملك يا تمل	وذات الطوق والحجل
ذريني وذرى عذلي	فإنت العذل كالقتل

تجد المدى واسعاً والهوة بينها سحيقة والتفاوت لا حد لغايته ، أو اقرن بين
قول معن بن أوس في الفخر :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادي سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة	من الدهر إلا قد أصابت فقى قبلي

وقول بشار بن برد :

ربابة ربة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت

ترى عجباً عجباً وتفاوتاً في الصنعة لا يحتاج الى مرأه أو جدل .

وإن شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه ولفظه ،
ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ، وما قالوا
في مثله إنه يدخل في الآذان بلا استئذان فانظر قول الرقاشي في العظة والاعتبار :
« سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تحبك حواراً
أجابتك اعتباراً » . وقول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ،
وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لا زالت
أياديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

بلاغة (١) المتكلم

هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ،
ببديع القول وساحر البيان ، ليلبغ من المخاطب غاية ما يريد ، ويقع لديه الكلام
موقع الماء من ذي الفلة الصادي ، وتلك الملكة لا يصل إليها إلا من أحاط
بأساليب العرب خبراً ، وعرف سنن مخاطبتهم في مناسباتهم ومفاخراتهم ومدحهم
وهجومهم واعتذارهم وشكرهم ، ليلبس لكل حال لبوسها ، ويراعي الخصائص
والمقتضيات التي تناسبها .

انظر الى النبي ﷺ تجده راعى حال من يخاطبه ، فكتب الى أهل فارس
بما يسهل ترجمته ، فقال : « من محمد رسول الله الى كسرى أبوز عظيم فارس ،
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فأدعوك بداعية الإسلام فإني أنا
رسول الله الى الخلق كافة ، لينذر من كان حياً ويحق للقول على الكافرين ، فأسلم
تسلم ، فإن أبيت فإثم الجحوس عليك » .

وكتب بضدها الى وائل بن حجر الحضرمي وقومه ففخم لهم اللفظ لما عرف
من فضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم سماع مثله فقال : « من محمد رسول الله الى
الأقبال المباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على النية الشاة ،
والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خللاط ولا وراط ، لا شناق ولا شفار ،
ومن أجبي فقد أربى ، وكل مسكر حرام » (٢) .

(١) قال صاحب الصناعتين : وصف المتكلم بالبلاغة من قبل التوسع ، والمجاز ، وحقيقته
بليغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعني إحكام أفعاله كما قال تعالى : « حكمة بالغة » فوصف
الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم .

(٢) الأقبال واحدة قيل بفتح القاف وهو الملك ، والمباهلة الذين أقرروا على ملكهم ، والنيمة
الأربعون من النعم ، والنيمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، والسيوب المغادن ،
ولا خللاط أي لا يخلط رجل لبلة بابل غيره أو بقره ليمنع الصدقة ، والوراط الحديدية والغش ،
والشباق ما بين الفريضتين حتى تنم ، والشفار أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه
أخرى بلا مهر ، والاجباء بيع الزرع قبل أن يمدد صلاحه .

متممات

أولاً : علمت مما سبق في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ، ما يمتور الكلام من الميوب ، ويزري بقيمته ويحط من قدره ، فوجب أن تعرف بم تداوي هذه الميوب ، فتقول :

(أ) مخالفة القياس - يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف ، فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ، ألا ترى أن نافع بن أبي نعيم ، وهو من أكابر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأنًا ، قال في معاش ، معاش بالهمز ، مع أن الياء^(١) فيها ليست زائدة لأنها من العيش ، فعيب عليه ذلك ، حتى إن أبا عثمان المازني قال : إن نافعاً لم يدر ما العربية .

(ب) ضعف التأليف والتعقيد اللفظي - يتباعد عنها بملاحظة قواعد النحو ، إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب . وقد يشذ عن قانونه الخاصة بلغة العامة فينزل كلامهم إلى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح ، انظر ما وقع فيه أبو نواس حيث يقول في مدح الأمين :

يا خير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون

فرفع المستثنى في موجب الكلام ، ومعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خوافيه .

(ج) الغرابة - يسهل التباعد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاط بمعاني المفردات المأثورة ، عرف أن ما سواه مما يفتقر إلى بحث وتنقيب ، أو تخريج على وجه بعيد فغريب .

(د) الأحوال ومقتضياتها - تعلم من دراسة علم المعاني .

(هـ) التعقيد المعنوي - يمكن التجافي عنه بدراسة علم البيان .

(و) وجوه تحسين الكلام التي تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بمد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة - تعرف من علم البديع .

(ز) التنافر - وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسي .

(١) ظن أن مفرداً فعلية فجميعها على فاعل ، وليس كذلك ، بل هي مفعلة بكسر العين ، فأصلها معبثة بكسر الياء ، فبإثاها ليست كياء صحيفة فلا تنقلب في الجمع همزة .

ثانياً : علم البيان في اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وعليه قول الجاحظ : البيان اسم جامع لكل ما كشف لك المعنى ، وقول ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول .

بعض الأئمة يسمي الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمي بعضهم الأول علم المعاني ، والأخيرين علم البيان .

ثالثاً : للمتقدمين في حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك بعضاً مما فصلناه ، منها قول محمد بن الحنفية : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأيسر العبارة . وقول ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير . وقول بعضهم : هي قلة اللفظ ، وسهولة المعنى ، وحسن البديهة .

علم المعاني

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سبق له ، فبه تختز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو الى التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإيجاز حيناً والاطناب آخر ، والفصل والوصل ، الى غير ذلك مما سنذكر بعد .
فنه نعرف مثلاً :

- (١) أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت .
- (٢) أن العرب تطنب إذا مدحت .
- (٣) أن الجملة اللاحية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام .

فحق وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبيهم وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها ، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

واضحة : أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فهو الذي هذب مسائله وأوضح قواعده ، وقد وضع فيه الأئمة قبله تنقلاً كالجاحظ وأبي هلال العسكري ، إلا أنهم لم يوفقوا الى مثل ما وفق اليه ذلكم الخبير الجليل .

فائدته

(١) الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه ، فنحن نحتدي
حدوهما ، وننسج على منوالهما ، ونعرف السر في اختصار النبي ﷺ بقوله :
« أنا أفصح من نطق بالضاد » . وقوله : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي
الكلام اختصاراً » . ونفهم وجهه تعجب الصحابة من فصاحته عليه السلام ،
فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال له : ما بالك يا رسول الله ؟ أفصحنا
ولم تخرج من بين أظهرنا .

(٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله به من حسن التأليف
وبراعة التركيب ، وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلاسة ، فنقتنع
ببلاغته وندرك السر في فصاحته ، وكيف كان معجزة خالدة على وجه الدهر
لا يبليها كر الجديدين ولا مرور الملوين .

وقد رتبنا الكلام في هذا الفن على اثني عشر باباً :

الباب الاول في الخبر

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في تعريف الخبر

الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، قولنا ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق ، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبيين في دعوى النبوة ، والبدعيات المقطوع بصدقها أو كذبها ، فكل هذه إذا نظر اليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها الى خصوصية في الخبر ، أو في الخبر تكون متعينة لأحدهما ، وإن شئت قلت الخبر ما لا تتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو : الصدق فضيلة ، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود . وبضد هذين التعريفين الإنشاء .

صلق الخبر

لكل خبر تتلفظ به نسبتان :

- (١) نسبة تفهم من الخبر ، ويدل عليها الكلام ، وتسمى النسبة الكلامية .
- (٢) نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية ، فإن طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صدقاً ، وإلا كان كذباً . مثلاً إذا قلنا : الشمس طالعة ، وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمي الكلام صدقاً ، وإن لم تكن طالعة سمي الكلام كذباً ، فصدق الخبر إذا مطابقته الواقع والخارج ، وكذبه عدمها .

تنبيه

ما تقدم من المحصار الخبر في الصادق والكاذب ، ومن تعريف الصدق والكذب بما ذكر هو مذهب الجمهور الذي عليه المعول .

ويرى إبراهيم النظام ومن تابعه أن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد الخبر به ، ولو كان خطأ غير مطابق للواقع ، وكذبه عدمها ، فإذا قال قائل : الشمس أصفر حجماً من الأرض ، معتقداً ذلك ، كان صدقاً ، وإذا قال : الشمس أكبر من الأرض ، وكان غير معتقد ذلك ، كان كذباً .

واحتج لذلك بوجهين :

(١) أن من اعتقد أمراً فأخبر به ، ثم ظهر خبره مخالفاً للواقع فإنه يقال : ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى أن عائشة قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفي تعمّد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيبنا اليهودي إذا قال : الإسلام باطل ، وتصديقنا إياه إذا قال : الإسلام حق .

(٢) قوله تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ ^(١) ، فقد كذبهم في قولهم : إنك لرسول الله ، وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عن ذلك بوجوه :

(أ) أن المعنى نشهد شهادة وافقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد الى ذلك التأكيد بأن واللام والجملة الاسمية في قولهم : إنك لرسول الله ، فالتكذيب راجع الى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً ، وهو أنها من صميم القلب ، وخلص الاعتقاد .

(ب) أن التكذيب متجه الى تسمية إخبارهم شهادة ، لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة في الحقيقة .

(ج) أن المراد لكاذبون في قولهم : إنك لرسول الله ، لا في الواقع ، بل في زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كذباً باعتبار اعتقادهم ، وإن كان صادقاً في الواقع والحقيقة ، فكانه قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق .

ويرى تليذه الجاحظ أن الخبر غير منحصر في القسمين الصادق والكاذب ، بل الأقسام الثلاثة : صادق وكاذب وواسطة بينهما ، لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد الخبر أنه مطابق فهو صدق ، وإن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه

(١) سورة المنافقون .

غير مطابق ، فهو كذب ، وغير هذين ^(١) ليس بصدق ولا كذب .
واحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾ ^(٢) ،
فقد حصر المشركون إخبار النبي بالحشر والنشر في الافتراء ، والأخبار حال
الجنون على طريق منع الخلو والاجتماع معاً . ولا شك أن أخباره حال الجنون
ليس كذباً لجعلهم الافتراء ^(٣) في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم اعتقدوا عدم صدقه .
وقد رد هذا المعنى قولهم : ﴿ أم به جنة ﴾ أم لم يفتر فيكون مرادهم أن
أخباره ~~على ما~~ إما مختلفة قصداً أو مختلفة بلا قصد ، فعبروا عن الأول بالافتراء
وعن الثاني بوجود الجنة لاستزامه ^(٤) عدم الافتراء ، وعلى هذا يكون حصر
الأخبار في الافتراء وعدمه من قبيل حصر الكذب في نوعية العمد وغيره لا حصر
الخبر مطلقاً .

المبحث الثاني في تأليف الجمل

لكل جملة ركنان أساسيان لا بد منها في تكوينها (وهما المسند إليه) وهو
المتبداً ونحوه (والمسند) الخبر ونحوه ، وما زاد عليها من مفعول وحال وتعيين
فهو قيد زائد إلا صلة الموصول والمضاف إليه :

المسند	فالمسند إليه هو
(١) المتبداً المستغنى عن الخبر	(١) فاعل الفعل التام نحو جاء على
(٢) خبر المتبداً	(٢) المتبداً الذي له خبر نحو الصدق نافع
(٣) أخبار النواسخ كأن وكان وظن	(٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو إن الصادق محبوب
(٤) الفعل التام	(٤) فاعل الوصف نحو أسافر أخوك
(٥) المفعول الثاني لظن وأخواتها	(٥) المفعول الأول لظن وأخواتها نحو أظن خدمة الوطن فضيلة
(٦) المفعول الثالث لأرى وأخواتها	(٦) المفعول الثاني لأرى وأخواتها نحو أريت علياً الصدق نافعاً
(٧) اسم الفعل نحووي بمعنى أعجب	

- (١) وهو أربعة أقسام : المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً ، وعدم
المطابقة مع اعتقاد المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً .
(٢) سورة سبأ الآية ٨ .
(٣) وهو الكذب .
(٤) على طريق الجواز المرسل فقد أطلق اسم الملزوم وأراد اللازم .

المبحث الثالث في الغرض من إلقاء الخبر

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين :

(١) إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، ويسمى ذلك فائدة الخبر ، نحو : حروب المستقبل جوية .

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ، ويسمى ذلك لازم الفائدة ، كما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلته من طريق آخر: أنت سافرت أمس .

وربما لا يقصد من إلقاء الخبر أحد ذينك الغرضين ، بل يلقي لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام ، أهمها :

(أ) إظهار الأسف والحسرة على فائت نحو:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

(ب) إظهار الضعف نحو :

فقد كنت عدتي التي أسطو بها وبدي إذا اشتد الزمان وساعدي

(ج) الاسترحام والاستعطاف نحو:

رب إني لا أستطيع اضطباراً فاعف عني يا من يقيل العثارا

(د) التوبيخ كما تقول للطالب المهل الذي رسب في الإمتحان : « أنت رسبت في الإمتحان » .

(هـ) إظهار الفرح ، كما يقول من نجح في الإمتحان لمن يعرف ذلك : « فزت في الإمتحان » .

(و) التنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله نحو : الناس يشكرون المحسن .

(ز) التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو : لا يستوي كسلان ونشيط .

(ح) الوعظ والإرشاد نحو : ﴿ كل من عليها فان ﴾ ^(١) .

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

نموذج أول

اذكر ما يستفاد من هذه الأخبار:

- (١) هناءٌ مما ذاك العزاء المقدّم
- (٢) أصبت بسادة كانوا عيوناً
- (٣) إلهي عبدك العاصي أنا كما
- (٤) أنا القائد الحامي الذمار وإنما
- (٥) تقول للعائر : المصباح في يدك
- (٦) الحياة كطيف الخيال

الاجابة

- (١) الفرح بالمقبل ونسيان الأحزان المدبرة .
- (٢) الأسف والحزن على فقدان أولئك السادة الأجناد .
- (٣) الخشوع والضعف .
- (٤) الفخر والشجاعة والحمية .
- (٥) التوبخ والتأنيب لوجود حال تقتضي ضد ما حصل .
- (٦) العظة والاعتبار .

نموذج ثان

- (١) أهبت بالخط لو ناديت مستمعاً
- (٢) ذهب الشباب فما له من عودة
- (٣) ما أنت بالذي يمول عليه
- (٤) قيمة كل امرئ ما يحسنه
- (٥) كل امرئ بما كسب رهين
- (٦) تقول لضيف زارنا النيث

(١) كانوا يطلبون الماء اذا انقطع النيث بالاشادة بذكر المظاء والأشراف .

الاجابة

- (١) الأسف والحسرة على فوات ما كان مرجواً .
- (٢) الأسف والحسرة على ما فات .
- (٣) التوبيع وإغاطة المخاطب .
- (٤) تنشيط السامع ، وحثه على صالح العمل .
- (٥) الحث والتنشيط على العمل .
- (٦) الفرح والسرور بمقدمه .

تموين (١)

ماذا يراد من هذه الأخبار:

- (١) ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾^(١) .
- (٢) وأنت الذي رببتَ ذا الملك مرضعاً وليس له أم سواك ولا أب
- (٣) ذل من يقبض الدليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
- (٤) تقول لمن يحث على الحرب: الحرب متلفة للعباد . ذهابه بالطارف والنلاد .
- (٥) يقول الطالب لأهله : نلت الجائزة الأولى .
- (٦) يقول التاجر الذي خسر : ضاعت أتعابي سدى .
- (٧) أودى الشباب فما له منقفر وفقدت أترابي فإين المقبر^(٢)

تموين (٢)

- (١) كل نفس ذائقة الموت .
- (٢) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً .
- (٣) الظلم ظلمات يوم القيامة .
- (٤) من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها .
- (٥) مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
- (٦) رزقنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
- (٧) دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم نسطم لها عنك مدفعاً^(٣)

(١) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٢) المتقفر المنتبج ، والأتراب جمع ترب ، وهو من في سنك ، والمقبر المهرب .

(٣) مدفعاً أي دفعا .

المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر

من مزايا اللغة العربية دقة التعبير واختلاف الأساليب ، بتنوع الأغراض والمقاصد ، فمن الخطئ عند ذوي المعرفة البسط والأطناب ، إذا لم تكن الحاجة ماسة إليه ، والإيجاز حيث تطلب الزيادة ، وقد خفيت هذه الدقائق على الخاصة بله العامة ، ويرشد إل ذلك ما رواه الثقات من أن المتفلسف الكندي ركب إلى أبي العباس المبرد ، وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبدالله قائم ، ويقولون أن عبدالله قائم ، ثم يقولون أن عبدالله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فالأول إخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني ، فما أحرار المتفلسف جواباً .

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا زائداً عليها ، وإلا كان عبثاً ، ولا ناقصاً وإلا أخل بالعرض ، وهو الإفصاح والبيان ، وتعلم أيضاً أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحداً من ثلاثة :

(١) خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي إليه الكلام ساذجاً غفلاً من أدوات التوكيد التي سترد عليك ، ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، نحو : محمد مسافر .

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه بالألا يترجح عنده هذا على ذلك ، وحينئذ يحسن تقوية الحكم يؤكد ليزيل ذلك التردد ، ويسمى هذا الضرب طلبياً .

ويرى عبد القاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكك ، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة ، فيحسن تقوية الحكم له بأن ونحوها ليتمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره .

ثم قال : ومن ثم يحسن موقع إن إذا كان الخبر بأمر يبعد في الظن مثله لأن العادة جرت بخلافه كقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في اليأس

لما كان في مجرى العرف والعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم على اليأس ويحملوا فيه الغنى كما ادعى ، أكد به بأن .

(٣) المنكر للحكم ، وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره ، قوه وضعفاً ، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون الى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته ، فهو حينئذ يبالغ في تأكيده حتى يزيل إنكاره ، يدل على ذلك ما قصه الله تعالى علينا حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم الى أهل أنطاكية فكذبوهم فقالوا لهم في المرة الأولى : ﴿ إنا إليكم مُرسَلون ﴾ ^(١) وفي الثانية : ﴿ ربنا يعلم أننا إليكم لمرسلون ﴾ ^(٢) فأكدوا لهم أولاً بأن واسمية الجملة ، وثانياً بالقسم (إذ ربنا يعلم في حكم ، علم الله وشهد الله) وان اللام والجملة الاسمية لما رأوا من شديد إنكارهم ، ويسمى هذا الضرب إنكارياً ^(٣) .

والجري على هذا المنهج والسير على تلك الطريق في الأضرب الثلاثة يسمى : إخراج الكلام على مقتضى الظاهر .

وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية ، فيخرج كلامه على اعتبارها ، ويسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، ولذلك صور كثيرة ، منها :

(١) أن ينزل غير السائل منزلة السائل ، فيؤكد له الكلام إذا تقدم ما يشير الى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع اليه استشراف الطالب المتردد ، وذلك كثير في القرآن الكريم وكلام العرب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفركون ﴾ ^(٤) فحين تقدم قوله : واصنع الفلك بأعيننا ، وقوله : ولا تخاطبني ، صار المقام مقام تردد بأن القوم هل حكم عليهم بالإغراق ؟ فقليل : إنهم مفركون ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ ^(٥) . وقوله : ﴿ وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ ^(٦) .

(١ و ٢) سورة يس الآية ١٤ و ١٦ .

(٣) واعتبارات النفي كاعتبارات الاثبات فيجوز عن المؤكدات في الابتدائي ويقوي بمؤكد استحساناً في الطلبي ويجب التوكيد في الإنكاري .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .

(٥) سورة الحج الآية ١ ، فان أمرهم بالتقوى يشير الى جنس الخبر الآتي بعده وأن هناك أمراً لا تؤمن التقوى من فزعها في ذلك اليوم ، فكان المقام مقام تردد في أنه هل هناك أمامهم أمر مهم يقع لهم أن لم يتقوا ، فقليل أن زلزلة الخ ، وهكذا يقال فيها بعده .

(٦) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

وقول بعض العرب :

ففتنها وهي لك الفداء إن عناء الإبل الحداء

وقول بشار :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

(٢) أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكماً به إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار كقول حجل بن نضلة القيسي ، وهو من أولاد عم شقيق :

جاء شقيق عارضاً رحمه إن بني عمك فيهم رماح

فمجيء شقيق هكذا مدلاً بنفسه معجباً بشجاعته ، واضعاً رحمه عرضاً^(١) ، دليل على صلفه وزهوه ببسالته ، واعتقاده أنه لن يجد مقاومة من بني عمه ، حتى كأنهم عزل ليس معهم ما يدافعون به ، ومن ثم نزلته منزلة المنكر ، وخاطبه بالشطر الثاني خطاب التفات بعد غيبة ، تهكماً به ، ورمياً له بالتزق ، وخرق الرأي .

(٣) أن يجعل المنكر كأنهم غير منكر ، فلا يعتد بإنكاره ، لأن أمامه من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، مما فيه مقنع له لو أزال تلك الغشاوة عن عينيه والتفت إلى ما يحيط به ، وعليه قوله تعالى خطاباً للمكربي الوحدانية : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾^(٢) إذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تخالف أفعالهم لاختلاف علومهم وإرادتهم ، وكل منهم له التصرف في السموات والأرض ، والقدرة على إيجاد الممكنات فتتضارت أفعالهم ويفسد نظام الكون ، والمشاهد أنه على أتم نظام ، فهو الواحد لا شريك له .

(٤) أن ينزل العالم بالفائدة ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم (وهو العمل به) كما تقول لمن يسيء إلى أبيه ويقسو عليه : هذا أبوك فأحسن إليه . فكأنك تقول له : إن هذه المعاملة لتدل على أنك تجهل أبوتك لك .

وهذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي كقولك : ليس زيد منطلقاً وبمنطلق ، والله ليس على المنطلق ، وهكذا .

(١) بأن يجعل الرمح على فخذيه وهو راكب بحيث يكون عرضه جهة العدو .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

تنبيهات

(١) التوكيد تمكين الشيء في النفس وتقويته ، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه ، والمراد به في هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند اليه ، ولا تأكيد المسند ، فلو قلت : على نفسه قائم ، أو جاء علي ، لا يكون مما نحن فيه .

(٢) التوكيد في الجمل الإسمية يكون بأن ، أو بأن ، واللام ، أو بأن واللام والقسم كما قد عرفت ، وفي الجمل الفعلية يكون بقد ، أو بقد والقسم ، كقول العباس بن مرداس :

لقد عظم البعير بغير لبّ فلن يستغن بالعظم البعير

(٣) المؤكدات المشهورة هي : إن ، أن ، لام الابتداء ، نونا التوكيد ، القسم ، أما المشروطية ، أحرف التنبيه ، أحرف الزيادة ، ضمير الفصل ، تقديم الفاعل في المعنى ، نحو : محمد يقوم ، السين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد ، أو وعيد ، نحو : سأمنح المجتهد جائزة ، وسأعاقب المسيء ، قصد التي للتحقيق ، تكرير النفي ، إنما .

(٤) الخطاب بالجملة الإسمية وحدها أكد من الخطاب بالجملة الفعلية ، فإذا أريد مجرد الأخبار فقط أتى بالفعل ، وإن أريد التأكيد فبالإسمية وحدها ، أو بها مع إن أو بها وباللام ثم بالثلاثة والقسم .

هذا والتأكيد كما يأتي في الخبر يأتي في الإنشاء كقول الشاعر :

هلا تمّن بوعسد غير خلفه كما عهدتك في أيام ذي سلم

ولكنه لا يكون فيه لدفع التردد ، أو الإنكار ، لكن لدلالته على استبعاد الحكم من الخبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ ربّ إن قومي كذّبون ﴾ (١) .

(٥) من فوائد إن غير التوكيد :

(أ) ربط الجملة بما قبلها ، كما تقدم في قوله : إن غناء الإبل الحداء ، فلو أسقطت إن ، لم يقل إلا بالفاء ، فيقال : فغناء الإبل الحداء .

(١) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

(ب) تهينة النكرة وصلاحيتها ، لأن تكون مسنداً اليه كقوله :

إن دهرأ يلف شملي بسعدي لزمان هم بالإحسان

(ج) غناؤها عن الخير في بعض المواضع كقولهم : إن مالا ، وإن ولداً ،
وإن عدداً يريدون إن لهم مالا ، وإن لهم عدداً ، وعليه قول الأعشى :

إن محلاً وإن مرتجلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلاً^(١)

(د) الدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك
للشيء هو بمرأى ومسمع من مخاطب : إنه كان من الأمر ما ترى ، وأحسنتم
الى فلان ثم إنه جعل جزائي ما ترى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ رب إني وضعتها
أنثى ﴾^(٢) . ﴿ رب إن قومي كذبون ﴾^(٣) . قاله عبد القاهر في
« دلائل الإعجاز » .

(هـ) أن لضمير الشأن معها حسناً لا يكون بدونها ، نحو : أنه من يتق ويصبر .
أنه من يعمل سوءاً يجز به . أنه لا يفلح الكافرون .

تدريب أول

اذكر أضرب الخبر فيما يلي ، وبين المؤكدات التي في كل جملة :

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) ما أن ندمت على سكوتي مرة | ولقد ندمت على الكلام مراراً |
| (٢) وإني لصبار على ما ينوبني | وحسبك أن الله أثنى على الصبر |
| (٣) فما الحداثة عن حلم بمانعة | قد يوجد الحلم في الشبان والشيب |
| (٤) ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي | والنصح أغلى ما يُباع ويوهب |
| (٥) فيوم علينا ويوم لنا | ويوم نساء ويوم نسر |
| (٦) وإني لحاو تعتريني مرارة | وإني لترك لما لم أعود |

(١) تقدير المحذوف إن لنا في الدنيا محلاً ، ولنا عنها الى الآخرة مرتجلاً .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

الاجابة

الضرب	المؤكدات	الجملة	الرقم
طلبي	إن الزائدة	ما أن ندمت	(١)
إنكاري	لام القسم وقد	ولقد ندمت	
إنكاري	إن ولام الابتداء	إني لصبار	(٢)
طلبي	أن	وحسبك أن الله الخ	
طلبي	الباء الزائدة	فما الحدائث الخ	(٣)
طلبي	قد	قد يوجد الخ	
إنكاري	القسم وقد	ولقد نصحتك الخ	(٤)
طلبي	التكرير	فيوم الخ	(٥)
ابتدائي		والنصح أعلى الخ	
إنكاري	إن ولا الابتداء	وإني لحلو الخ	(٦)
إنكاري	إن ولا الابتداء	وإني لترك الخ	

تدريب ثان

- (١) إن الحياة لثوب سوف نخلمه وكل ثوب إذا ما رث ينخلع
- (٢) أئتلك الخلافة منفاة إليك تجرر أذيالها
- (٣) إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة
- (٤) قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خلق
- (٥) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه منهن بيض في العيون وسود

الاجابة

الضرب	المؤكدات	الجملة
إنكاري	إن ولام الابداء	إن الحياة لثوب الخ
ابتدائي		وكل ثوب الخ
ابتدائي		أتئتلك الخلافة الخ
إنكاري	إن ولام الابتداء	أن من البيان لسحرا
إنكاري	إن ولام الابتداء	إن من الشعر لحكمة
طلبي	قد	قد يدرك الشرف الفتى الخ
إنكاري	حرف التنبيه وإن	ألا إن أخلاق الفتى كزمانه
ابتدائي		منهن بيض في العيون وسود

تمرين (١)

من أي الأضرب الجمل الآتية ، وأيها جرى على خلاف مقتضى الظاهر؟

- ١ - ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ^(١).
- ٢ - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢).
- ٣ - قال أبو بكر رضي الله عنه : أن البلاء موكل بالمنطق .
- ٤ - ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ^(٣).
- ٥ - الإسلام حق .
- ٦ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ^(٤).

تمرين (٢)

- (١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس
- (٢) ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(٥).
- (٣) إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله
- (٤) ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها
- (٥) إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات الخيل السبع
- (٦) هي الأمور كما شاهدها دول من سره زمن ساءته أزمان

المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية

بما تمس الحاجة الى معرفته ، الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في الاستعمال ،
لوعورة المسلك ودقة الصنع ، إذ قلما يفتن له الفصحاء ذور الدراية في المنطق ،
وبيان ذلك أن الجملة قسيان :

-
- (١) سورة القصص الآية ٧٦ .
 - (٢) سورة يونس الآية ٦٢ .
 - (٣) سورة البقرة الآية ٢١١ .
 - (٤) سورة المؤمنون الآية ١٦ .
 - (٥) سورة آل عمران الآية ١٠١ .

(١) اسمية وتقيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب ، بلا نظر الى تجدد ولا استمرار ، فلا يستفاد من قولنا : علي مسافر ، سوى ثبوت السفر فعلاً لعلي دون نظر الى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبيه بالمعنى في قولنا : محمد طويل ومحمود قصير ، فكما لا يقصدها هنا الى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل يقصد إيجابها وثبوتها فقط ، كذلك لا يتعرض في قولنا : علي مسافر لأكثر من إثبات السفر فعلاً لعلي .

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كأن يكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة ، أو نحو ذلك ، فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جويرية يتمدح بالغنى والكرم :

لا يآلف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمر عليها وهو منطلق^(١)

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق تفرق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات ، كما يرشد الى ذلك ما قبله :

إنّا إذا اجتمعتم يوماً دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢) ، فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام .

(٢) فعلية ، وتدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار ، فلا يستفاد من نحو : طلعت الشمس ، إلا إثبات الطلوع فعلاً للشمس في زمن مضى .

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة^(٣) خارجة عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجتمع أجزاءه في الخارج ، بل تقتصرم وتنقضي شيئاً فشيئاً ، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن ، بخلاف الاسم ، فإنه إنما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى ، كأن يقال : أمس أو الآن أو غداً .

(١) الصرة كيس الدراهم .

(٢) سورة القلم .

(٣) أما احتياج الفعل المضارع الى قرينة في تعيين الحال أو الاستقبال فهو تعيين للمراد لا تعيين للزمن لأنه دال عليه بالوضع .

وقد تفيد الاستمرار التجديدي شيئاً فشيئاً بمعونة القرائن إذا كان الفعل مضارعاً ، ومن البين في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (١) ، فالقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنأً إثر آن ، وحالاً بعد حال . ونحوه قول طريف بن تميم العنبري يتمدح بجرأته وشجاعته :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَازَ قَبِيلَةٍ بِعَشْوَا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ (٢)

إذ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى ، ويتوسمها وقتاً بعد وقت ، لعله يهتدي إلى معرفتي . وقول المتنبي :

تَدْبِرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْفَرْبَ كَفَهَ وَلَيْسَ لَهَا يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ

فقريئة المدح تدل على أن تدبير الملك ديدنه وحاله المستمرة التي لا يحميد عنها .

تنبيهات

١ - الجملة الاسمية إنمّا تفيد الدوام والثبات بقريئة المقام إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، نحو : محمد كريم ، على أبوه جواد . أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

٢ - المسند تارة يكون مفرداً فعلاً كان أو اسماً ، وطوراً يكون ظرفاً للاختصار ، نحو : البركة في البكور . وحيناً يكون جملة للأسباب الآتية :

(أ) إذا قصد تقوية الحكم بتكرير الإسناد ، نحو قول المتنبي :

وَاللّٰهُ يَسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ

(ب) إذا قصد قصر الحكم وتخصّصه بالمسند ، نحو : أنا سميت في حاجتك ، أي لا غيري .

(ج) إذا كان سببياً أي جملة معالقة على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة ، نحو : محمد أخوه نبيه - إبراهيم نجح ابنه .

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) عكاظ أكبر الأسواق العربية التي كانت من أسباب تهذيب اللغة ، وفيها كانوا يجتمعون للتفاخر والتنافر ليلاً ولتصريف المتاجر نهاراً .

تدريب أول

بيّن فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية :

- ١ - قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْشِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١).
- ٢ - نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
- ٣ - وعلى أثرهم تساقط نفسي حشرات وذكرهم لي سقام
- ٤ - الحلف منقعة للسلعة ممحقة للبركة^(٢)
- ٥ - يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام
- ٦ - ونحي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما نحي التيسم والجداء^(٣)

الاجابة

الجملة	نوعها	ما تفيد	الايضاح
يمحو الله	مضارعية	الاستمرار	إذ محو بعض الخلائق وإثبات البعض مستمر متجدد
وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ
نروح ونغدو	مضارعية	الاستمرار	والقرينة قوله : وحاجة من عاش لا تنقضي
وحاجة من عاش الخ	اسمية	تفيد التجدد	لأن خبرها فعل
على أثرهم تساقط	مضارعية	الاستمرار	القرينة حالية وهي الحزن والأسى
وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار	القرينة حالية وهي الحزن
الحلف منقعة	اسمية	الدوام	القرينة حالية وهي الذم
يأتي على الناس الخ	مضارعية	التجدد	بقرينة المدح
ونحي له المال	مضارعية	الاستمرار	التجدي

(١) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٢) تفقت السلعة راجت في السوق ، والمحق الزوال .

(٣) الصوارم السيوف والقنا الرماح والجداء المطاء .

تدريب ثان

- ١ - سلام على القبر الذي لا يحيينا ونحن نحيا تربة ونحاطبه
- ٢ - لا خير في ود امرئ متعلق حلو اللسان وقلبه يتلهب
- ٣ - ﴿إِنْ رَبُّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ (١)
- ٤ - ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة
- ٥ - لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار البقاع تحرق
- ٦ - الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النار

الاجابة

الاجابة	نوعها	ما تفيد	الايضاح
سلام على القبر	اسمية	الدوام	بقريته الحزن والاسى
ونحن نحيا	اسمية	التجدد	لان خيرها فعل
لا خير في ود امرئ	اسمية	الدوام	لان المقام للذم
ان ربك الخ	اسمية	الدوام	بقريته الاستناد الى الله تعالى
ثمرة القناعة الخ	اسمية	الدوام	بقريته انها حكمة
لعمري لقد لاحت الخ	ماضوية	التجدد والحدوث	بقريته المدح
تحرق	مضارعية	الاستمرار التجديدي	في معرض الحكمة
الأرض مظلمة	اسمية	الدوام	

تمرين (١)

بين ما يستفاد من الجمل فيما يلي واذكر أضرب الخبر:

- ١ - فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصعني فإذا السلامة داء
- ٢ - ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّاءُ بِالْقِيَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ قَنْبِلًا ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ (٢)
- ٣ - هوى الشفاء مبرز ومقصر حب الشفاء طبيعة الإنسان

(١) سورة النجر الآية ١٤ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

- ٤ - بك اجتمع الملك المبدد شمله وضمت قواص منه بعد قواصي
 ٥ - ﴿إنا نحنُ نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون﴾ (١)
 ٦ - العین ترى کل شيء ، ولا ترى نفسها إلا بمرآة .

تمرین (٢)

- ١ - يكفكف غيلة إحدى يديه ويبسط للوثوب على أخرى
 ٢ - المجد عوفي إذ عوفيت والكرم
 ٣ - السيف أصدق أنباء من الكتب
 ٤ - ليس الزمان وإن حرصت مسالماً
 ٥ - والشيخ لا يترك أخلاقه
 ٦ - هناء محاذك العزاء المقدما
 ويزال عنك إلى أعدائك السقم
 في حده الحد بين الجد واللعب
 خلق الزمان عداوة الأحرار
 حتى يواري في ثرى رمسه
 فما عبس المحزون حتى تبسما

الباب الثاني في الانشاء

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تعريف الانشاء

الإنشاء في اللغة الإيجاد والاختراع في الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين :

١ - المعنى المصدرى وهو إلقاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه .

٢ - المعنى الاسمي وهو نفس الكلام الملقى الذي له الصفة المتقدمة .

وينقسم بالاعتبار الأول الى :

(١) طلبى وهو خمسة ^(١) أنواع : الأمر والنهي والتمنى والاستفهام والنداء ، ويعرف بأنه ما يستدعى مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

(٢) غير طلبى وهو ما يستدعى مطلوباً حاصل .

وأأنواعه كثيرة ، منها صيغ المدح والذم ، نحو : نعم الخليفة عمر ، وبئس الظالم الحجاج ، والعقود كعبت واشتريت ووهبت ، والقسم نحو : تالله لأصدقنك ، والتمعجب نحو : ما أجل الصدق ، والرجاء بمسى ولعل ونحوهما نحو : لعل الله يأتي بالفرج ، ورب وكم الخبرية .

والذي يهتم بالبليغ بالبحث عنه هو القسم الأول ^(٢) لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني .

(١) لأن المطلوب إن كان غير متوقع الحصول فهو التمني وإن كان متوقفاً ، فاما حصول صورة شيء في الذهن فهو الاستفهام وإما حصول صورة شيء في الخارج فإن كان انتفاء فهو النفي ، وإن كان ثبوتاً فاما بأحرف النداء فهو المناهى ، وإما بتغيرها فهو الأمر .

(٢) ولأن كثيراً من الانشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت الى الانشاء .

المبحث الثاني في التمني

هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ،
كقول المتنبي :

فليت وقاركَ فَرَقْتَهُ وحملت أرضك ما تحمل
وأما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ^(١) ، فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود
كان ترجياً ويعبر فيه بعسى ولعل . كقوله :

عسى الله أن يجرى المودة بيننا ويوصل حبلاً منكمو بحبالها
وقوله :

تأَنَّ ولا تمجِّلْ بلومك صاحباً لعل له عذراً وأنت تلوم
وقد يعبر فيه بليت كقول قريظ من بلسنبر يهجو قومه :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركباناً
والأفاظ التمني أربعة : واحدة أصلية ، وهي ليت ، وثلاثة نائية عنها ، وهي :
١ - (هل) نحو : ﴿ قُلْ لَنَا مِنْ شِئَاءٍ فَيشْفَعُوا لَنَا ﴾ ^(٢) . ويبرز بها
التمني في شكل المستفهم عنه الذي لا يعجزم بانتفائه ، إظهاراً لكمال العناية به
حتى لا يستطاع الاتيان به إلا في صورة الممكن المطموح في وقوعه .

٢ - (لو) نحو : ﴿ لَوْ ^(٣) أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) ،
ويتمنى بها إشعاراً يعززه التمني حيث أبرز في صورة ما لا يوجد ^(٥) .

٣ - (لعل) ويتمنى بها إذا كان المرجو بعيداً ميثوساً من حصوله ، فصار
شبيهاً بالمحالات والممكنات التي لا طمعية في حصولها ، نحو :
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ يَعْبُرُ جَنَاحَهُ لعلِّي إلى من قد هويت أطيْر

(١) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٢) دليل أنها للتمني أنهم يعلمون عدم الشفيع .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٢ .

(٤) دليل أنها للتمني نصب الجواب والكرة والرجمة .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٣ .

(٦) لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع .

(تنبيه) يتمنى بهلا وألا ولو لا ولو ما ، وهي ألفاظ مركبة من هل ولو مع لا وما ، والشرط ألا هلا ، قلبت الهاء همزة ، لتبين دلالتها على التمني ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، ويتولد من التمني معنى التنديم في الماضي ، نحو : هلا ^(١) سافرت ، ومعنى التحضيض في المستقبل ، نحو : هلا تخلص في عملك ^(٢) .

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني ينصب المضارع في جوابها .

تمرين

يبين الأدوات التي تفيد التمني والتي تفيد الترجي في التراكيب الآتية :

- ١ - ليت المدائح تستوفي مناقبه فلما كليب وأهل الأعصر الأول
- ٢ - لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم
- ٣ - فيا ليت ما بيني وبين أحبي من البعد ما بيني وبين المصائب
- ٤ - فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
- ٥ - لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل
- ٦ - فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي أكون رفاقاً لا علي ولا لي
- ٧ - فلو نشر المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير ^(٣)
- ٨ - هل إلى 'مرد' من سبيل ^(٤)

المبحث الثالث في الاستفهام

الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به ، بأداة من إحدى أدواته وهي : الهزمة وهل ومن ومتى وأيان وأين وأنى وكيف وكم وأي . وتنقسم بحسب الطلب ثلاثة أقسام :

(١) فالعنى ليتك سافرت .

(٢) تقصد حثه على الاخلاص.

(٣) قاله مهمل في رثاء أخيه كليب وذلك أن مهلاً زير نساء ولا يأخذ بثأر ، فلما أدرك ثأر أخيه قال ذلك ، والذنائب موضع ، وأي رفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، فكانه : أي زير أنا .

(٤) إذ أهل النار يعلمون أنه لا مرد لهم ، الآية ٤٤ من سورة الشورى .

١ - ما يطلب به التصور قارة ، والتصديق أخرى ، وهو الهمزة .

٢ - ما يطلب به التصديق فحسب وهو هل .

٣ - ما يطلب به التصور فحسب ، وهو الباقي .

الكلام على الهمزة

للهمزة حالتان :

١ - أن تكون لطلب تصور المفرد ومعرفة ، كطلب معرفة المسند اليه ، أو المسند أو غيرها فتقول : أحمد مسافر أم محمود ، اذا كنت تعتقد أن أحدهما مسافر ، ولا تعلم عينه فتطلب تعيينه فتجيب بأنه محمود مثلاً ، وتقول : أمسافر محمود ، أم مقيم ؟ فتجيب بأنه مقيم مثلاً . وهذه الهمزة لا يليها إلا المسئول عن سواء أكان :

(أ) مسنداً كما تقول : أبليت الدار التي كنت أزمعت أن تبنيها ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ تبدأ في مثل هذا بالفعل ، لأنك متردد بين وجوده وانتفائه .

(ب) أم مسند اليه نحو : أنت ابتكرت هذه الخطبة ؟ أنت بنيت هذه الدار ؟ تبدأ في هذا بالفاعل ، لأنك لم تشك في الفعل أنه كان ، وكيف يحول الشك بخاطرك وأنت ترى داراً مبنية ، وتشير الى خطبة مكتوبة ، وإنما أنت تشك في الفاعل من هو ، فلو قلت : أنت أنشأت الخطبة التي كان في نفسك أن تكتبها ، خرجت عن سنن المخاطب ، وكذا لو قلت : أبليت هذه الدار ، أقلت هذا الشمر ، تكون قد قلت ما لا يصح أن يقال لفساد أن تقول في شيء مشاهد نصب عينيك أموجود أم لا .

(ج) أم مفعولاً نحو : أياي تريد ؟

(د) أم حالاً نحو : أمستبشراً جاء على .

(هـ) أم ظرفاً نحو :

أبعد بني عمرو أسره بمقبل من العيش أو آسي على إثر مدبر
وهكذا قياس سائر المتعلقات .

(تنبيه) يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظ أم كما تقدم ، ويجوز حذفه ، نحو : أرغب أنت في إنجاز حاجتي ، إذ تقديره : أم أرغب عنها وكاره إنجازها .

٢ - أن يطلب بها التصديق أي إدراك نسبة يتردد العقل بين ثبوتها ونفيها ، والكثير أن يكون ذلك جملة فعلية نحو : أقدم صديقك ؟ ^(١) ويقل أن يكون جملة اسمية نحو : أقدم صديقك ؟ ويجاب في هذين بلا أو بنعم .

ويمتنع أن يذكر مع هذه معادل ، فإن جاءت أم بعدها قدرت منقطعة بمعنى بل ^(٢) .

اللام في هل

هل حرف لطلب التصديق فحسب أي معرفة وقوع النسبة أم عدم وقوعها فتقول : هل قدم أخوك من السفر ؟ فتجاب بنعم أو بلا .

ولأجل اختصاصها بالتصديق لأصل الوضع :

١ - امتنع أن يذكر معها معادل بعد أم ، لأن ذلك يؤدي الى التناقض ، فإن هل تفيد أن المسائل جاهل بالحكم ، لأنها لطلبه ، وأم المتصلة تفيد أن السامع عالم به ، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين ، فإن جاءت بعدها أم كانت منقطعة بمعنى بل التي تفيد الأضراب كقول قتيلة ترثي أباهما النضر :

هل يسمعن النضر إن قاديتيه أم كيف يسمع ميت لا ينطق

٢ - وقبح استعمالها في التراكيب التي هي مظنة العلم بمضمون الحكم ، نحو : هل محمداً كلمت ؟ إذ تقديم المفعول على الفعل يكون للتخصيص غالباً ^(٣) ، وهذا يفيد علم المتكلم بالحكم ، وإنما يطلب التخصيص فحسب ، وحينئذ تكون هل لطلب تحصيل ما هو حاصل وهو عبث .

(١) فقد تصورت القدم والتصديق والنسبة بينها وسألت عن وقوع النسبة بينها هل هو محقق خارجياً ، فإذا قيل : قدم ، حصل التصديق ، فالسائل في مثل هذا يطلب تعيين النسبة .

(٢) لم أر شاهداً عربياً يؤكد استعمال أم بعد همزة التصديق ، بل سمع ذلك بعد هل فقط .

(٣) ومن غير الغالب يكون التقديم للاهتمام بالقدم وحينئذ فلا يفيد التقديم العلم بالحكم .

تنبيهات

١ - هل كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال ، فلا تستعمل فيما هو الحال فلا يقال : هل تنهر هذا وهو أبوك ، بل يقال : أنتهر هذا وهو أبوك .

٢ - الراجع أن توصل هل بفعل لفظاً أو تقديرأ ، نحو : هل يقدم هاشم من السفر ؟ وهل هاشم يقدم من السفر ؟ وذلك لاختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال ، فإن عدل عنها الى الاسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء (وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتماماً بشأنه) ومن ثم كان قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ ^(١) أدل على طلب شكر العباد من : (أفأنتم شاكرون ^(٢) فهل تشكرون ، فهل انتم تشكرون ^(٣)) .

٣ - هل نوعان :

(أ) بسيطة ^(٤) وهي ما يستفهم بها عن وجود الشيء أو عدم وجوده نحو : هل الحل الرقي موجود ؟

(ب) مركبة ، وهي ما يستفهم بها عن وجود شيء شيء ، نحو : هل المريح مسكون ؟

٤ - علم مما سبق أن همزة التصور يليها المسئول عنه ، وليس كذلك همزة التصديق وهل ، لأن السؤال بها إنما يكون عن النسبة .

٥ - بين الهمزة ، وهل الفروق الآتية :

لا تدخل هل على

(أ) النفي فيمتنع هل لم يسافر علي .

(ب) المضارع الذي للحال فيمتنع هل تحتقر علياً وهو مؤدب ؟

(ج) الشرط فيمتنع هل إن نجحت أكافأ .

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٠ .

(٢) لأن الجملة وإن كانت اسمية تفيد الثبوت لكن هل ادعى للفعل من الهمزة فتركه معها أدل على كمال العناية بمحصول ما سيتجدد .

(٣) إذ هي داخلة على الفعل تقديرأ لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره المذكور .

(٤) إذا اعتبر في هذا وجود الحل فقط ، بخلاف الذي بعده ، فإنه يلاحظ فيه وجود المريح وسكنائه ، ولهذا ساء أن تسمى الاولى بسيطة والثانية مركبة .

- (د) إن فيمتنع هل إنك مسافر .
 (هـ) حرف العطف، فيمتنع هل فيتقدم بعد ذلك وتدخل الهمزة على جميع ما ذكر .

من وما

- (من) يطلب بها تعيين أحد العقلاء ، نحو : من شيد الهرم الأكبر .
 (ما) للاستفهام عن غير العقلاء ، وهي أقسام :
 (أ) ما يطلب بها إيضاح الاسم وشرحه ، نحو : ما السُّبحين ؟ فيجواب بأنه الفضة .
 (ب) ما يطلب بها بيان حقيقة ^(١) المسمى نحو : ما الحسد ؟ فيجواب : بأنه تنفي زوال نعمة المحسود .
 (ج) ما يطلب بها بيان حال الشيء نحو قولك لقدام عليك وأنت لا تعرفه :
 ما أنت ؟ وقول المتنبي :
 ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الأعصر الأول

متى وأيان وأين وأنى

- (متى) يطلب بها تعيين الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً ، نحو : متى قدمت ؟ ومتى تسافر ؟
 (أيان) يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة ، وتكون في مقام التفعيم والتهويل ، نحو : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٢) .
 (أين) يطلب بها تعيين المكان نحو : أين تسافر ؟
 (أنى) تكون :
 (أ) بمعنى كيف ، نحو : أنى تتقدم الصناعة ، ولم تمرها الأمة عناية ؟
 (ب) بمعنى من أين نحو : أنى لك هذا المال ، وقد عهدتك معدماً ؟
 (ج) بمعنى متى ، نحو : أنى يفيض نهر النيل ؟

(١) تقع هل البسيطة في الترتيب بين الأولى والثانية، لأن الترتيب الطبيعي يقتضي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود الشيء معرفة ماهيته وحقيقته .
 (٢) سورة القيامة الآية ٦ .

كيف كم وأي

(كيف) يطلب بها تعيين الحال، نحو: كيف التعليم بمصر؟
(كم) يطلب بها تعيين عدد منهم، نحو: كم مملكة اشتركت في الحرب العظمى؟

(أي) يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في شيء، يعمها نحو: أي البلدين أديفأ جو القاهرة أم الإسكندرية؟ وهي بحسب ما تضاف اليه فيسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد، الى غير ذلك، في أي يوم تسافر؟ في أي مكان تقيم؟ أي صاحبك أحسن خلقاً أحمد أم علي؟ بأي ذنب قتلت؟

(تنبيه) قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، أهمها:

١ - الاستبطاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾^(١). وقول أبي العلاء:

إلامَ وفيه تنقلنا ركاب وتأمل أن يكون لنا أوان^(٢)

٢ - التعجب، نحو: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق﴾^(٣)، وقول الآخر:

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي عندي الأدباء

٣ - التنبيه على ضلال المخاطب، نحو: فأين تذهبون^(٤)؟

٤ - الوعيد والتخويف، نحو قوله تعالى: ﴿ألم 'نهلك الأولين﴾^(٥).

٥ - الأمر، نحو: ﴿فهل من 'مد' كثر﴾، ونحو: أتصون بديك عن الأدنى؟

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤.

(٢) الى متى تسير هذه المطايا ورجو أن يكون لنا وقت تجزيها فيه على إحسانها بنا.

(٣) سورة المائدة الآية ٨٤.

(٤) فليس المقصد الاستفهام عن ملهمهم بل التنبيه عن ضلالهم وأنه لا مذهب لهم ينجون به.

(٥) سورة الرسالات الآية ١٦.

٦ - النهي ، نحو: ﴿ اتخشونهم فالله أحق أن تحشوه ﴾^(١).

٧ - التقرير بمحمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإجاءته إليه .

وحكم الهمزة فيه حكمها في همزة الاستفهام من إيلاء القرية الهمزة ، فإذا قلت : أفعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وإذا قلت : أنت فعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأنه هو الفاعل ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمرود: ﴿ أنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾^(٢) إذ غرضهم أن يقرّ لهم بأنه قد كسر أصنامهم لا أن يقرّ لهم بأنه هل حصل كسر، يدل على ذلك جواب إبراهيم بقوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾^(٣) ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أم لم أفعل .

٨ - الإنكار، ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة ، ويكون:

(أ) إما للتوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغي أن يكون كقوله تعالى : ﴿ تأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم ﴾^(٤) ، وأما بمعنى لا ينبغي أن يكون كقولك للرجل، يضيع الحق : أتنتسى قديم إحسان فلان اليك ؟ وقولك للرجل يركب الخطر: أتعجز في هذا الوقت؟ والغرض في مثل هذا تنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما هم به .

(ب) وإما للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن ، نحو : ﴿ أفأصطفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا ﴾^(٥) : ﴿ اصطفى البنات على البنين ﴾^(٦) أو في المستقبل بمعنى لا يكون نحو: ﴿ أنزلكموها وأنتم لها كارهون ﴾^(٧) .
وقول امريء القيس :

(١) سورة التوبة الآية ١٣ .

(٢ و ٣) سورة الأنبياء الآيتان ٦٢ و ٦٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(٥) سورة الاسراء الآية ٤٠ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٥٣ .

(٧) أي أنزلكم تلك الحجة وفسركم على قبولها وأنتم كارهون لها .

أَيَقْتَلَنِي وَالْمُشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ "زُرُق" كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ^(١)
وقول الآخر:

أَتَرَكُ أَنْ قَلْتُ دَرَهْمَ خَالِدٍ زِيَارَتِهِ إِنِّي إِذَا لِلشِّمِّ
وَمِنْ مَجِيءِ الْهَمْزَةِ لِلإِنْكَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢)
وقول جرير:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطَوْنِ رَاحٍ^(٣)
إِذَا الْمَعْنَى: اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ، وَأَنْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا، لِأَنَّ نَفْيَ النَّفْيِ
إِثْبَاتٌ، وَهَذَا مُرَادٌ مِنْ قَالٍ: إِنَّ الْهَمْزَةَ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ، أَيْ لِلتَّقْرِيرِ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ،
لَا لِلتَّقْرِيرِ بِالْإِنْتِفَاءِ.

٩ - التَّهْكُمُ، نَحْوُ: أَرَأَيْكَ يَرْشُدُكَ إِلَى مَا تَقُولُ؟ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٤). وقوله:

وَمَا أَدْرِي وَلَسْتُ إِخَالَ أَدْرِي أَقُومُ آلَ حَصْنٍ أَمْ نِسَاءٍ
١٠ - الْاسْتِبْعَادُ، نَحْوُ: أَنَّى يَرَى ذَلِكَ وَهُوَ أَكْمَهُ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ
مَجْنُونٌ﴾^(٥).

١١ - التَّهْوِيلُ، نَحْوُ: ﴿الْقَارِعَةُ الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٦).
١٢ - التَّحْقِيرُ، نَحْوُ: أَهَذَا الَّذِي كُنْتَ تَطْنُبُ فِي مَدْحِهِ، أَهَذَا الَّذِي كُنْتَ
تَرْكُنَ إِلَيْهِ.

١٣ - التَّعْظِيمُ، نَحْوُ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ:

(١) المُشْرِفِيُّ مُنْسَوْبٌ إِلَى مُشَارِفِ الْيَمَنِ، وَهِيَ بِلَادٌ تَعْمَلُ فِيهَا السُّيُوفُ وَنَسَاجُ مَسْنُونَةٍ حَادَةٍ
لِلنِّصَالِ، وَزُرُقٌ صَافِيَةٌ مَجْلُودَةٌ كَأَنْيَابِ الْأَغْوَالِ فِي الْحَدَةِ.

(٢) سُورَةُ الزُّمَرِ آيَةُ ٣٦.

(٣) الْمَطَايَا جَمْعُ مَطِيَّةٍ، وَأَنْدَى مِنَ النَّدَى وَهُوَ الْكُرْمُ، وَالرَّاحُ جَمْعُ رَاحَةٍ بَاطِنِ الْكَفِّ.

(٤) كَانَ شُعَيْبٌ كَثِيرَ الصَّلَوَاتِ إِذَا رَأَى قَوْمَهُ تَضَاحَكُوا وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ (سُورَةُ هُودٍ آيَةُ ٨٧).

(٥) سُورَةُ الدُّخَانِ آيَةُ ١٣.

(٦) الْقَارِعَةُ النَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ تَنْزُلُ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ وَبِهِ سَمِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (سُورَةُ الْقَارِعَةِ).

إذا لم تطأ أرض الحصب ركبنا فأي فتى بعد الحصب تزور^(١)

١٤ - النفي :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خفض

١٥ - التمني ، نحو :

هل بالطول لسائل رد^١ أم هل لها بتكلم عهد^٢

١٦ - التشويق ، نحو : ﴿ أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب

أليم ﴾^(٢).

١٧ - التكثير ، نحو قول أبي العلاء المعري :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ب فأين القبور من عهد عاد

١٨ - التسوية ، نحو : ﴿ سواء علينا أوعظت أم لم تكن من

الواعظين ﴾^(٣).

تدريب أول

١ - أنلهو وأيامنا تذهب ونلعب والموت لا يلعب

٢ - متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدم

٣ - فعلام يلتبس المدو مساءقي من بعد ما عرف الخلائق شاني

٤ - وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

٥ - وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب

٦ - أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

٧ - ومن مثل كافور إذ الخيل أحجبت وكان قليلاً من يقول لها اقدمي

٨ - متى يستقيم الظل والعود أعوج وهل ذهب الأبريز يحكيه بهرج

(١) الحصب من ولاة مصر .

(٢) سورة الصف الآية ١٠ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٦ .

الاجابة

- (١) التوبىخ بمعنى لا ينبغى أن يكون .
- (٢) النفي أي لا يبلغ التام مطلقاً .
- (٣) الاستبعاد .
- (٤) النفي أي لا أخاف الفقر .
- (٥) النفي .
- (٦) التعظيم لشأنه .
- (٧) التعظيم لشأن المدوح .
- (٨) النفي .

تدريب ثان

- ١ - أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضا شاعرٌ مثلي
- ٢ - أعندي وقد مارست كل خفية يصدق واش أو يخيب سائل
- ٣ - فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير^(١)
- ٤ - ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت^(٢)
- ٥ - ومن ذا الذي ترضى سجاياء كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
- ٦ - ألم قر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

الاجابة

- (١) الإنكار وبيان أن ذلك ما كان ينبغى أن يكون .
- (٢) التهم أو الإنكار لا ينبغى أن يكون .
- (٣) التحقير لشأن المخاطب بضرب المثل .
- (٤) التعظيم لشأن ذلك الموقف .
- (٥) التعظيم لشأن ذلك الجامع الجميل الخصال .
- (٦) التقرير وبيان أنه قد أعطى البطش والقوة .

(١) الطنين صوت أجنحة الذباب ، ويضير يضر .

(٢) مصلت مسلول .

تدريب ثالث

سل عما يأتي :

- (١) حال الزراعة بالسودان .
- (٢) مكان اصطيد الحيوانات المفترسة .
- (٣) معنى القند .
- (٤) مخترع البرق الأثري (التلغراف اللاسلكي) .
- (٥) 'مدخل زراعة القطن بمصر .
- (٦) موسم الحج وإقامة شعائره .
- (٧) عدد الناجحين في الإمتحان .
- (٨) ترددت في مجيء علي في عربة أو سيارة .
- (٩) ترددت في زرع القطن في يناير أو فبراير .
- (١٠) للفائز في لعب الكرة الخديوية ، أو التوفيقية .

الاجابة

- (١) كيف الزراعة بالسودان ؟
- (٢) أين تصطاد الحيوانات المفترسة بالسودان ؟
- (٣) ما القند (عسل السكر) ؟
- (٤) من اخترع البرق الأثري ؟
- (٥) من أدخل زراعة القطن بمصر ؟
- (٦) متى موسم الحج ؟
- (٧) كم الناجحون في الإمتحان ؟
- (٨) أفي عربة جاء علي أم في سيارة ؟
- (٩) أفي يناير أم فبراير يزرع القطن ؟
- (١٠) الخديوية فازت أم التوفيقية ؟

تمرين أول

بيّن المعاني التي تستفاد من الاستفهام في الجمل الآتية :

(١) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَرْبِّكْ فِينَا وَلِيدًا ﴾^(١) .

(١) سورة الشعراء الآية ١٨ .

- (٢) ﴿أَحْسِبْ الْإِنْسَانَ أَن يَتْرَكَ سُدًى﴾^(١) .
 (٣) ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ﴾^(٢) .
 (٤) أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي .
 (٥) هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه .
 (٦) ألا تحبون أن يغفر الله لكم .
 (٧) أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً .
 (٨) أهذا الذي بعث الله رسولا .

تمرين ثان

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| ١ - أتراني وقد طويت حياتي | في مراس لم أبلغ اليوم رشدي |
| ٢ - من ذا يعيرك عينه تبكي بها | أرأيت عيناً للبكاء تمار |
| ٣ - كيف ترقى رقبك الأنبياء | يا سماء ما طاولتها سماء |
| ٤ - شرف العصامين صنع نفوسهم | من ذا يقيس بهم بني الأشراف |
| ٥ - مالي أراكم تنكرون مكانتي | الشمس لا تخفى مع الإشراف |
| ٦ - أين الذي الهرمان من بنيانه | ما قومه ما يومه ما المصراع |
| ٧ - أعندكم نبأ عن أهل أندلس | فقد سرى بحديث القوم ركبان |
| ٨ - ما أنت يا دنيا أرويا فائم | أم ليل عرس أم بساط سلاف |

تمرين ثالث

سل عما يأتي :

- (١) إقامة مهرجان المولد النبوي .
 (٢) شككت في اسم المأمون .
 (٣) حال المعادن بمصر .

(١) سورة القيامة الآية ٣٦ .

(٢) سورة مريم الآية ٢٠ .

- (٤) فأكمة على المائدة لا تعرف اسمها .
- (٥) عن الوقت لتضبط ساعتك .
- (٦) نزل مطر لا تعلم زمن نزوله .
- (٧) بدء نزول الأمطار بالسودان .
- (٨) قدم أحد أخويك ولا تدري من هو .
- (٩) عدد صفحات الكتاب .
- (١٠) وقت دخول المجلس النيابي بمصر .
- (١١) مكان المدرسة .
- (١٢) مستقبل مصر .

المبحث الرابع في الأمر

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء ^(١) ، وله صيغ أربع :

- ١ - فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ واصنع الفلّك بأعيننا ووحينا ﴾ ^(٢) .
- ٢ - المضارع المقترن بلام الأمر نحو : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ ^(٣) .
- ٣ - اسم فعلي الأمر ، نحو :

وحذار أن ترضى مودة من يُقلي المقلّ ويمشق المثري

- ٤ - المصدر النائب عن فعله ، نحو :

فصبراً معين الملك إن عن حادث فعاقبه الصبر الجميل جميل

والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي طلب ^(٤) الفعل على وجه اللزوم وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق ، نحو : قم وسافر . وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث ، وأهمها ما يأتي :

- (١) الدعاء ، نحو :

فأسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعلياً بالنصر والتأييد

(١) وهو عد الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في الواقع أم لا .

(٢) سورة هود الآية ٣٧ .

(٣) سورة الطلاق الآية ٧ .

(٤) ويستفاد الفور أو التراخي من القرائن .

- (٢) الإلتباس : كما تقول لمن هو في منزلتك : أعطني كتابك .
- (٣) الإرشاد ، نحو : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ (١) .
- (٤) التعجيز كقول الفرزدق يخاطب جريراً :
 أولئك آبائي فجثني بثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع
 (٥) الإهانة والتحقير ، كقول أبي العلاء المعري في الفخر :
 أرى النقاء تكبر أن تصطادا فمائد من تطيق له غنادا (٢)
 (٦) التهديد ، نحو :
 إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
 (٧) الاعتبار ، نحو : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر ﴾ (٣) .
- (٨) التمني ، نحو :
 يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي (٤)
 (٩) التخيير ، نحو :
 عش عزيزاً أو مت وأنت كريح بين طمن القنا وخفق البنود (٥)
 (١٠) الإباحة ، نحو : اختر ما تشاء .
- (١١) الدوام ، نحو : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٦) .
- (١٢) التأديب ، وهو ما يكون لتهديب الأخلاق والعادات نحو : كل مما يليك .
- (١٣) التعجب ، نحو : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ (٧) .

(١) العفو نقبض الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس ولا تكلفهم ما يشق عليهم العرف الجميل من الأفعال ، والأعراض عن الجاهلین يكون بالحلم عنهم (سورة الأعراف الآية ١٩٩) .

(٢) العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٩ .

(٤) عبلة بنت عمه ، والجواء واد بديار بني عبس ، وعمي صباحاً كلمة تحية .

(٥) البنود جمع بند العلم الكبير ، وخفقها اضطرابها .

(٦) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٧) سورة الاسراء الآية ٤٨ .

نموذج أول

يَتَن ما يراد بصيغ الأمر في التراكيب الآتية :

- ١ - قال ﷺ : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .
- ٢ - أسيتي بنا أو أحسنني لا ملومة " لدينا ولا مقلية إن قفلت
- ٣ - عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
- ٤ - ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ (١) .
- ٥ - قف بتلك القصور في اليم غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً
- ٦ - انظر الى القبة الفراء مذهبية كأنما الشمس أعطتها حياها

الاجابة

صيغة الأمر	الفرض منها	صيغة الأمر	الفرض منها
(١) أفشوا السلام	الارشاد	أسروا قولكم	التخيير
(٢) أسيتي بنا	التسوية	قف بتلك القصور	الاعتبار والعظة
(٣) عش سالماً	الدعاء	أنظر	التعجب

نموذج ثان

- ١ - أريني جواداً مات هزلاً لملني أرى ما ترين أو بخيلاً غلداً
- ٢ - قال تعالى : ﴿ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٢) .
- ٣ - قد رشحوك لأمر إن فطنت له قارباً بنفسك أن ترعى مع الحمل
- ٤ - ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ (٣) .
- ٥ - ليس هذا بعشك فادرجي .
- ٦ - اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

(١) سورة الملك الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ .

(٣) سورة طه الآية ٢٥ .

الاجابة

صفة الأمر	الفرض منها	صفة الأمر	الفرض منها
(١) أريني جواداً (٢) هاتوا برهانكم (٣) أربأ بنفسك	التعجيز التعجيز الارشاد	أشرح لي صدي ادرجي اعمل لديك	الدعاء الإهانة الارشاد

تموين (١)

بيّن ما يستفاد من صيغ الأمر فيما يلي :

- ١ - غفرانك ربنا وإليك المصير .
- ٢ - فأتوا بسورة من مثله .
- ٣ - ادخلوها بسلام آمنين .
- ٤ - تمتعوا فإن مصيركم الى النار .
- ٥ - فاقض ما أنت قاض .
- ٦ - ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق .

تموين (٢)

- ١ - فانهض الى صهوات المجد معتلياً فالباز لم يأو إلا عالي القل
- ٢ - الما على معن وقولا لقبره سقتك الفوادي مربعا ثم مربعا
- ٣ - حاول جسيات الأمور ولا تقل إن الهامد والملا أرزاق
- ٤ - فيا موت زر إن الحياة كرحمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل
- ٥ - ليدع المدعون العلم والأدبا فقد تغيّب عبدالله واحتجبا
- ٦ - أيتها النفس أجلي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

المبحث الخامس في النهي

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وليس له إلا صيغة واحدة هي : المضارع ، مع لا الناهية ، نحو : ﴿ ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ (١).

ومدلوله طلب الكف عن الفعل فوراً كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب ، وقد يستعمل منه معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث مجوزاً واتساعاً في الاستعمال ، وأهمها :

١ - الدعاء ، نحو : ﴿ ربنا لا تحمِلنا ما لا طاقة لنا به ﴾ (٢).

٢ - الإرشاد ، نحو :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوت

٣ - التهديد ، نحو : لا تنته عن غيك .

٤ - التوبيخ ، نحو :

فلا يخذلوك لموع السراب ولا تأت أمراً إذا ما اشتبه

٥ - الالتماس ، نحو :

لا تطويا السر عني يوم نائبة فإن ذلك ذنب غير مغتفر

٦ - التمني ، نحو :

أعيني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى

٧ - التوبيخ ، نحو :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

٨ - التسلية والصبر ، نحو : ولا تجزع فإن الله رحيم بعباده .

نموذج

أذكر ما يراد بصيغ النهي الآتية :

١ - ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ﴾ وأنتم تعلمون ﴿ (٣) .

(١) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٤٢ .

- ٢ - لا تكن رطباً فتعصر ، ولا يابساً فتكسر .
 ٣ - لا تعذروا اليوم .
 ٤ - لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
 ٥ - لا تحتجب عن العيون أيها القمر .
 ٦ - لا تعرضن لجعفر مثبهاً بئدي يديه فلست من أنداده

الاجابة

- (١) التوبخ لهم على خطيئهم الحق بالباطل .
 (٢) الإرشاد الى حسن الخلق .
 (٣) التيسيس .
 (٤) التوبخ والتقريع .
 (٥) التمني .
 (٦) التوبخ والتأنيب .

تمرين (١)

ماذا يراد بصيغ النهي الآتية :

- (١) ولا تمش في الأرض مَرَحاً .
 (٢) ولا يضار كاتب ولا شهيد .
 (٣) ولا تجعل يدك مفلولة الى عنقك .
 (٤) ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا .
 (٥) لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤم .
 (٦) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

تمرين (٢)

- ١ - ولا يفرنك بشر من أخي ملق . فرونق الآل لا يشفى من الفل
 ٢ - لا تلهينك عن معادك لذة . قفنى وقورث دائم الحشرات
 ٣ - لا تودع السر مشاء به مذلاً . فما رعى غنماً في الدو سرحان^(١)

(١) المشاء كثير الوشاية ، والمذل المفسد ، والدو الفلاة ، والسرحان الذئب .

- ٤ - لا تلتصق من عيوب الناس ما ستروا .
 ٥ - لا تحسبن " سروراً دائماً أبداً .
 ٦ - لا تعاد الناس في أوطانهم .

المبحث السادس في النداء

هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كادعو ونحوه ، وأدواته ثمان :

يا والهمزة وأي وآ وأيا وهيا ووا .

وهي في الاستعمال قسمان :

١ - الهمزة وأي للقريب .

٢ - باقي الأدوات للبعيد .

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة أو أي تنبيهاً على أنه لا يغيب عن القلب ، بل هو مالك الفؤاد واللب ، فكأنه حاضر الجثمان ، ليس بناء عن العيان ، كقول الضبي^(١) في رثاء ابنه :

أأي لا تبعد وليس بخالد حي ومن تصب المنون بعيد

كما قد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد فينادى بإحدى أدواته إما :

(أ) للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن فيجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان كقول أبي بكر بن النطاح في مدح أبي دلف المعجلي :

أبا دلف بورككت في كل بلدة كما بورككت في شهرها ليلة القدر^(١)

(ب) للإشارة إلى أنه وضع ، منقط الدرجة ، وعليه قول الفرزدق

يهجو جريراً :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجماع

(ج) للإشعار بأن السامع غافل لاه ، فتمتبه كأنه غير حاضر في مجلسك ، وعليه قول البارودي :

يأها السادر المزور^(٢) من صلف مهلاً فإنك بالأيام منخدع^(٣)

(١) أبو دلف المعجلي أحد القواد الشجعان في عهد المأمون والمعتصم ، توفي سنة ٢٦٢ هـ .

(٢) السادر الداهب عن الشيء ترفعاً ، والمزور المنحرف ، والصلف الكبر .

وقد تخرج ألفاظ النداء الى معان أخرى تستفاد من القرائن ، ومن ذلك :

١ - التحسر والتوجع ، كقول حافظ في الرثاء :

يا درة نزع من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان
وقول من رثى معن بن زائدة :

فيا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعاً^(١)

٢ - التعجب ، كقول طرفة :

يا لك من قبرةٍ بمعر خلا لك الجو فيبضي واصفري^(٢)

٣ - الاختصاص ، كقوله :

إنابني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

٤ - الندبة ، كقول أبي العلاء :

فواعجباً كم يدعى الفضل ناقص ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل

٥ - الإغراء ، كقولك للجندي المتردد في الدفاع : يا شجاع تقدم .

٦ - الزجر والملامة ، نحو :

أفؤادي متى المتساب ألما تصح والشيب فوق رأسي ألما^(٣)

٧ - الاستفائة ، نحو :

يا للرجال ذوي الأبواب من نَقَر لا يبرح السفينة المردى لهم ديناً^(٤)

٨ - التحير والتذكر ، وقد كثر ذلك في نداء الأطلال والمنازل والمطايا ،

كقوله :

أيا منازل سلى أين سلك من أجل هذا بكيناها بكيناك^(٥)

(١) المترع الملاء .

(٢) الشطر الثاني يضرب مثلاً للحاجة يتمكن منها صاحبها .

(٣) ألم الثانية بمعنى تزل .

(٤) المردى المهلك ، والدين العادة .

(٥) فيه حذف حرف العطف ، أي وبكيناك ، يريد أنه بكى على سلى ، وبكى على المنازل

لعدم وجود سلى بها .

وقول أبي العلاء :

يا ناق جدي فقد أفنت أباتك بي صبري وعجري وأحلاسي وأنساعي^(١)

تنبيه

الأكثر أنت يصحب النداء أمر أو نهى ، نحو : يا أيها الناس اعبدوا ربكم .
يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بين يدي الله ورسوله^(٢) .
ويقول أن تصحبه الجملة الخبرية ، نحو : يا عباد لا خوفٌ عليكم اليوم .
أو الاستفهامية ، نحو : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر .

نموذج

بين المعاني التي تستفاد من النداء :

- ١ - يا ليل قد طلعت فهل مات السحر أم استحالت شمسك إلى القمر
- ٢ - يا راحلاً أخلي الديارَ وفضله أم يرحل
- ٣ - صادق الشرق قد سكت طويلاً وعزيرٌ عليه ألا تقولا
- ٤ - أبا الهول طال عليك العصرُ وبُلِّغْتَ في الأرض أقصى العمر
- ٥ - يا ابن أُمي ويا حبيب نفسي أنت خلقتني لدهر شديد
- ٦ - يا أيها القمر المباهي وجهه لا تكذبني فلست من أشكاله

الاجابة

- (١) المراد بالنداء التحير والتضجر .
- (٢) يراد به التحسر .
- (٣) التذكر والتضجر .
- (٤) التعجب .
- (٥) التحسر والتأسف .
- (٦) الزجر والملامة .

(١) الأناة الثاني والتأخر ، والإحلاس جمع حلس وهو كساء يطرح على ظهر البعير ، والانساء جمع نسع وهو سير عريض يوضع في صدر البعير .
(٢) أي لا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكمأن به ويأذنان فيه ، فتكونوا إما عاملين بالوحي المقل وإما مقتدين برسول الله (ص) .

تقرين

بين المعاني المستفادة من النداء فيما يلي :

- ١ - وياك يا قبرُ صرتَ للفضل مثوىً لا يسامى ولننبوغ مقيلاً
- ٢ - أحجّاج لا يقلل سلاحك إنما المتأيا بكف الله حيث يراها
- ٣ - أحمدُ والجلود فيك سجيةٌ يهنيك طيب ذكرها يهنيكاً
- ٤ - فيصاحبي رحلي دنا الموت فأتزلا براية إني مقيمٌ لياليا
- ٥ - ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل
- ٦ - يا موته لو أقلتَ عثرته يا يومه لو تركه لقد

الباب الثالث في الذكر

لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبي هلال العسكري والإمام عبد القاهر، وكانهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسيغ البحث عنه في علوم الفصاحة إذ هو بمباحث علم النحو أشبه .

ولكن المتأخرين كالسكاكي وشيعته ذكروا فيه نكات ومزايا لم يستطيعوا أن يردفوها بأي من التنزيل ، أو بشواهد من كلام ذوي اللسن والفصاحة ، وقصارى ما قالوه إن المسند اليه يذكر وجوباً إذا لم تقم قرينة تدل عليه كان الكلام معمى لا يستبين المراد منه ، ويترجح إذا وجدت القرينة لمزية من المزايا الآتية :

١ - أنه الأصل وليس هناك ما يقتضي العدول عنه ، كما تقول : هذا أخي وذلك صديقي .

٢ - زيادة الكشف والإيضاح ، كما تقول : اللبيب من فكّر في المواقب ، اللبيب من خالف نفسه الأمانة بالسوء .

وعليه قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .
ففي تكرير اسم الإشارة تنبيه إلى أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً ، فجعلت كل واحدة منها في تمييزهم بها عن غيرهم بالثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حياها ، قاله في « الكشف » .

بسط الكلام في مقام الافتخار ، كقول سامي البارودي :

أنا مصدرُ الكلم البوادي	بين المحاضر والنوادي
أنا فارسٌ أنا شاعرٌ	في كل ملحمة ونادي

(١) سورة البقرة الآية ٥ .

٤ - التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، كقول الفرزدق يمدح
زين العابدين :

هذا ابن خير عباد الله كلهم^١ هذا التقى النقي الطاهر العلم
٥ - الاستلذاذ بذكر الاسم المحبوب ، كما يكرر المادحون ذكر ممدوحهم ،
كقوله :

فعباس^٢ يصد الخطب عنا وعباس^٣ يحير من استجارا
٦ - التحويل ، كما تقول : ملك البلاد يأمر بكذا .
٧ - التعظيم ، اذا كان اللفظ يفيد ذلك ، كما يقال في جواب أحضر الملك ؟ :
حضر سيف الدولة .

٨ - التحقير ، اذا كان اللفظ يشمر بالإهانة ، نحو : حضر المحرم في جواب :
هل حضر فلان ؟

٩ - التمجيد ، اذا كان الحكم غريباً في مجرى الالف والعادة ، نحو :
علي يصرع الأسد في جواب : هل يصرع علي الأسد ؟

١٠ - ضعف القرينة ، فتقل الثقة بها فلا يعتمد عليها ، نحو : أول الإنسان
نطفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة .

ويذكر المسند اللطائف ومزايا تشبه ما ذكر في المسند اليه ، أهمها :
(١) كون الذكر هو الأصل ولا داعي للعدول عنه ، نحو : الأدب خير
من العلم .

(٢) الرد على المخاطب ، اذا كان ينكر صفة ما يقال له ، كقوله تعالى :
﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ بعد قوله ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾^(١) .

(٣) الاحتياط لضعف التعويل على القرينة نحو : ﴿ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾^(٢) .

(٤) التعميرض بعبارة المخاطب ، نحو : ﴿ويل فعله كبيرم هذا﴾ بعد
قوله ﴿أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم﴾^(٣) .

(١) سورة ياسين الآية ٧٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٩ .

(٣) سورة الانبياء الآية ٦٢ .

(٥) إفادة أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث مقيداً بأحد الأزمنة على أخصر طريق أو اسم فيفيد الثبوت مطلقاً مثل: ﴿أَتَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(١)، فإن يتخادعون يفيد التجدد حيناً بعد آخر مقيداً بالزمان بدون حاجة الى قرينة تدل عليه ، وقوله : وهو خادعهم ، يفيد الثبوت مطلقاً من غير نظير الى زمان مخصوص .

نموذج

بيّن السر في ذكر المسند اليه أو المسند ، فيما يلي :

- ١ - وقد علم القبائل من معد إذا قيب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
- ٢ - قال عيسى : اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .
- ٣ - أعيني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
- ٤ - قال الحافظ في وصف الشمس :
هي أم الأرض في نسبتها هي أم الكون والكون جنين
هي أم النار والنور معاً هي أم الريح والماء المعين
- ٥ - أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .
- ٦ - الرجال المخلصون هم الذين يذودون عن الوطن ، الرجال المخلصون هم الذين يظهرون عند الشدائد .
- ٧ - ملك البلاد يأمر بالعدل والانصاف .

الاجابة

- (١) ذكر المسند اليه لبسط الكلام في معرض الفخر .
- (٢) ذكر المسند اليه لزيادة التقرير والإيضاح .

(١) سورة النساء الآية ١٤٢ .

- (٣) ذكر المسند لإفادة التجدد بالجملة الفعلية .
 (٤) ذكر المسند اليه لأن المقام مقام تعظيم وتفخيم .
 (٥) ذكر المسند اليه لأن المقام للافتخار .
 (٦) ذكر المسند اليه لتعظيم شأن الرجال الماملين .
 (٧) ذكر المسند اليه للتحويل .

تمارين

بيّن أسباب ذكر المسند اليه أو المسند ، فيما يلي :

- ١- إن حل في روم ففيها قيصر أو حل في 'عرب ففيها تبع
- ٢- ونحن النار كون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
- ٣- وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لترك لما لم أعود
- ٤- إلهي نصيري ، يحفظني شر الهمازين المشائين بنميم
- ٥- أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعبين
- ٦- ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ ^(١)
- ٧- إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دأها فشفاهما
- شفاهما من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هز القناة سقامها

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

الباب الرابع في الحذف

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول في مزايا الحذف وشروطه

من دقائق اللغة ، وعجيب سرها ، وبديع أساليبها ، أنك قد ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفته أحد ركني الجملة أو شيئاً من متعلقاتها ، فإن أنت قدرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام الى غث سفساف ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولاً .

ومن ثم قال في « دلائل الإعجاز » : هذا باب دقيق المسلك ، لطيف المآخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ، وهذه جملة قد تشكرها حق وتخبر ، وقدفعها حق تنظر . اهـ .

ومن شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، وإلا كان تسمية وإلغافاً ، ومن شرط حسنه أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة ، وهو على ضربين :

١ - ضرب يظهر فيه المحذوف عند الاعراب كقولهم : أهلاً وسهلاً ، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو : جئت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً ، وليس لهذا الحذف من الحسن والاريجية ما تجده في قسميه الثاني .

٢ - ضرب لا يظهر بالاعراب ، وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لا يتم إذا لم يراع ذلك المحذوف كما يقال : فلان يحل ويمقد ، ويعطي ويمنع ، إذ من البين أن المعنى يحل الأمور ويمقدها ، ويعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء ، ولكن لا سبيل الى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أظهرته زالت تلك البهجة وضاع ما تشعر به من رواء وجمال .

المبحث الثاني في حذف المسند اليه

يحذف المسند اليه لأغراض ، أهمها :

- ١ - ظهوره بدلالة القرائن عليه ، فذكره يعد حينئذ عبثاً في الظاهر^(١) كقوله تعالى : ﴿ فصككت وجهها وقالت عجوز عقيم ﴾^(٢) أي أنا .
- ٢ - ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر ، نحو : قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
- ٣ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كما تقول : (انتهت) ، أي المسألة الممهودة بينكما .

- ٤ - خوف فوات فرصة سانحة ، كقول من رأى طياراً مقبلاً : طيار .
- ٥ - المحافظة على سجع أو قافية ، فالأول نحو : من طابت سيرته حمدت سيرته ، أي حمد الناس سيرته . والثاني نحو : وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع^(٣)
- ٦ - اتباع الاستعمال الوارد بالحذف كقولهم في المثل : رمية من غير رام^(٤) ، أي هذه رمية ، أو الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدح ، أو الذم أو الترحم ، فلأن المسند اليه لا يكاد يذكر في هذه المواضع ، فيقولون بعد أن يذكروا^(٥) المدوح : غلام من شأنه كذا وكذا ، وفقى من شأنه كيت وكيت ، كما قال ابن علقمة الفزاري يمدح عميلة ، وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً :
 رأني على ما بي عميلة فاشتكي
 إلى ماله حالي أسركما جهر
 غلام رماه الله بالخير يافعاً
 له سيمياء لا تشق على البصر^(٦)

(١) وإلا فلا عبث في ذكره على الحقيقة لأنه أحد ركني الاسناد .

(٢) سورة الزاريات الآية ٢٩ .

(٣) إذ لو قيل أن يرد الناس الودائع لاختلفت القافية .

(٤) يريد رمية مصيبة من رام غير محسن ، يضرب مثلاً لمن صدر منه فعل حسن ليس أهلاً لأن يصدر منه . قاله الحكم بن عبد بنوفل المضري .

(٥) قال الرازي : يشبه أن يكون السبب في ذلك أنه بلغ في استحقاق الوصف إلى حيث أنه لا يكون إلا للموصوف ، سواء أكان في نفسه كذلك ، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة .

(٦) رماه الله وضع فيه ، والياغع الشاب ، والسيمياء العلامة والهيئة ، ولا تشق على البصر أي تفرح به من ينظر إليه .

وكما قال عبد الله الأسدي يمدح عمرو بن عثمان بن عفان :

سأشكر عمرأ إن تراخت منيقي أياذي لم تقن وإن هي جلّت
فقي غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت
رأى خلّني من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّست^(١)
وبعد أن يذكروا الديار والمنازل ربيع كذا وكذا كما قال :

اعتاد قلبك من ليلي عوائده وماج أهواءك المكنونة الطلل
ربيع قراء أذاع المصبرات به وكل حيران سار ماؤه خضل^(٢)

٧ - تعيينه وعدم احتمال غيره ، إما بحسب الحقيقة والواقع ، كما تقول :
خلاق لما يشاء ، أي الله تعالى ، وإما بحسب المبالغة والادعاء ، كما يقول المادح
وهتاب الألوف أي الممدوح .

٨ - تكثير الفائدة باحتمال أمرين عند الحذف ، نحو قوله تعالى :
﴿ فصبر جميل ﴾^(٣) ، أي فأمرني صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل بي وأولى .

٩ - تأتي الإنكار عند الحاجة الى ذلك ، كما يقال : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾^(٤)
إذا قامت القرينة على أن المراد خالد مثلاً .

١٠ - إيهام المدلول إلى أقوى الدليلين ، وهو الدليل العقلي دون اللفظي ،
فإن الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل وهي أقوى
وإنما قيل لإيهام ، لأن الدال في الحقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة
ويحتمله (قال لي : كيف أنت ؟ قلت : عليل) .

ومن حذف المسند إليه ما إذا أسند الفعل إلى نائب الفاعل لاعتبارات ، منها :

١ - جهل الفاعل ، كقول المرقش الأكبر :

إن تبندر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

(١) زلت النمل كناية عن الخصاصة والفاقة .

(٢) أذاع المصبرات أزلت مامعا بكثرة ، والحيران الساري هو المزن يجري ليلاً ، والخضل
الصافي ، وربيع قواء لا أنيس به .

(٣) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٤) سورة القلم الآية ١١ .

- ٢ - الخوف عليه ، كقول النابغة يعتمر إلى النعمان :
- نبئت أن أبا قابوس أوعديني ولا قرار على زار من الأسد^(١)
- ٣ - العلم به ، كقول لبي الأخيلية تمدح الحجاج :
- أحجاج لا يقلل سلاحك إنما الـ منايا بكف الله حيث يراها
- ٤ - احتقاره ، كقول النابغة :
- لئن كنت قد بلغت عني وشاية لمبلغك الواشي أغش وأكذب
- ٥ - الخوف منه ، كما تقول : صودرت أموال فلان ، إذا كان ظالم ذو سطوة .
- قد أخذها .

المبحث الثالث في حذف المسند

يحذف المسند لأغراض ، منها :

- ١ - قصد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع كقول ضابئ البرجمي من أبيات قالها في المجلس :
- ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب^(٢)
- تقديره فإني لغريب وقيار كذلك ، والباعث على تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب حتى كأن قياراً تأثر بما تأثر هو به أيضاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾^(٣) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .
- ٢ - الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ كما تجيب من قال : هل لك أحد ؟ إن الناس إلب^(٤) عليك (إن محمداً وإن علياً) أي إن لي محمداً ، وإن لي علياً ، وعليه قول الأعشى :
- إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلاً
- يريد أن لنا محلاً في الدنيا ، وإن لنا مرتحلاً عنها إلى الآخرة .

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر والمنى له عصام حاجب النعمان ، وقد أسر له بذلك .

(٢) في الأساس الماء في رحله أي منزله وماواه ، وقيار اسم جميل ، والبيت خبر أريد به إنشاء التحسر والتوجع من الغربة .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٢ .

(٤) مجتمعون على عداوتك .

٣ - الدلالة على الاختصاص ، نحو : قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي .
تقديره لو تملكون تملكون بالتكرار للتوكيد ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير
وأفاد الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتناهي ، ونظيره قول حاتم :
لو ذات سوار لطمتني^(١) .

ولا بد للحذف من قرينة دالة على المحذوف ليفهم المعنى كوقوع الكلام جواباً
عن سؤال محقق نحو : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾^(٢)
أو مقدر ، نحو : يسبح له فيها بالقدو والآصال رجال ، في قراءة من بني الفعل
للجهول ، كأنه قيل : من يسبح ؟ فقيل : يسبحه رجال ، ونحو قول ضرار بن نبشيل
يرثي يزيد أخاه :

لبيك يزيد ضارع^٣ لخصومة ومختبط^٤ مما تطبح الطوائح^(٣)
كأنه قيل : من يبكيه ؟ فقال : ضارع ذليل لخصومة إذ هو ملجأ الأذلاء
وعون الضعفاء .

المبحث الرابع في حذف المفعول

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول ، وإن تنوعت جهتها ، فارتباطه
بالفاعل لإفادته وقوعه منه لا إفادته وجوده في نفسه فحسب ، وارتباطه بالمفعول
ليبين وقوعه عليه .

ولاختلاف نوع الارتباط اختلف العمل ، فعمل الفعل في الفاعل الرفع ، وفي
المفعول النصب ، أما إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل في ذاته من غير إرادة أن
يعلم من وقع ، أو على من وقع ، فالعبارة التي تدل على ذلك أن يقال : كان ضرب ،
أو وقع أو وجد أو نحو ذلك من الألفاظ التي تدل على الوجود المجرد .

إذا علمت ذلك نقول : الفعل المتمدي إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول
فهو على ضربين :

(١) يضرب مثلاً للشرif يهينه الرضيع ، والعرب تكني بذات السوار عن الحرة .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٨ .

(٣) الضارع الذليل ، والمختبط هو الذي يطلب منك المعروف من غير وسيلة ، والاحاطة
الانهاب ، والطوائح جمع مطيحة على غير قياس ، وما متعلق بمختبط وما مصدرية أي يبكي
ضارع لا ذهاب المتنايا يزيد .

١ - أن يكون الفرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، وحينئذ يكون المتمدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الفرض الإخبار به ، باعتبار تعلقه بالمفعول ، ألا ترى أنك إذا قلت : فلان يعطي الدنانير ، كان المقصد بيان جنس المعطي لا بيان كونه معطياً ، ويكون كلاماً مع من أثبت له إعطاء ولا يدري ما معطاه ، كما لا يقدر له مفعول أيضاً ، لأن المقدّر في حكم المذكور ، وهذا الضرب نوعان :

(أ) أن يحمل الفعل حال كونه مطلقاً عن اعتبار العموم والخصوص كناية^(١) عنه متعلقاً بمفعول مخصوص بدلالة سبق ذكر أو دليل حال إلا أنك تنسيه نفسك وتوهم أنك لم تذكر الفعل إلا لأن تثبت معناه من غير أن تقصد تعديته إلى مفعول مخصوص ، وعليه قول البحاري يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجوه حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر^(٢) ويسمع واع^(٣)

فالمعنى المراد أن يرى مبصر آثاره ويسمع واع أخباره ، ولكنه أغفل هذين المفعولين وأبعدهما عن وهمه^(٤) ليتسنى له أن يبين أن محاسن المدوح قد ذاع صيتها واشتهر أمرها فلا تخفى على ذي بصر وسمع ، فيكفي في معرفة أنها سبب في استحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر وسمعه حتى يعلم الرائي والسامع أنه لا يليق لمقام الخلافة غيره ، ومن ثم ترى الحساد والعدا يتمنون ألا توجد عين تبصر ولا أذن تسمع لنخفي هذه الفضائل فيجدوا إلى منازعته فيها سبيلاً .

(١) فالطلاق يجعل كناية عن المقيد فالفعل عند تنزيله منزلة اللازم يكون مدلوله الماهية الكلية ، ثم بعد ذلك يكون كناية عن شيء مخصوص ، فيكون مدلوله جزئياً ، والمقيد وإن لم يكن لازماً للمطلق يدعى فيه اللزوم بالقرينة .

(٢) شجاء الأمر أحزبه .

(٣) ونزلها منزل اللازمين أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلها كتابتين عن الرؤية والسماع التامتين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء اللازمة بين مطلق الرؤية ورؤية محاسنه وبين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الشهرة مبلغاً لا يستطيع خفاؤها معه فلا يرى الرائي إلا آثاره ولا يسمع إلا أخباره ، فذكر اللزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية .

(ب) ألا يجعل كناية عن مفعول مخصوص ، بل يقصد إثبات المعنى في نفسه من غير تعرض لمفعول كقولهم : فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع ، فالمقصود أن له حلاً وعقداً وأمراً ونهياً وضراً ونفعاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (١) ، فالمعنى : هل يستوي من له علم ومن لا علم له ، وقوله عز اسمه : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ﴾ (٢) .

٢ - أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، ويجب تقديره بحسب القرائن ، ويحذف حينئذ لداع من الدواعي الآتية ، وهي :

١ - البيان بعد الإبهام ليكون أوقع في النفس كما فعل في المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فتقول : لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء ، علم السامع أن هاهنا شيئاً تعلقت المشيئة بوجوده أو عدمه ، فإذا قلت : جئت أو لم أجيء عرف ذلك الشيء ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٣) ، وقول البحاري :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم مأثر خالد

فإن كان تعلق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به كما يقول الرجل مخبراً عن عزه : لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ﴾ (٤) ، وقول إسحاق الخزيمي يرثي حفيده :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

لأنه لما كان من البدع العجيب أن يقابل أحد الخليفة كل يوم ، وأن يريد رب العالمين ولدًا ، وأن يشاء الإنسان بكاء الدم صرح فيها بذكر المفعول .

٢ - دفع توهم السامع من أول وهلة إرادة شيء غير ما هو مراد ، كقول البحاري يذكر ذود الممدوح ومساعدته إياه :

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة النجم الآية ٤٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٩ .

(٤) سورة الزمر الآية ٤ .

وكم ددت عني من محامل حادث وسورة أيام حزن الى العظم
إذ لو قال : حزن اللحم ، لجاز أن يدور في خلد السامع قبل ذكر ما بعده
أن الحز كان في بعض اللحم ولم يصل الى العظام ، فترك ذكر اللحم لينفي عن
فكره ما ربما يختلج في خاطره باديء ذي بداءة .

٣ - إرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لكمال
البنائية به والاهتمام بوقوعه ، كقول البحثري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجد والمكارم مثلاً
إذ تقديره طلبنا لك مثلاً فلم نجده ، لكنه حذف المثل ليوقع نفي الوجود
على لفظ المثل صراحة .

(الملاحظة) مثل هذا الفرض عكس ذو الرمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئيماً أن يكون أصاب مالا
فأعمل الفعل الأول وهو أمدح في لفظ اللثم وأعمل أرض في ضميره ، لما كان
غرضه إيقاع نفي المدح على اللثم صريحاً دون الإرضاء ، ولو عكس لأبهم الأمر
فيما هو الأصل وأبانه فيما ليس بأصل .

٤ - قصد التعميم مع الاختصار^(١) ، كما تقول : قد كان منك ما يؤلم ، أي
ما الشأن في مثله أن يؤلم كل أحد ، وعليه قوله تعالى : ﴿والله يدعو الى دار
السلام﴾^(٢) ، أي جميع عبادته .

٥ - رعاية السجع وروي الفاصلة كقوله تعالى : ﴿والضحى والليل إذا سجى
ما ودّعك ربك وما قلا﴾^(٣) ، أي ما قلاك وأبفضك .

ويرى صاحب «الكشاف» أن حذف المفعول في مثل هذا الاختصار
اللفظي لمعلم به .

٦ - استمجان ذكره ، كقول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت منه ولا رأى
مني (تعني العورة) .

(١) أي إن هذا التعميم ، وإن استفيد من ذكر المفعول بصيغة المفعول ، يقوت الاختصار .

(٢) سورة يونس الآية ٢٥ .

(٣) سورة الضحى الآية ١ .

٧ - مجرد الاختصار كقولك : أصغيتُ إليه أذني وأغضيت عليه أي بصري ومنه قوله تعالى : ﴿ هذا الذي بعث الله رسولاً ﴾ ^(١) ، أي بعثه الله .

٨ - تعينه ، كقوله تعالى : ﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾ ^(٢) ، أي لينذر الذين كفروا .

وكثير من الأغراض السابقة تجري هنا كإخفائه على غير السامع أو التمكن من إنكاره عند الحاجة أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك .

تدريب

بيّن أسباب حذف المسند إليه أو المسند أو المفعول ، فيما يلي :

- ١ - برّد حشاي إن استطعت بلفظة فلقّد تضر إذا تشاء وتنفع
- ٢ - قال تعالى : ﴿ ألم يحذك يتيماً فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى ﴾ ^(٣) .
- ٣ - لسنّ إذا صعد المنابر أو نضا قلماً شأى الخطباء والكتّاب ^(٤)
- ٤ - ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء ﴾ ^(٥) .
- ٥ - حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بضيع
- ٦ - ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ﴾ ^(٦) .
- ٧ - خليل لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
- ٨ - وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

الاجابة

(١) حذف المفعول ، أي تضرني وتنفعني لتنزيل الفعل منزلة اللام ، إذ المراد أنه يحصل منك نفع وضرر .

(٢) حذف المفعول رعاية لحسن الكلام ، وتجانس الفواصل ، وتقديره : آواك وهداك .

(١) سورة الفرقان الآية ١٤ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢ .

(٣) الضلال هنا الجهل بالشرائع وما طريقه السمع ... الآيتان ٦ و ٧ من سورة الضحى .

(٤) نضا أمسك ، وشأى سبق .

(٥) سورة هود الآية ٤٤ .

(٦) سورة الزخرف الآية ٥٧ .

- (٣) حذف المسند اليه أي هو لسن لا دعاء العلم به .
 (٤) حذف المسند اليه وهو الله تعالى للعلم به في باب المدح .
 (٥) حذف المسند اليه لا دعاء العلم به في باب الذم .
 (٦) حذف المسند اليه للعلم به وهو الله تعالى .
 (٧) حذف المسند اليه للعلم به ادعاء في باب المدح .
 (٨) حذف المسند اليه للجهل به .

تدريب ثان

- ١ - على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا علي ولا ليا
 ٢ - وعد بالحضور ليلاً (تقصد شخصاً معهوداً) .
 ٣ - يقول مبصر اللص : لص .
 ٤ - شريراً غيبي مشاء بنميم .
 ٥ - أرني أنظر اليك .
 ٦ - ﴿ ولما وَرَدَ ماءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(١) .
 ٧ - ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ ^(٢) .
 ٨ - فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

الاجابة

- (١) حذف المسند للمحافظة على الوزن والأصل: لا علي شيء ولا لي شيء .
 (٢) حذف المسند اليه لإخفاء الأمر على غير المخاطب .
 (٣) حذف المسند اليه لانتهاز الفرصة والأصل : هذا لص .
 (٤) حذف المسند اليه لتأني الإنكار عند الحاجة .
 (٥) حذف المفعول للاختصار والأصل : أرني ذاك .

(١) سورة القصص الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٤ .

(٦) حذف المفعول هنا في مواضع ، فعُحذف مفاعيل : يسقون وتذودان ونسقي ، لتنزيل الفعلة منزلة اللازم ، لأنه إنما رَحِمَها لأنها كانتا على الذيادة وهم على السقي ولم يرحمها لأن مذودها غم ومستقيمهم إبل مثلاً ، وكذلك قولهما : لا نسقي ، المقصود منه السقي لا المسقي .

(٧) حذف المفعول في باب المشيئة للبيان بعد الإبهام .

(٨) حذف المفعول هنا لجعل الفعل المطلق كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول معين ، لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن مدحهم والافتخار بهم ليتوصل إلى مطلوبه وهو أنها أجزته .

تمرين

يبين أسباب الحذف فيما يلي :

- ١ - جرى الله عنا جعفرأ حين أزلقت أبوا أن يملونا ولو أن أمننا هم خلطونا بالنفوس وألجئوا
- ٢ - فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت
- ٣ - قوم اذا أكلوا أخفوا حديثهم
- ٤ - وما أدراك ما هي نار حامية
- ٥ - ﴿ وإنا لا ندرى أشراً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رشداً ﴾^(١)
- ٦ - كل عذر من كل ذنب ولكن
- ٧ - رماني بأمر كنت منه ووالدي
- ٨ - قد قال عزولي منك أنى فقال حبيبك ذو خفَر
- بنسا نعلنا في الواطئين فزلت^(٢)
- تلاقي الذي لا قوه منا مللت
- إلى حجرات أدفأت وأظلت
- مخافة ملوى من القد مخصد^(٣)
- واستوثقوا من رجاج الباب والدار
- أعوز العذر من بيساض العذار^(٤)
- بريئاً ومن أجل الطوي رماني^(٥)
- فأجبت وقلت كذبت متى
- وكبير السن قلت فتى

(١) زلت النمل كناية عن الفقر .

(٢) الأرقال سرعة السير ، والقد جلد غير مدهوغ ، والملوى المفتول ، والمخصد المحكم القتل .

(٣) سورة الجن الآية ١٠ .

(٤) أعوز ضاق .

(٥) الطوي البشر المبنية ، وقد كان خصمه رماء باللصوصية .

الباب الخامس في التقديم

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه

الألفاظ قوالب المعاني ، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البين أن رتبة المسند اليه التقديم لأنه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير ، إذ هو المحكوم به ، وما عداها فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لها في الرتبة .

ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو الى تقديمه ، وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيراً الى الغرض الذي يراد ، و مترجماً عما يقصد منه . ومن ثم قال في «دلائل الإعجاز» : إن هذا التقديم كثير الفوائد ، جم المحاسن لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك سجعاً ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ، ان قدم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان الى مكان . اهـ .

وللتقدم أحوال أربع :

١ - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ ، وذلك هو الغاية القصوى ، وإليه المرجع في فنون البلاغة ، والعمدة في هذا هو الكتاب الكريم انظر قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (١) تجد أن تقديم الجار والمجرور في هذا قد أفاد التخصيص ، وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

(١) سورة القيامة الآية ٢٢ .

٢ - ما يفيد زيادة في المعنى فحسب نحو: بل الله قاعبد وكن من الشاكرين ، فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه ، ولو آخر لم يفد الكلام ذلك .

٣ - ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير ، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحه ، نحو : وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت (بحمد إلهي) وهي منه سليب^(١) فتقديره : ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد الله .

٤ - ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظي ، أو المعاطلة التي تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، ونحو ذلك ، كقول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره .
إذ تقديره الى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أي ما أم أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى ، بل يحتاج الى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه .

المبحث الثاني في تقديم المسند اليه

يقدم المسند اليه لأغراض ، منها :

١ - أنه الأصل إذ هو المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه ، نحو : المعدل أساس الملك .

٢ - ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً اليه كقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(٢) ، وقول أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جهاد
يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسدي ، كما يرشد الى ذلك ما قبله :
بأن أمر الإله واختلف الناس فداع الى ضلال وهادي
فإتيانه بالمسند اليه على تلك الشاكلة موصوفاً بحيرة البرية فيه ، يستدعي تشويق السامع الى أن يعرف ما حكم به عليه ، فإذا جاء الخبر تمكن في النفس لما تقدمه من التوطئة له .

(١) سليب بمعنى مسلوب ، أي منتزع مأخوذ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

٣ - تعجيل المسرة للتفاؤل ، لأن السامع اذا قرع ميمه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هش وفرح به ، نحو : الهدى في قلوب المخلصين .

٤ - تعجيل المساء لتطير السامع ويتبادر الى ذهنه حصول الشر باديء ذي بدء ، نحو : السجن على جهة التأييد حكم به عليك اليوم .

٥ - التبرك به نحو : اسم الله اهتديت به .

٦ - إيهام أنه لا يزول عن البال لكونه مطلوباً ، نحو : رحمة الله ترجى ، نصر الله قريب .

٧ - إفادة التخصيص إذا كان الخبر فعلاً وولى المسند اليه حرف النفي ، نحو : ما أنا قلت هذا ، أي لم أقله وهو مقول لغيري . لا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول ، لكن تريد أن تنفي كونك قائلًا له . ومنه قول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضمرت في القلب ناراً

إذ المعنى : ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرم الثابت ، ولأجل هذا لا تقول : ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري للتناقض بين أول الكلام وآخره ، ولا ما أنا رأيت كل أحد ، لأنه يفيد أن غيرك رأى كل أحد ، ولا ما أنا كلمت إلا محمداً ، لأنه يقتضي أن يكون إنسان غيرك قد كلم كل أحد سوى محمد^(١) .

فإن لم يل المسند اليه حرف النفي^(٢) ، فإما أن يكون معرفة أو نكرة ، فإن كان معرفة أفاد تقديمه أحد أمرين :

(أ) تخصيصه بالمسند رداً على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، كما تقول : أنا سميت في حاجة فلان ، وعلى الأول يؤكد بنحو : لا غيري ، وعلى الثاني بنحو : وحدي . ومن الواضح في ذلك قولهم في المثل : أنعلني بضب^(٣) أنا حرشته^(٣) .

(١) لأن المستثنى منه مقدر عام وكل ما نفيت عنه المذكور على وجه الحصر يجب ثبوته لغيره تحقيقاً لمعنى الحصر سواء كان على وجه الخصوص أو على وجه العموم .

(٢) بالآ يكون في الكلام حرف نفي ، أو يكون حرف النفي متأخراً عن المسند اليه .

(٣) حرش الضب صاده ، فهو حارث ، وهو أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها وبذلك يأخذه ، يضرب مثلاً إن يريد أن يعلم المتعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أهل المدينة مردوا ﴾^(١) على النفاق ولا تعلمهم نحن
نعلمهم ﴿^(٢) ، أي : لا يعلم أسرارهم ولا يطلع على دخائل ما أبطنوا من الكفر
إلا نحن .

(ب) تقوية^(٣) الحكم وتقريره لدى السامع بدون تخصيص ، كقولك : هو
يعطى الجزيل ، وهو يحب الثناء . ألا ترى أنك لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل
ولا يحب الثناء .

يرشد الى ذلك أن هذا الضرب يحىء فيما سبق فيه إنكار منكر ، نحو أن
يقول الرجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما
أقول ولكنك تميل الى خصمي ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون ﴾^(٤) ، والفعل المنفي كالمثبت في ذلك ، فتارة يفيد التخصيص ، كما
تقول : أنت ما سمعت في حاجتي ، وتارة يفيد التقوية نحو : أنت لا تكذب ،
وعليه قوله تعالى : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾^(٥) .

وإن كان نكرة أخبر عنه بفعل أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به ، نحو :
رجل جاءني أي لا امرأة ولا رجلاً ، ذاك أن أصل النكرة أن تكون لواحد
من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فحسب ، كما اذا كان المخاطب بهذا
الكلام قد عرف أن قد أتاك آت من هو جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم
رجلان أو اعتقد أنه رجلاً .

(تنبيه) مما رأت العرب تقديمه كاللازم لفظ (مثل) : اذا استعمل كناية
من غير تعريض ، نحو : مثلك لا يبخل ، ومثلك رعى الحق والحرمة ، ونحو
قول ابن القبعثري^(٦) مجيباً للحجاج ، على سبيل المفاظة ، حينما توعد ، بقوله :

(١) مرنوا واستمروا .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠١ .

(٣) علة التقوية ما ذكره عبد القاهر من أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا لحديث
قد نوى إسناده اليه ، فاذا جئت بالحديث دخل على القلب دخل المأنوس .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٥٩ .

(٦) هو الفضيل بن القبعثري الشيباني ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأراد
بالأدهم الأول القيد ، وبالثاني الفرس الأدهم .

أي بخلاف خمر الدنيا فإنها تقتال العقول وتوجب دوار الرأس وثقل الأعضاء ،
ومن ثم لم يقدم الظرف في قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ ^(١) لأنه لو قدم لاقتضى
ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى ما عدا القرآن .

٢ - التنبيه ابتداء دون حاجة إلى تأمل في الكلام على أنه خبر لا نعت ،
كقوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ^(٢) ، وقول أبي بكر
ابن النطاح في وصف أبي دلف المجلي :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

٣ - التفاؤل يساع ما يسر المحاطب ، نحو :

سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت بلقائك الأعوام

٤ - التشويق ^(٣) إلى ذكر المسند إليه ، وبكثر ذلك في باب المدح ، كقول
محمد ابن وهيب يمدح المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمير

وفي باب الوعظ كقول أبي العلاء المعري :

وكلنار الحياة فمن رماد وأواخرها وأولها دخان

المبحث الرابع في تقديم متعلقات الفعل

الأصل في العامل أن يقدم على المفعول ، وقد يعكس ذلك فيقدم المفعول
ونحوه من الجار والمجرور والظرف والحال لأغراض أهمها :

١ - رد الخطأ في التعمين كقولك : محمداً كلمت ، ردأ على من اعتقد أنك
كلمت إنساناً غير محمد ، وتقول لتأكيدك : محمداً كلمت لا غيره . أو في ظن
الاشتراك ، نحو : علياً رأيت ، أي وحده ، ردأ على من اعتقد أنك رأيت علياً
ومحمداً . ومن ثم لا يقال : ما محمداً كلمت ولا غيره ، لتناقض دلالاتي الأول والثاني ،

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٤ .

(٣) إذا كان في السند المتقدم طول يشرق النفس الى ذكر المسند إليه ، فيكون ذكره بعدئذ
أوقع وأتم .

ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك : ما محمداً ضربت ، ولكن أكرمته ^(١) ، وقولك : بمحمد مررت ، لمن اعتقد أنك مررت بإنسان وأنه غير محمد ، وكذا سائر المعمولات ، نحو : يوم الجمعة سرت ، وفي المسجد صليت ، وما شياً جئت .

٢ - التخصيص ، وهو لازم للتقديم غالباً بشهادة الإستقراء ، وحكم الذوق ، ومن ثم قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ^(٢) ، إن المعنى نخضع بالعبادة والإستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعين به ، وفي قوله : لإي الله تحشرون ، أي لا إلى غيره .

وفي التقديم فائدة أخرى ، وهي الاهتمام بشأن المقدم ، ومن ثم قدر المحذوف في : باسم الله مؤخراً ، أي باسم الله أفعل كذا ، بياناً لاهتمام الموحد بالاسم الكريم ورداً على المشركين الذين كانوا يبدعون بأسماء آلهتهم ، فيقولون : باسم اللات ، أو باسم العزى .

ولا يشكل على هذا آية : إقرأ باسم ربك ، بتقديم الفعل على اسم الله ، لأن الأمر بالقراءة في ذلك الموضع أهم ، إذ بالقراءة حفظ المقرء عادة ، وذلك هو المقصود من الإنزال أو بأن باسم الله متعلق بإقرأ الثاني ، ومعنى إقرأ الأول ، أوجد القراءة كقولك : فلان يمطي . وإنما قلنا لازم غالباً لأن التقديم قد يكون .

٣ - الاهتمام بالمقدم نحو : حسن الخلق لزم .

٤ - التبرك به نحو : محمداً عليه السلام اتبعت .

٥ - الاستلذاذ به نحو : ليلى كلمت .

٦ - موافقة كلام السامع نحو : محمداً أكرمت ، في جواب : من أكرمت ؟

٧ - ضرورة الشمر نحو :

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى يسريع

(١) لأن الكلام لم يبين على الخطأ في الفعل وهو الضرب حتى يرد إلى الصواب بأنه الأكرام وإنما يني على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه محمد ، فردّه إلى الصواب أن يقال : لكن علياً مثلاً .

(٢) سورة الفاتحة الآية ٢ .

٨ - رعاية السجع والفاصلة نحو: خذوه ففعلوه ثم الجعيم صلتوه ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه . فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ،
إلى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص ، لأن المقام يذبو عنه ، كما بينه
ابن الأثير في المثل السائر .

٩ - أن يكون المقدم محط الإنكار ، كما يقول: أبعدَ طول عشرة فلان تخدع
بمواعيده . وعليه قول أبي العلاء :

أعندي وقد مارست كل خفية يصدق واش أو يخيب سائل

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لأسباب ، منها :

(أ) أن التقديم هو الأصل ولا داعي للمعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول ،
نحو: كلم محمد علياً . وتقدم المفعول الأول على الثاني ، نحو: أعطيت محمداً درهماً .

(ب) أن ذكره أهم والعناية به أتم ، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض
معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه ، كما إذا عاث لص
فاتك في البلاد وكثره أذاه فأمسك وأردت أن تخبر بذلك فتقول: أمسك اللص
فلان ، إذ ليس للناس كبير فائدة في أن يعرفوا المسك ، وإنما الذي يهمهم عمله
هو من أمسك ليتخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، كما إذا كان
شخص حامل الذكر لا بظن به أن يقوم بعمل جليل فاخترع شيئاً مفيداً وأردت
أن تخبر بذلك فتقول: اخترع فلان كذا . لأن الذي يهم الناس من شأن هذا
الفعل استبعاد صدوره من ذلك الفاعل .

(ج) أن التأخير يرمي غير المعنى المراد كما في قوله تعالى : ﴿ وقال رجلٌ
مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ ^(١) ، إذ لو أخر (من آل فرعون) عما بعده
لتوهم أنه متعلق بـيكنم ، فلا يفيد أن ذلك الرجل منهم .

(د) أن التأخير يخل بتناسب الفواصل نحو: ﴿ فأوجس في نفسه خيفةً
موسى ﴾ ^(٢) ، بتقديم الجار والمجرور والمفعول على الفاعل إذ فواصل الآي
على الألف .

(١) سورة غافر الآية ٢٨ .

(٢) سورة طه الآية ٦٧ .

(تتمة) من سنن العرب أن يبدءوا في باب المديح بالصفة الدنيا ثم يشنوا
 بما هو أعلى منها ، وهكذا وعلى ذلك قول البحترى يصف نحول الركاب:
 يترقرقن كالسراب وقد خضن غياراً من السراب الجاري
 كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار
 فقد ترقى في تشبيه نحوها فشبهها بالقسي ، ثم بالأسهم المبرية ، ثم بالأوتار ،
 وهي أشد الثلاثة نحولاً ، كما يعكسون في باب الذم .

تدريب أول

اذكر الأسباب التي دعت إلى تقديم المسند إليه ، أو المسند ، أو متعلقات
 الفعل ، فيما يلي :

- ١ - فيا لك من ذي حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله
- ٢ - أنا لا اختار تقبيل يد قطمها أفضل من تلك القبل
- ٣ - أبعد أن بات عبد الله مرتهناً تحت الثرى يرتجي صفوً وينتظر
- ٤ - عند الصباح يحمد القوم الشري وتنجلي عنهم غياهب الكرى
- ٥ - جنات عدن يدخلونها
- ٦ - النار وعدما الله الذين كفروا
- ٧ - خير الصنائع في الأنام صنعة تنبو بحاملها عن الأذلال
- ٨ - بيد العفاف أصون عز حجابي وبمصوتي أسموا على أترابي

الاجابة

- (١) وقع المسند اليه بعد حرف النفي لإفادة سلب العموم في شطره الثاني .
- (٢) قدم المسند اليه على حرف النفي لإفادة التخصيص .
- (٣) قدم الظرف لكونه محط الإنكار .
- (٤) قدم متعلق الفعل وهو الظرف لإفادة التخصيص .
- (٥) قدم المفعول لتعجيل المسرة .
- (٦) قدم المسند اليه لتعجيل المساءة .
- (٧) قدم المسند اليه لتعجيل السرور .
- (٨) قدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص في شطري البيت .

تدريب ثان

اذكر أسباب تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :

- ١ - وما كلُّ هـاو للجميل بفاعل ولا كلُّ فعال له يتمم
- ٢ - ثلاثة ليس لها إيجاب الوقت والجمال والشباب
- ٣ - نعمن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر^(١)
- ٤ - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا
- ٥ - وبالأخرة هم يوقنون
- ٦ - قل أغير الله أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء
- ٧ - سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري بالذات يلهو ويلعب
- ٨ - لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

الاجابة

- (١) وقع المسند اليه بعد حرف النفي ليفيد سلب العموم .
- (٢) قدم الخبر للتشويق الى ما بعده .
- (٣) قدم المسند اليه لتقوية الحكم وتوكيده .
- (٤) قدم المسند اليه للتخصيص .
- (٥) قدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص .
- (٦) قدم المفعول لكونه محط الإنكار .
- (٧) قدم المسند اليه لإفادة تقوية الحكم وتوكيده .
- (٨) آخر الجار والمجرور بعد شهداء في الأول لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم ، وقدم في الثاني لاختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .

تمرين (١)

بيّن السبب في تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :

- ١ - ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾^(٢) .

(١) المشتاة مكان الشتاء أو زمانه ، والجفلى الدعوة العامة الى الطعام ، والتقوى الدعوة الخاصة ، والأدب من يدعو الناس لمأدبة يفتخر بيوهم وكرمهم .
(٢) سورة يونس الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿بَلِ اللَّهِ فاعبد وكن من الشاكرين﴾ (١).
- ٣ - ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ (٢).
- ٤ - ﴿واقترَبَ الوعدُ الحقُّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾ (٣).
- ٥ - ﴿إن وليَّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ (٤).
- ٦ - جميع المصريين لا يرغبون في أذى الضيف .
- ٧ - ﴿فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا﴾ (٥).

تقرين (٢)

- بيِّن السبب في تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :
- ١ - إن في عدلك وكرمك ورأفتك رحمة بالضعفاء
- ٢ - بك اقتدت الأيام في حسناتها وشيئتها لولاك همٌ وتخريبٌ
- ٣ - أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرقاعا
- ٤ - إذا نطق السفیه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
- ٥ - إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحم سد لا بالتسرع والشم
- ٦ - ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
- ٧ - ما كلُّ رأي الفتى يدعو الى رَشَد

(١) سورة الزمر الآية ٦٦ .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٩٦ .

(٥) سورة التوبة الآية ١٠٨ .

الباب السادس في التعريف

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول في الفرق بين النكرة والمعرفة والداعي الى التعريف

كل من النكرة والمعرفة يدل على معين وإلا امتنع الفهم ، إلا أن النكرة تدل على معين من حيث ذاته لا من حيث هو معين ، أي ليس في لفظ النكرة ما يشير إلى أن السامع يعرفه فليس في اللفظ دلالة على ملاحظة التعين ، والمعرفة تدل على معين أي إن في لفظ المعرفة ما يشير إلى أن السامع يعرفه ، وإذا فالنكرة يفهم منها ذات المعين فحسب ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع ، والمعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلوماً للسامع .

والتعين في المعرفة ، إما أن يكون بنفس اللفظ ، كما في الاعلام ، وإما بقرينة خارجية ، كما في غيره من بقية المعارف .

ويعمدل عن التنكير الى التعريف لتزداد الفائدة وتم ، فإن فائدة الخبر أو لازمها كلما ازداد متعلقها معرفة زاد غرابة ، واعتبر ذلك بما تراه من عظيم الفرق بين قولنا : ثوب نفيس اشترى في السوق ، وقولنا : ثوب حرير مطرز من صنع بلدة كذا اشتراه فلان أمس بألف دينار .

المبحث الثاني في تعريف المسند اليه بالاضمار

يعرف المسند اليه بالاضمار ، لأن المقام مقام تكلم ، كقوله عليه السلام يوم بدر : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وقول بشار :

أنا المرعث لا أخفى على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني^(١)

(١) الرعثة القرط يطلق في شحمة الأذن ، ولقب بشار بالمرعث لوعته كانت له في صفراء ، وذرت طلعت .

أو مقام خطاب كقول الحماسية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

أو مقام غيبة ، ولا بد من تقدم ذكره إما لفظاً نحو : ﴿ واصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ ^(١) ، وقول أبي تمام :

بيمن أبي إسحاق طالت يد العلا وقامت فناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أي النواحي أتيت فلجته المعروف والبحر ساحله

وإما معنى لدلالة لفظ عليه ، نحو : ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ ^(٢) لما في ارجعوا من معنى الرجوع ، أو لقرينة حال كقوله تعالى : ﴿ ولأبويه لكل واحد منها السدس ﴾ ^(٣) ، أي ولأبوي الميت ، وإما حكماً كما في باب رب نعو ربه فتي ، وباب ضمير الشأن نحو : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ^(٤) .

والأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين نحو : أنت استرقتني بإحسانك ، وقد يخاطب :

١ - غير المشاهد إذا كان مستحضراً في القلب كأنه 'نصب' العين ، كما في : إياك نعبد .

٢ - غير المعين ليعم كل من يمكن خطابه على سبيل البدل لا على طريق التناول دفعة واحدة ، كما تقول : فلان لئيم إن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا يراد في مثله مخاطب معين ، بل يراد أن سوء معاملته ، غير مختص بواحد دون آخر . وعليه قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ ^(٥) أخرج الكلام في صورة الخطاب ، مع إرادة العموم ، تنبيهاً إلى تقطيع حالهم ،

(١) سورة يونس الآية ١٠٩ .

(٢) سورة النور الآية ٢٨ .

(٣) سورة النساء الآية ١١ .

(٤) سورة يوسف الآية ٩٠ .

(٥) سورة السجدة الآية ١٢ .

من تنكيس الرؤوس والرجل ، من أهوال يوم القيامة ، وبياناً لأنها بلغت الغاية في الظهور ، بحيث لا تحفى على أحد ، ولا تختص بها رؤية راء ، بل كل من يتأتى منه الرؤية يدخل في الخطاب ، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ وإذا رأيتَ رأيتَ ثم رأيتَ نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ (١) .

المبحث الثالث في تعريف المسند اليه بالعلمية

يؤتى بالمسند إليه لأغراض ، منها :

- ١ - إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص ليمتاز عما عداه كقوله تعالى : ﴿ وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ (٢) .
- ٢ - التعظيم في الاعلام التي تشعر بمدح كسيف الدولة وصلاح الدين .
- ٣ - الاهانة في الاعلام التي تشعر بدم نحو صفوان وصخر .
- ٤ - الاستلذاذ بذكره كما يذكر المحبون أسماء من يحبون ، ومن ثم يقول المتنبي مادحاً عضد الدولة :

أساميا لم تزد معرفه وإنما لذة ذكرناها
وعليه قول مجنون ليلي :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلي من البشر

- ٥ - الكناية عن معنى يصلح العلم له بحسب معناه قبل العلمية ، كما يقال : أبو الفضل وأخو الحرب ، فإطلاق ذلك إطلاقاً علمياً يجوز أن يلاحظ فيه الأصل مع القرينة ، فيلمح في الأول أنه ملابس للفضل فهو صاحب المكارم ، وفي الثاني أنه ملاصق للحرب ، فهو شجاع فائق .

- ٦ - التفاؤل في الاعلام التي تشعر بذلك نحو : سعد وسعيد .

- ٧ - التطير والتشاؤم نحو : السفاح والجراح .

- ٨ - التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، كما يقول القاضي لشخص : هل أقر إبراهيم بكذا ، فيقول إبراهيم : أقر بكذا ، فلم يقل هو لتسجيل الحكم وضبطه لتلايحد المشهود عليه سبيلاً للإنكار .

(١) سورة الانسان الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

المبحث الرابع في تعريف المسند إليه باسم الإشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأغراض كثيرة يلاحظ البلغاء منها :

١ - تعين اسم الإشارة طريقاً الى إحضار المشار إليه بعينه في ذهن السامع بأن يكون حاضراً محسوساً ، والمتكلم والسامع لا يعرفان اسمه الخاص ولا معيناً آخر .

٢ - تمييزه أكمل تمييز لإحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية ، كأن يكون المقام المدح فيكون أعون على كماله ، وعليه قول الخطيب :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا^(١)

٣ - التعريض بغباء السامع حتى كأن الأشياء لا تتميز لديه إلا بالإشارة الحسية ، كقول الفرزدق يهجو جريراً ويفخر بآبائه :

أولئك آبائي فجنني بمنلهم إذا جمعنا يا جريرُ المجمع^(٢)

٤ - قصد تحقيره بالقرب ، نحو : ﴿ أهذا الذي يذكرُ آلهتكم ﴾^(٣) ، ومنه في غير المسند إليه : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾^(٤) .

٥ - قصد تعظيمه بالقرب نحو : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾^(٥) وذلك كثير في التنزيل .

٦ - قصد تحقيره بالبعد نحو : ﴿ فذلك الذي يدعُ اليتيم ﴾^(٦) .

٧ - قصد تعظيمه بالبعد نحو : ﴿ فذلكن الذي لمتني فيه ﴾^(٧) من حيث لم تقل : فهذا ، وهو حاضر رفعاً لمنزله في الحسن وتهيداً لعذر الإفتتان به .

(١) البنى جمع بنية كرشوة ورشى .

(٢) يظهر أن نكتة التعبير باسم الإشارة التعظيم أو تمييزهم .

(٣) حكاية لقول المشركين حينما كانوا يستهزئون به (وردت في سورة الأنبياء) .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٦) يدع : يقهر (الماعون) .

(٧) سورة يوسف الآية ٣٢ .

٨ - قصد التنبيه على أن المشار اليه المعقب بأوصاف جدير بما يذكر بعد اسم الإشارة نحو : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) ، فقد عقب المشار اليه وهم المنقون بأوصاف ، وهي الإيمان بالغييب وإقامة الصلاة وما بينهما ، ثم عرف المسند اليه بالإشارة تنبيهاً على أن المشار اليهم أحقاء أجل تلك الخصال بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً أو آجلاً ، قال في «الكشاف» ، ونظيره قول حاتم :

ولله صعلوك يساورهم	ويعضي على الأحداث والدهر مقدما
إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت	تيمم كبراهن ثمت صما
إذا الحرب أبدت ناجذها وشمرت	وولّ هدان القوم أقبل مملا
فذلك إن هلك فحسنى ثناؤه	وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً (٢)

فقد قال : لله صعلوك ، ثم عد له خصالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً وتيمم كبرى المكرمات والتأهب للحرب ، الى غير ذلك مما ذكره بعد ، ثم عقبه بقوله : فذلك إن هلك .

٩ - التهم والسخرية كقوله : من يهزأ بأعمى هذا الهلال في السماء .

١٠ - الإشارة الى فظانته وذكائه حق كأن غير المحسوس عنده كالمحسوس ، نحو : هذا ما تشير اليه عبارتك .

المبحث الخامس في تعريف المسند اليه بالموصلية

يعرف المسند اليه بالموصلية لدواع ، منها :

- ١ - عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ، نحو : من دخل هذا الحصن استحق أكبر ألقاب الشرف .
- ٢ - التفخيم ، أي التهويل والتعظيم ، نحو قوله تعالى : ﴿ فغشيه من اليم ما غشيه ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة الآية ٦ .
(٢) صمالك العرب فقرأهم ومتلصصوهم ، والمساورة الموائبة ، والهلم العزيمة والقصد ، وأعرضت ظهرت ، والهدان الأحمق الثقيل .
(٣) سورة طه الآية ٧٨ .

٣ - تنبيهه المخاطب الى خطئه ، كقول عبدة بن الطبيب ، من قصيدة يعظ فيها ابنه :

إب الذين ترونهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا^(١)

٤ - زيادة تقرير الفرض المسوق له الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾^(٢) فالفرض الذي سبق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنة الريبة ، وهذا التعبير أوضح في الدلالة على هذا الفرض مما لو قيل امرأة العزيز أو زليخا أو نحو ذلك ، لأنه اذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلاما وفي بيتها مع كمال قدرتها عليه ، كان ذلك غاية النزاهة ونهاية الطهارة وعليه قول أبي العلاء المعري :

أعباد المسيح يخاف صعبى ونحن عبيد من خلق المسيح^(٣)

فقوله : عبيد من خلق المسيح أدل على تقرير غرضه وهو نفي خوف أصحابه من قوله : عبيد الله .

٥ - الإيمان والإشارة الى نوع الخبر من مدح أو ذم أو عقاب أو غير ذلك فيتنبه الفطن من فاتحة الكلام الى خاتمة ، ويدرك ما تومىء اليه من المقاصد ، كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾^(٤) ففي مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة ، تلميح الى أن الخبر المترتب عليه من جنس الإذلال والعقوبة .

قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة ، فربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر كقولك : الذي يرافقك يستحق الإجلال ، والذي يفارقك يستحق الإذلال ، وعليه قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول^(٥)

(١) أن تصرعوا أي تهلكوا أي فمن تظنونهم إخوانكم يتمنون لكم الهلاك والدمار فأنتم مخطئون في هذا الظن .

(٢) سورة يوسف الآية ٢٣ .

(٣) المراد إخاف اصحاب السملون من عباد المسيح مع اثنا عبيد الإله الذي خلق المسيح .

(٤) داخرين صاخرين (سورة المؤمن) .

(٥) سمك رفع ، والبيت بيت المزم والشرف قاله يفخر بقبيلته على قبيلة جرير .

فهو مع كونه يشير الى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفعة والبناء، يعرض بتعظيم بناء بيته لأنه فعل من رفع السماء ، أو ذريعة الى تحقيق الخبر نحو :
 إن التي ضربت بيتاً مهاجرةً بكوفة الجند غالت وذها غول^(١)
 ففي ضربها البيت في مكان المهاجرة تحقيق للحكم بزوال محبتها وودها .
 ٦ - الحث على التعظيم نحو: جاء الذي أدبك ، وراك فأحسن تربيتك .
 ٧ - التهنيت ، نحو: ﴿ قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾^(٢) .
 ٨ - الحث على الترحم ، نحو : الذي سبى أولاده ، ونهب طريفه وتلاده ، يستحق المعونة .

٩ - تعليل الحكم ، نحو : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾^(٣) .
 ففي ذكر الإيمان والعمل الصالح بيان لسبب فوزهم بالجنات ورفع الدرجات ، وعلى الجملة ، فلطائف هذا الباب لا تكاد تنحصر .

المبحث السادس في تعريف المسند اليه باللام

يؤتى بالمسند اليه معرفاً باللام ، لإفادة معنى من المعاني التي تفيدها اللام ، ذلك أنها تنقسم قسمين : لام العهد الخارجي ، وهي ثلاثة أنواع : صريحي ، وكنائي ، وعلمي . ولام الحقيقة ، وهي أربعة أقسام : لام الحقيقة أو لام الجنس ، ولام العهد الذهني ، ولام الاستغراق الحقيقي ، ولام الاستغراق العرفي :

١ - لام العهد الصريحي هي ما يتقدم مدخولها صراحة ، كما في قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نور كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري ﴾^(٤) ، فقد ذكر المصباح والزجاج منكسرين ثم أعيدا معرفين .

(١) سميت الكوفة كوفة الجند لاقامة جند العرب بها عند تمصيرها ، وغالته غول ، أي أزالته وأهلكته .

(٢) سورة الحجر الآية ٦ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٨ .

(٤) سورة النور الآية ٣٥ .

٢ - لام العهد الكنثائي : هي ما يتقدم ذكرها كناية ، أي مبهماً ، قصينه القرائن ، كقوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ ^(١) فالذكر ، وإن لم يتقدم صريحاً ، قد استفيد من (ما) في قولها : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ ^(٢) إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكور فهو المعنى بـ (ما) في كلامها .

٣ - لام العهد العلمي : هي ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضراً أم لا ، نحو : ﴿ إذ يباعدونك تحت الشجرة ﴾ ^(٣) (إذ هما في الغار) أي الشجرة والغار المعبودين لك ، وكما تشير إلى حاضر ، ونقول : هذا الخطيب تكلم فأحسن الكلام .

٤ - لام الحقيقة : هي ما يشار بها إلى الحقيقة ، بقطع النظر عن عمومها ، وخصوصها ، وتسمى لام الجنس ، كقولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، وشربت الماء . وقول أبي العلاء :

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ ^(٤) إذ المراد : جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس وهو الماء .

٥ - لام الحقيقة في ضمن فرد مبهم : إذا قامت القرينة على ذلك ، وتسمى لام العهد الذهني ، كنا في قوله تعالى : ﴿ أخاف أن يمسه الذئب ﴾ ^(٥) ومدخولها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملة ما فيوصف بالجملة ، كما توصف النكرة ، كقول عميرة بن جابر الحنفي :

ولقد أمرت على اللثم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

أما في اللفظ فتجري عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفاً بها ، وإنما لم تقل نكرة لما بينها من التفاوت إذ النكرة معناها

(١) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٥ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٥) سورة يوسف الآية ١٣ .

بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة ، وأما المعرف باللام فمعناه نفس الحقيقة ،
وتستفاد البعضية من القرائن كالأكل في الآية ، وإذا فالجورد وذو اللام مع القرينة^(١)
سواء ، وبالنظر إلى أنفسهما مختلفان .

٦ - لام الحقيقة ، في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة ،
وتسمى لام الاستغراق الحقيقي ، ودليل الشمول والاستغراق ، إما :

(أ) قرينة حالية نحو : ﴿ عالمُ الغيبِ والشهادة ﴾^(٢) ، أي كل غيب
وشهادة .

(ب) قرينة مقالية نحو : ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾^(٣) ، أي كل إنسان ،
بدليل الاستثناء الذي هو علامة إرادة العموم ، إذ شرطه دخول
المستثنى في المستثنى منه ، لو لم يذكر .

٧ - لام الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب متفاهم المعرف
كما تقول : جمع الملك الوزراء وألقى عليهم نصائح ذهبية ، فإن المقصود وزراء
ملكته ، لا وزراء العالم أجمع .

(تنبيه) من القضايا المشهورة قولهم (استغراق المفرد أشمل) ، ومعنى ذلك
أن اسم الجنس المفرد إذ دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي
كان شموله للأفراد وتناوله إياها أكثر من شمول المثني والجمع الداخلة عليهما
فللك الأداة .

بيان ذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل
اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ودليل ذلك صحة قولك :
لا رجال في الدار ، إذا كان فيها رجل أو رجلان ، وعدم صحة قولك : لا رجل
إذا كان فيها واحد أو اثنان من هذا الجنس ، وهذه القضية ليست بصحيحة على
عمومها ، وإنما تصح في النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام ، لأن المعرف
بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد ، بل هو في المفرد أقوى كما دل عليه
الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن الكريم ،

(١) في أن كلا منها يفيد بعضاً غير معين وضعاً في النكرة وبالقرينة في ذي اللام .

(٢) سورة التوبة الآية ٩٤ .

(٣) سورة العصر الآية ٢ .

نحو: ﴿أعلمُ غيب السموات والأرض﴾ (١) ، ﴿واللهُ يحب المحسنين﴾ (٢) ،
﴿وعلمهم آدم الأسماء كلها﴾ (٣) ، إلى غير ذلك مما لا يحصى .

المبحث السابع في تعريف المسند اليه بالاضافة

يعرف المسند اليه بالإضافة لمزايا كثيرة ، منها :

١ - أن تكون أخصر طريق لإحضاره في ذهن المخاطب والمقام يقتضي ذلك
لفرط الضجر والسآمة ، كقول جعفر بن عبلة حين حبس بمكة :

هو أي مع الركب اليانين مصعد جَنِيبٌ وجَنَانِي بِمَكَّة مَوْثِقٌ (٤)
فهو أي مهوى أخصر من الذي أهواه ونعوه ، مع كون الاختصار مطلوباً
لضيق المقام .

٢ - أن تفني عن تفصيل متعذر نحو : أجمع أهل الحق على كذا ، وقول
حسان بن ثابت :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل (٥)
أو متعسر إما باعتبار الكثرة نحو : أهل القاهرة فعلوا كذا ، أو باعتبار لزوم
تقديم بعض على بعض بدون مرجح نحو : علماء البلد اتفقوا على كذا .

٣ - أن تتضمن تعظيم شأن المضاف ، أو المضاف اليه ، أو غيرها ، نحو :
﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ (٦) ، ونحو : خادمي اليوم عمل كذا ،
ونحو : رسول السلطان زار فلاناً ، وعليه من غير المسند اليه قوله :
لا تدعني إلا بياعبدها فلانة أشرف أسمائي
٤ - أن تتضمن تحريضاً على الإكرام نحو : صديقك عندك .

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٤) اليانوتن جمع يمان، ومصعد من أصعد في الارض، سار فيها. والجنيب الم جنوب المستبج
والجنان الشغص، والموثق للقيد .

(٥) أولاد جفنة من الفساسة الذين مدحهم حسان بالشام .

(٦) سورة الحجر الآية ٤٢ .

٥ - أن تتضمن تحريضاً على الإذلال نحو : عدوك ببابك .

٦ - أن تتضمن استهزاء وتهكماً نحو : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾^(١) .

المبحث الثامن في تعريف المسند

يعرف المسند لإفادة السامع حكماً على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف بآخر^(٢) مثله في كونه معلوماً للسامع بإحدى طرق التعريف سواء اتحد الطريقتان نحو : الراكب هو المنطق ، أم اختلفا نحو : على هو المنطق .

بيان ذلك أن الشيء قد يكون له صفتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه بإحدهما دون الأخرى فتحده باتصافه بها فتفيده ما كان يحمله من اتصافه بالأخرى ، كما إذا كان للمخاطب أخ يسمى علياً وهو يعرفه بعينه واسمه لكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك فتقول : علي أخوك ، وإن عرف أن له أخاً وأردت أن تعينه عنده باسمه قلت : أخوك علي . ومن البين في اختلاف المعنى إذا تقدمت إحدى المعرفتين ، أو تأخرت ، قولهم : (الحبيب أنت) (وأنت الحبيب) فمعنى الجملة الأولى أنه لا فرق بينك وبين من تحب إذا صدقت المحبة ، فما مثل المتحابين إلا مثل روح حل في جسمين ، كما قيل : الحبيب أنت إلا أنه غيرك ، ومعنى الثانية أنك أنت الذي اصطفيته من بين الناس بمحبتتي واجتبيته بمودتي ، كما قال المتنبي :

أنت الحبيب ولكني أعوذ به من أكون محباً غير محبوب
واعلم أنت التعريف بلام الجنس قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ ، وذلك على وجوه^(٣) :

١ - أن يقصر المبتدأ على الخبر على سبيل الحقيقة نحو : محمد الرئيس في البلد إذا لم يكن هناك رئيس غيره .

(١) سورة الشعراء الآية ٢٧ .

(٢) في هذا إشارة إلى وجوب تغاير المسند إليه والمسند بحسب المفهوم ليكون الكلام مفيداً أما نحو : «أنا أبو النجم ، شعري شعري» فمؤول أي شعري الآن مثل شعري فيما مضى .

(٣) أما التعريف بلام العهد فيفيد ما هو معهود للمخاطب كقولك : محمد هو المسافر .

٢ - أن يقصر عليه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بما سواه ، كما تقول :
علي الشجاع ، أي الكامل في الشجاعة ، فقد أخرجت الكلام في صورة توهم
أن الشجاعة لا توجد إلا فيه ، لأنك لا تعتمد بشجاعة غيره لقصورها عن
رتبة الكمال .

٣ - أن يقصر عليه على سبيل الحقيقة ، لكن لا باعتبار ذاته ، بل باعتبار
القيد بظرف أو حال ، كما تقول : هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ،
فالمقصود هو الوفاء في هذا الوقت لا مطلقاً ، ونحوه : هو الشجاع حين يحجم
الأبطال ، قال الأعشى :

هو الواهب المائة المصطفا ة إما مخاضاً وإما عشاراً^(١)

فقد قصر هبة المائة من الإبل في إحدى الحالين لا هبتها مطلقاً ، ولا الهبة
مطلقاً ، وفي كل هذه الأحوال يتنوع العطف بالواو ونحوها على ما حكم عليه
بالمعرف فلا يقال : محمد الأمير ، وعمرو ، ولا إبراهيم الشجاع فبخالد .
وربما لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به ، كقول الخنساء ترثي
أخاها صخراً :

إذا قبُح البكاءُ على قتيل رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً

فهي لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل ، لكنها أرادت
أن تقره في جنس ما جنسه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ، ونحوه
قول الآخر :

أسود إذا ما أبدت الحربُ ناهياً وفي سائر الدهر القيوث المواطر

تدريب

بين الأغراض التي اقتضت تعريف المسند اليه ، أو المسند بإحدى طرق
التعريف :

١ - أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

(١) المخاض الحوامل من النوق أجمع ، والمشار جمع عشاء وهي من النوق كالتنساء .

- ٢ - مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي^(١)
 ٣ - إن الذي الوحشة في داره تؤنسبه الرحمة في لحده
 ٤ - ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان غير الحي والوئد^(٢)
 هذا على الحسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد
 ٥ - ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾^(٣)
 ٦ - بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبل^(٤)
 ٧ - ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾^(٥)
 ٨ - أخوك الذي إن تدعه للمة يحبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

الاجابة

- (١) أتى بالمسند اليه علماً لإحضاره باسمه المختص به .
 (٢) أتى بالمسند اليه اسم موصول للتفخيم وتعظيم شأن ذلك الذاهب من العقل .
 (٣) أتى بالمسند اليه اسم موصول للإيحاء الى وجه بناء الخبر وكونه مدحاً للمحدث عنه .
 (٤) أتى بالمسند اليه اسم إشارة للتحقير بالقرب .
 (٥) أتى بالمسند اليه اسم إشارة للتحقير بالقرب .
 (٦) أتى بالمسند اليه مضافاً لإغناء الإضافة عن تفصيل متعذر .
 (٧) أتى بالمسند اليه مضافاً لتعظيم شأن المضاف .

تمهين

- اذكر الفرض من تعريف المسند اليه أو المسند بإحدى طرق التعريف :
 ١ - ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

- (١) في وصف الخمر .
 (٢) العير الحبار، والرمة الحبل يربط به ، والحسف الاهانة .
 (٣) سورة المنكبوت الآية ٦٣ .
 (٤) الغيل الاجمة وخفان مأسدة مشهورة بضراوة أسدها ، والأشبل جمع شبل ولد الأسد .
 (٥) سورة الفرقان الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١)
- ٣ - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾^(٢)
- ٤ - هو الكريم حين يبتخل كل جواد
- ٥ - وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد^(٣)
- ٦ - أبو لهب آذى محمداً ﷺ
- ٧ - إن الناس لفي شغل عن عمل الآخرة

(١) سورة الإخلاص الآية ١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) قاله حسان يهجو أبا سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب وجعل الحرث عبداً لأن أمه ليست قرشية ولم تلد لها قبيلة مشهورة .

الباب السابع في التنكير

لم يتعرض لهذا الباب كثير من كتب في هذا الفن ، وأول من فتق أكمام زهاره صاحب «الكشاف» وتبعه من جاء بعده من علماء البيان . وقصارى ما قالوه : إن المسند اليه ينكر لأغراض ، منها :

١ - ألا يعلم المتكلم جهة من جهات التعريف من علمية أو صلة أو غيرها ، فتقول : جاء هنا رجل يسأل عنك ، إذا لم تعرف له اسماً ولا نحوه .

٢ - أن يقصد فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى ﴾ ^(١) أي فرد من جنس الرجال .

٣ - أن يمنع من التعريف مانع ، كقوله :
إذا سئمت مهندة يمين لطول الحمل بدله شمالاً ^(٢)
لم يقل يمينه تحاشياً من نسبة السأمة الى يمين الممدوح .

٤ - أن يقصد نوع مخصوص نحو :
لكل داء دواء يستطب به إلا الحماسة أعيت من يداويها
يريد لكل نوع من أنواع الأدوية ما يناسبه من أصناف الأدوية ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ ^(٣) .

قال في «الكشاف» : معنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغشية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

(١) سورة ياسين الآية ٢٠ .

(٢) المهند السيف .

(٣) سورة البقرة الآية ٧ .

ويرى السكاكي أن التكثير في هذا للتعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة ، وتحول بينهم وبين الإدراك ، وعذاب عظيم لا يقدر قدره .

٥ - أن يقصد التكثير نحو : ﴿ قالوا أنن لنا لأجراً ﴾ ^(١) ، وقولهم : أن له الأبلق وأن له لغنماً ، إذ المقام المدح .

٦ - أن يقصد التقليل نحو : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ ^(٢) ، أي فشيء مما من رضوانه أكبر من الجنة ونعيمها ، فإن العبد إذا علم رضى مولاه عنه عد ذلك من أعظم النعم وعاش عيشة راضية .

٧ - التعظيم والتحقير ، وقد اجتمعا في البيت الثاني من قول مروان ابن أبي حفصة :

ففى لا يبالي المدجون بنوره إلى بابه ألا تضيء الكواكب ^(٣)
له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب ^(٤)

فمقام المدح يفيد أن له مانعاً عظيماً عن كل قبيح وشين وليس له أي مانع ولو حقيراً عن طلاب المعروف فهم يحصلون على مقاصدهم بلا كد ولا تعب .

والفرق بين التعظيم والتكثير أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر ، والثاني يلاحظ فيه الكميات والمقادير ، وهكذا الحال في الفرق بين التحقير والتقليل .

٨ - قصد إخفائه عن المخاطب نحو : سمعت رجلاً يقول : إنك حدثت عن الصواب . وينكر المسند لأغراض ، منها :

١ - عدم الحصر والمهد الدال عليها التعريف ، كما تقول : محمد كاتب ، وعلي شاعر .

٢ - قصد التفضيم والتعظيم ، نحو : ﴿ هدى للمتقين ﴾ ^(٥) ، أي هدى لا يكتننه كنهه .

(١) سورة الشعراء الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥ .

(٣) أدلج سار ليلا .

(٤) حاجب أي مانع ، ويشينه أي يميمه .

(٥) سورة البقرة الآية ٢ .

٣ - قصد التحقير ، نحو : ما محمد شيئاً . وينكر غير المسند اليه والمسند ،
للدلالة على :

١ - الافراد ، نحو : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ ^(١) ، أي خلق كل
فرد من أفراد الدواب من نقطة معينة .

٢ - النوعية ، نحو : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ ^(٢) ، أي نوع
من الحياة المتطاولة ، فهم أحرص الناس على أن يزدادوا الى حياتهم الماضية حياة
في المستقبل .

٣ - التحقير ، نحو : ﴿ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ ^(٣) .

٤ - التقليل ، كقول المتنبي :

فيوما بخيل تطرد الروم عنهمو ويوما يحود يطرد الفقر والجدبا
يريد بعدد يسير من خيولك ونزر من فيض جودك .

٥ - عدم التعمين ، نحو : ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ﴾ ^(٤) .

تدريب

بيّن دواعي تنكير المسند اليه ، أو المسند ، أو غيرهما ، فيما يلي :

(١) قال تعالى : ﴿ فأذنوا بحرجي من الله ورسوله ﴾ ^(٥) .

(٢) ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المنذرين ﴾ ^(٦) .

(٣) ﴿ ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربك ﴾ ^(٧) .

(٤) وفي السماء نجومٌ لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

(٥) إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٩ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٣٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٧٩ .

(٦) سورة الشعراء الآية ١٧٣ .

(٧) سورة الانبياء الآية ٤٦ .

- ٦ - ومن طلب العلوم بغير كد سيدر كما متى شاب الغراب
 ٧ - ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلكم﴾^(١)
 ٨ - والله مني جانب لا أضيعه ولله مني والحلاعة جانب

الاجابة

- (١) نكر حرب للدلالة على التعظيم .
 (٢) نكر المطر للدلالة على النوعية ، أي مطراً عجيباً من الحجارة .
 (٣) نكرت النفعة للدلالة على التحقير .
 (٤) نكرت النجوم للدلالة على التكثير .
 (٥) نكر الحاصد للدلالة على عدم التعين أو للدلالة على الافراد .
 (٦) نكر كد للدلالة على التعظيم .
 (٧) نكرت رسل للدلالة على التعظيم والتكثير ، أي رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام .
 (٨) نكر جانب الأول للدلالة على التعظيم ، وجانب الثاني للدلالة على التحقير .

تقرين

بين دواعي تنكير المسند اليه أو المسند أو غيرهما ، فيما يلي :

- ١ - ﴿يا أبتِ إني أخافُ أن يمسّك عذابٌ من الرحمن﴾^(٢)
 ٢ - ﴿ولكم في القصص حياةٌ يا أولي الألباب﴾^(٣)
 ٣ - رجلٌ قال إنك اغتبتني
 ٤ - دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت
 ٥ - آراؤه وعطاياه ونعمته
 ٦ - وللغزاة شيءٌ من تلفته
 ٧ - قلت ثقلت إذ أتيتُ مرارا
 ٨ - لئن صدقت عنا فربّيت أنفُس
 تريدك لم نسطع لها عنك مدقماً
 وعفوه رحمة للناس كلهم
 ونورها من ضيا خديه مكتسب
 قال ثقلت كماهلي بالأيادي
 صواد الى تلك النفوس الصوادف^(٤)

(١) سورة فاطر الآية ٤ .

(٢) سورة مريم الآية ٤٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٤) صدف أعرضت ، وصواد جمع صادية أي عطشى .

الباب الثامن في التقييد

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في فوائد التقييد

اعلم أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها لدى السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ، ازداد إيضاحاً وتخصيصاً ، فتكون فائدته أتم وأكمل ، لا فرق في ذلك بين تقييد المسند اليه والمسند ، ولا بين التقييد بتابع ومفعول ، ونحو ذلك .

وكثير من مسائل هذا الباب ذكر في كتب النحاة على النحو الذي يشاكل بحشم دون نظر الى غامض الفروق ولطيف المزايا ، فإن تينك الفائدةين من مقاصد علماء البيان الذين قصروا مباحثهم على تعرف خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع وباهر الصنع .

المبحث الثاني في التقييد بالمفاعيل ونحوها

التقييد بالمفاعيل ونحوها من الحبال والتمييز لزيادة التخصيص المستلزم كثرة الفائدة ، والنواسخ للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظها كالاتمرار وحكاية الحال الماضية في كان^(١) ، والتوقيت بزمن معين في ظل وأخواتها ، والمقاربة في كاد وكرب ، والتأكيد في أن ، والتشبيه في كأن ، إلى نحو ذلك .

المبحث الثالث في التقييد بالتوابع

سنجمل الكلام في هذا المبحث ، لأنه قد يتن في علم النحو ببسط واطناب فينعت المسند اليه لنكات ، منها :

(١) فالقيد في كان محدد منطقاً هو منطقاً لا كان إذ هو المسند ، وكان قيد له .

١ - تمييزه بتخصيصه ، إن كان نكرة ، وتوضيحه إن كان معرفة .

٢ - الكشف عن حقيقته ، كما يقال : الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ، ومنه في غير المسند اليه قول أوس بن جحضر التميمي في مرثية فضالة ابن كعدة :

الأمي الذي يظن بك المظن كان قد رأى وقد سمعا

فالأمي هو المتوقد ذكاء وفطنة ، ومن لوازمه أنه اذا ظن بك ظناً طابقت فراسته الواقع ، وقد روي أن الأصمعي سئل عن الأمي فأنشد البيت .

٣ - التأكيد ، نحو : أمس الدابر ، وكان يوماً عظيماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾^(١) .

٤ - بيان المقصود وتفسيره نحو : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾^(٢) ، قال في «الكشاف» : فإن قلت : هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم ، وما معنى الزيادة ؟

قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل : وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها .

٥ - المدح ، نحو : حماني محمد الأديب .

٦ - الذم ، نحو : سافر إبراهيم الأحمق .

ويؤكد لاعتبارات ، منها :

(١) تحقيق المراد ، بحيث لا يحتمل الكلام غيره ، كما نقول : جئت أنا .

(٢) دفع قوم السامع تجوز المتكلم أو سهوه نحو : قدم صديقك نفسه .

(٣) دفع قوم عدم الشمول نحو : جاء القوم كلهم ، إذ لو قلت : جاء القوم وسكت ، لكان يجوز أن يخطر ببال السامع أن بعضهم قد تخلف ، إلا أنك لم تعتمد به أو جعلت الواقع من البعض كأنه واقع من الجميع ، كما يقال للقبيلة :

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

صنعتم وفعلتم ، ويراد فعل قد كان من البعض ، يرشد الى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ ^(١) ، والعاقرة لها قدار ، لكنهم نزلوا منزلته لرضاهم بفعلته .
وبيين لمزايا ، منها :

١ - المدح ، نحو : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ ^(٢) ،
فالبيت الحرام عطف بيان على الكعبة لفرض مدحها بأنها حرم آمن .

٢ - الإيضاح والتفسير بما يختص بالمتبوع ويوضح ذاته ، نحو : قال أبو الحسن
علي كرم الله وجهه .
وبيدل لأغراض ، أهمها :

زيادة التقرير ، إذ البديل كالتفسير بعد الإيهام ، فيزداد به تقرير المقصود في
ذهن السامع ، ومنه في غير المسند اليه : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم ﴾ ^(٣) .

أما في بديل الكل فللذكر مرتين ، وأما في بديل البعض ، فلأن المتكلم لما أتى
بالمبدل منه أولاً ثم أتى بالمبدل ثانياً كان كالمنبه على التجوز والإجمال في المبدل منه
فيؤثر في النفس تأثيراً لا يوجد عند الإقتصار على الثاني ، وأما في بديل الاشتمال
فلأن البديل يشعر به النفس في الجملة قبل ذكره وتتشوف لشيء يطلبه الكلام
السابق فإذا ذكر صار متكرراً
وبعطف عليه لدواع ، منها :

١ - تفصيل المسند اليه باختصار ، نحو : جاء محمد وعلي ، فإنه أخصر من
جاء محمد وجاء علي ، مع إفادة التفصيل بالنسبة لقولك : جاءني رجلان ، ولا يعلم
منه تفصيل المسند ، إذ الواو لمطلق الجمع ، ولا دلالة فيه لجهي ، أحدهما قبل الآخر
أو بعده أو معه .

٢ - تفصيل المسند ، مع الاختصار ، نحو : جاء محمد فعلي ، أو ثم علي ،
أو جاء القوم حتى خالد . فهذه الثلاثة الحروف ، وإن اشتركت في تفصيل المسند ،

(١) سورة الأعراف الآية ٧٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٧ .

(٣) سورة الفاتحة الآية ٥ .

فالأول يدل على التنقيب من غير مهلة ، والثاني مع المهلة ، والثالث يفيد ترتيب أجزائه من الأضعف الى الأقوى ، أو بالمعكس ، نحو :

و كنت فقي من جند إبليس فارتقى في الحال حتى صار إبليس من جندي

٣ - الشك من المتكلم اذا كان لا يدري الحقيقة .

٤ - التشكيك ، أي إيقاع السامع في الشك .

٥ - التجاهل ، نحو : ﴿ وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (١) .

٦ - التخيير أو الإباحة نحو : ليدخل الدار محمد أو علي ، والفرق بينهما أنه يجوز الجمع في الإباحة دون التخيير .

٧ - رد السامع عن الخطأ في الحكم الى الصواب ، نحو : جاءني علي لا خالد لمن اعتقد أن خالداً جاءك دون علي ، أو أنها جاءك معاً .

المبحث الرابع في التقييد بضمير الفصل

يؤتى بعد المسند اليه بضمير الفصل لأغراض منها :

١ - التخصيص ، أي قصر المسند على المسند اليه ، إذا لم يكن في الكلام ما يفيد القصر سواه نحو : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ (٢) .

٢ - تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر ، نحو : ﴿ إن الله هو الرزاق ﴾ (٣) ، ومنه قول أبي الطيب :

إذا كان الشباب السكر والشيد ب' همّا فالحياة هي الحمام

يريد أنه اذا كان الشخص إبان الشباب كالسكران غافلاً عن العواقب ، وفي الشيب حزناً بسبب ضعفه ، فلا خير في الحياة ، بل هي الموت .

٣ - تمييز الخبر عن الصفة ، نحو : الفصيح هو جيد البيان طلق اللسان .

(١) سورة سبأ الآية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

المبحث الخامس في التقييد بالشرط

يقيد الفعل بالشرط للأغراض التي تستفاد من معاني الأدوات كالزمان في :
مق ، والمكان في : أين ، والحال في : كيفما ، إلى آخر ما استوفى بيانه علم النحو ،
لكن نذكر هنا ما بين : إن ، وإذا ، ولو ، من الفروق الدقيقة التي تشكل
مباحث هذا الفن .

بيان هذا أن المقصود من الجملة الشرطية عند علماء العربية ، إنما هو النسبة
التي يدل عليها الجزاء سواء أكانت خبرية أم إنشائية ، والشرط قيد لها وسبب
فيها لا يغيرها عن حالها الأولى من الخبرية أو الإنشائية ، وقد خرج بدخول الأداة
عليه عن كونه خبراً محتمل صدقاً وكذباً ، فقولك : إن نجحت أكافئك ، معناه
أكافئك حين نجاحك ، وقولك : إن جاء محمد فأكرمه ، أي أكرمه وقت مجيئه .
(إن) و (إذا) تشتركان في الدلالة على تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط
في المستقبل ، وتمتاز كل منهما بما يلي :

(أ) تمتاز (إن) بدلالاتها بحسب الوضع اللغوي على عدم جزم المتكلم بوقوع
الشرط في الزمن المستقبل ، نحو : ﴿ وإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض
عنهم ﴾ ^(١) ، ومن ثم لا تقع في كلام الله تعالى إلا على سبيل الحكاية أو التأويل
فالأول كقوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ وإن لا تصرف عني كيدهن أصب
إليهن ﴾ ^(٢) ، والثاني نحو : ﴿ وإن نصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ ^(٣)
فقد جاءت في التنزيل على غط أساليبهم ، وعلى الطريقة التي يعبر بها المتكلم منهم
حينما يكون غير جازم بوقوع الشرط .

(ب) تمتاز (إذا) باستعمالها لفة في كل ما يحزم المتكلم بوقوعه في الزمن المقبل
نحو : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ^(٤) .

ومن أجل ما بينها من الفرق كانت الأحكام النادرة الوقوع مع لفظ المضارع
مواقع لإنت ، والأحوال الكثيرة الوقوع ولفظ الماضي الدال على تحقيق الوقوع

(١) سورة المائدة الآية ٤٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٤) سورة الزلزلة الآية ١ .

قطعاً نظراً إلى نفس لفظه (وإن كان قد نقل بعد دخول الأداة عليه إلى معنى الاستقبال) مواقع لإذا ، وقد اجتمعنا في قوله تعالى : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ (١) ، أي إذا جاء آل فرعون حسنة كخصب ورخاء وكثرة أولاد قالوا نحن أحقاء بها ، وإن أصابهم جدد وبلاء تشاءوا من موسى ومن آمن معه ، فعبر بإذا في جانب الحسنة ، لأن المقصود منها الجنس ، وهو مقطوع بحصوله لكثرة ، وبأن في جانب السيئة لندورها ، ولهذا أنكرت للدلالة على القلة .

قال في «الكشاف» : وللجهل بمواقع إن وإذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها :

ذمت ولم يحمد وأدركت حاجتي	تولى سواكم أجرها واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأي مقصر	ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حنته على الخير مرة	عصاها وإن همت بشر أطاعا

ولو عكس في استعمال الأداتين لأصاب الغرض .

(تنبيه) قد تستعمل كل من الأداتين موضع الأخرى فتستعمل (إن) في الشرط المجزوم بشبوه لأغراض ، منها :

(١) التجاهل إذا اقتضاه المقام ، كما يقول المعتذر : إن كنت فعلت هذا فعم غير قصد .

(٢) تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يحج على مقتضى علمه كما يقال للابن الذي لا يراعي حقوق الأبوة : إن كان هذا أباك فراع حقوقه عليك .

(٣) التوبيخ على الفعل ، تنبيهاً على أنه لقيام البراهين المقتضية وقوع خلافه ، كأنه محال الوقوع ، فيفرض كما يفرض المحال نحو : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفعاً إن كنتم قوماً مسرفين ﴾ (٢) في قراءة الكسر ، إذ إسرافهم محقق ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٢) المعنى : أنهم لكم ونضرب عنكم القرآن بترك القرآن بترك إنزاله لكم وترك ما فيه من وعد أو وعيد إعرافاً عنكم إن كنتم مسرفين (سورة الزخرف) .

لكنه عبر عنه بأن توبيخاً لهم وإشارة الى أنهم لو تأملوا الآيات الظاهرة لصار الإسراف كأنه محال الحصول إذ هو لا يصدر عن عاقل في مثل هذه الحال .

(٤) تغليب غير من اتصف بالشرط على من اتصف به ، نحو : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ ^(١) ، فقد غلب من لم يرتب من المخاطبين على من ارتأب وكان يعرف الحق وينكره عناداً ، كما تستعمل أيضاً في المستحيل المجزوم بنفيه على سبيل المساهلة وإرخاء للعنان لإلزام الخصم وتبكيته نحو : ﴿ قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين ﴾ ^(٢) .

وتستعمل (إذا) في مواضع الشك لأغراض ، أهمها :

١ - الإشارة الى أن مثل ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه ، نحو قولك لمن قال : لا أدري أيتفضل عليّ الأمير بالنوال ، اذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك .

٢ - عدم شك المخاطب .

٣ - تنزيل المخاطب منزلة الجازم الذي لا شك عنده .

٤ - تغليب الجازم على غير الجازم .

ولما كانت الأداتان لتعليق الجزاء بالشرط في الاستقبال التزم في جملتيهما الفعلية والاستقبال ، ذاك أن الشرط مفروض الحصول في المستقبل فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق عليه ، ولا يعدل عن الاستقبال في اللفظ والمعنى إلى المعنى فقط ، إلا لنكتة ، كإبراز غير الحاصل في معرض ما هو حاصل ، وذلك اما :

(١) للتفاؤل نحو : إن عشت نفعت أمتي وبلادي .

(٢) لقوة الأسباب وتوافرها ، كأن تقول حين انعقاد الشراء : إن اشتريت كان كذا .

(٣) لإظهار الرغبة في وقوعه ، فيكثر تصور المتكلم إياه ، حتى يخيل اليه ما ليس بالحاصل حاصلاً ، كما تقول : إن ظفرت بحسن العاقبة فذاك ما أبغي ،

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨١ .

وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تكثرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾ ^(١) ،
جاء بلفظ الماضي للدلالة على توافر الرغبة في تحصينهن .

(٤) للتعريض ، نحو : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
إنك إذا لمن الظالمين ﴾ ^(٢) ، قال في «الكشاف» : هذا كلام وارد على سبيل
الفرض والتقدير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفطاع لحال من يتروك
الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى .

ونظيره في التعريض : ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾ ^(٣) ،
إذ المراد : ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ، كما يدل عليه (ترجعون) .

ووجه حسن التعريض وملاحظته إسماع الخاطبين الحق على وجه لا يورثهم
مزيد غضب ، وذلك لأنك تترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ، وذلك أنفذ في
أعماق القلوب ، حيث لا يريد المتكلم لهم إلا ما يريده لنفسه ، وهذا النوع كثير
جداً في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ قل لا تسألون عما أجرنا ولا نسأل
عما تعملون ﴾ ^(٤) .

(تنبيه) قد تستعمل إن في غير الاستقبال قياساً مطرداً في موضعين :

١ - إذا كان الشرط لفظ كان ، نحو : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا ﴾ ^(٥) الآية .

٢ - إذا جاء بها في مقام التأكيد بعد واو الحال لمجرد الربط دون الشرط
نحو : علي وإن كثرت ماله بخيل ، وقليل في غير ذلك ، كقول أبي العلاء :
فيا وطني إن فإني بك سابق من الدهر فلينعنم بساكنك الببال ^(٦)
كما إذا إما :

(١) الفتيات الأماء ، وكان من عاداتهم في الجاهلية أن يكرهون من على تلك الفعلة الشنماء .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٣) سورة يس الآية ٢٢ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٥ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٦) الفرض من ذلك التحسر ، وجواب إن محذوف ، أي : فلا لوم علي لأنني تركتكم كرهاً
يدل عليه فلينعنم .

١ - للماضي ، نحو : ﴿ حق إذا ساوى بين الصدفين ﴾ (١).

٢ - أو للاستمرار ، نحو : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ (٢).

(لو) للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط ، فيلزم انتفاء الجزاء ، بمعنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط ، فإذا قلت : لو جئتني لأكرمك ، فهم منه أن المجيء شرط في الإكرام ، وأنه على تقدير وقوعه يقع الإكرام ، ولهذا قيل : ان (لو) لامتناع الثاني لامتناع الأول ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٣) أي إن انتفاء الهداية ، إنما هو بسبب انتفاء المشيئة ونحوه قول الحماسي :

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر (٤)

فإن عدم طيران ذلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها .

وتجيء قليلاً لامتناع الأول لامتناع الثاني ، فتفيد الدلالة على أن العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات ، إلى أن انتفاء الجزاء في الخارج ما هي ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ (٥) ، إذ المعنى أنه علم انتفاء تعدد الآلهة بسبب العلم بانتفاء الفساد ، ويكثر هذا في مقام الأدلة والبراهين ، لكن الاستعمال الأول هو الشائع المستفيض في القرآن والحديث وأشعار العرب .

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين ، فإن دخلت على مضارع كان ذلك لنكتة ، إما :

١ - قصد الاستمرار في الماضي حيناً فحيناً ، نحو : ﴿ لو يُطيعكم في كثير من الأمر لعنتهم ﴾ (٦) . قال في «الكشاف» : إنما قيل : يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وأنه كلما

(١) سورة الكهف الآية ٩٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٩ .

(٤) إن عدم طيران الفرس معلوم ، والمقصود بيان السبب ، وهو أنه لم يطر قبلها ذو حافر .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٢ .

(٦) العنت : الهلاك (سورة الحجرات) .

عن^٢ لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كما تقول :
فلان يقري الضيف ، ويحمي الحرم ، تريد أنه مما اعتاده ووجد منه على طريق
الاستمرار .

٢ - وإما لتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عن لا خلاف في وقوع
أخباره ، نحو : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾^(١) ، ﴿ ولو ترى إذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم ﴾^(٢) ، ونظيره ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾^(٣) ، قال الزغشري :
فإن قلت : لم أدخلت ربما على المضارع ، وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ، قلت :
لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به في تحققه ، فكانه قيل :
ربما ود .

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٢ .

الباب التاسع في الخروج عن مقتضى الظاهر

ما مضى في الأبواب السالفة هي الأحوال التي يلاحظ فيها البليغ مقتضى ظاهر الحال، وقد يعدل عنها لنكتة، فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب المدول مستعيناً بالقرائن، ويسمى ذلك : الخروج عن مقتضى الظاهر .

وقد سبق ذكر شيء من أحواله نبهناك عليه في حينه ، كتنزيل العالم منزلة الجاهل ، والمقول منزلة المحسوس ، وقد بقي منه أمور أهمها ^(١) تجاهل العارف (مزج الشك باليقين) وهو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزداد تأكيداً ، والداعي إليه :

١ - إما المدح كقول ذي الرمة :

أبا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقي آنت أم أم سالم ^(٢)
وقول أبي هلال المسكري :

أثغر ما أرى أم أقحوان وقد ما أرى أم خيزران

٢ - وإما الذم كقول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

٣ - وإما التعجب كقوله تعالى : ﴿ أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ ^(٣) .

٤ - وإما التوبيخ كقول ليلى بنت طريف الخارجية في أخيها الوليد :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف ^(٤)

(١) ساء ابن رشيقي في العمدة التشكيك وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا ينغفى ما له من حسن الروعة وجمال الموقع .

(٢) الوعاء، وجلاجل، والنقي، مواضع .

(٣) سورة الطور الآية ١٥ .

(٤) الخابور نهر بديار بكر يصب في الفرات .

الاتفات : وهو فن من البلاغة ، ملاكه الذوق السليم ، والوجدان الصادق ، ويلقب (بشجاعة العربية) لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضائق الأساليب .

وحقيقته التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذلك ست صور :

١ - فمن التكلم الى الخطاب نحو: ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون ﴾^(١) دون (أرجع) .

٢ - ومن التكلم الى الغيبة نحو: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فصل لربك وانحر^(٢) دون (لنا) .

٣ - ومن الخطاب الى التكلم نحو قول علقمة بن عبدة المعجلي:

طعما بك قلب في الحسان طروب^٣ بعيد الشباب عصر حان مشيب^(٣)
تكلفني ليلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
وكان مقتضى الظاهر يكلفك أي القلب .

٤ - ومن الخطاب الى الغيبة نحو: ﴿ حق إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾^(٤) دون (بكم) .

٥ - ومن الغيبة الى التكلم نحو: ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ﴾^(٥) دون (فساقه) .

٦ - ومن الغيبة الى الخطاب نحو: ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبد ﴾^(٦) دون (إياه) .

(١) سورة يس الآية ٢٢ .

(٢) سورة الكوثر الايتان ١ و ٢ .

(٣) طعما ذهب ، وبعيد تصغير بعد ، وحان قرب ، والولي القرب ، وفاعل يكلف القلب ، أي يطالبني القلب بوصل ليلي .

(٤) سورة يونس الآية ٢٢ .

(٥) سورة فاطر الآية ٩ .

(٦) سورة الفاتحة الآية ٣ .

ووجه حسنه ما ذكره الزمخشري ، وهو أن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية وتجديداً للنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد ، ومن ثم قيل : لكل جديد لذة ، وقد تختص مواقع بطائف كما في سورة الفاتحة ، فإن العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيقي بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكره لما هو فيه بقوله : الحمد لله ، الدال على اختصاصه بالحمد ، وأنه حقيق به وجد من نفسه محرراً للإقبال عليه ، فإذا انتقل إلى قوله : رب العالمين ، الدال على أنه : مالك للعالمين ، لا يخرج منهم شيء عن ملكوته ، قوى ذلك المحرك ، وهكذا كلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك ، الى أن يؤول الأمر الى خاتمتها المفيدة أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، حينئذ يجد من نفسه إقبالا عليه وتخصيصاً له بالخطاب بغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات .

الأسلوب الحكيم : وسماه الإمام عبد القاهر : المغالطة ، وهو نوعان :

١ - تلقي المخاطب^(١) بغير ما يترقب بحمل كلامه على غير ما يريد تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد كقول ابن حجاج البغدادي :

فقلت ثقلت إذ أتيت مرارا قال ثقلت كاهلي بالأيادي
قلت طولت قال لا بل تطول ت وأبرمت قال حبل ودادي

فلفظ ثقلت وقس في كلام المتكلم بمعنى حملتك المثونة فحمله المخاطب على تشويل عاتقه بالمن والأيادي .

٢ - تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأهم كقوله تعالى : ﴿ ويسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾^(٢) ، فقد سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصارف تنبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها .

(١) التلقي المواجهة ، والمخاطب (بفتح الطاء) أي تلقي التكلم بالكلام الثاني المخاطب به ، وهو التكلم بالكلام الأول .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٥ .

الإضمار في مقام الإظهار ، وذلك في موضعين :

١ - باب ضمير الشأن والقصة ، ويكون مرفوعاً نحو: هي الدولة استمدت ، وهو الحق حصص ، ومنصوباً نحو: ﴿فأنها لا تعمى الأبصار﴾ ^(١) وسر هذا الأسلوب المبالغة وتعظيم تلك القصة وتفضيها ، من قبل أن الشيء اذا كان مبهما كانت النفوس متشوقة الى فهمه ، متطلعة الى علمه ، فإذا وضع وفسر حل محلا رفيع القدر لديها ، ومن ثمة لا يكون إلا في المواضع التي يقصد فيها التهويل .

٢ - باب نعم وبئس ، نحو: نعم رجلا محمد ، وبئس غلاماً سميد ، وانتصاب ما بعدهما من النكرات يحيى على جهة التفسير ، والداعي اليه المبالغة في المدح أو الذم ، من حيث انه عند الإيهام يكون للأفئدة تطلع الى ايضاح المبهم وشفق إلى بيانه .

الإظهار في مقام الإضمار ، فإن كان المظهر اسم إشارة كان :

١ - اما لكمال العناية به لأجل اختصاصه بحكم غريب ، كقول ابن الراوندي ^(٢):

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا ^(٣)

فأتى باسم الإشارة لأجل الحكم البديع الذي اختص به المشار اليه وهو تركه الأوهام حائرة وتفسيره العالم التحرير زنديقا .

٢ - وإما للتكميم بالسامع ، كما اذا كان فاقد الصبر ، فتقول له : هذا الهلال بين السحاب .

٣ - وإما لإظهار بلاهته ، كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو : فجشني بمثلهم .

(١) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٢) هو احمد بن يحيى الراوندي المتوفى سنة ٥٢٩١ هـ ، اتهم بالزندقة ونسب اليه أنه عارض القرآن ، وأتى بما تضعك منه التكليل .

(٣) أعيت أعجزت ، ومذاهبه رسائل عيشه ، والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الاسلام ، واسم الإشارة يعود الى الحكم السابق وهو حرمان العاقل ورزق الجاهل .

٤ - وإما لكهال فطنته حق كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو :

تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدن قتلي قد ظفرت بذلك^(١)
أي بقتلي ، وكان من حقه أن يقول به لكنه ادعى أن قتله قد ظهر ظهور
المحسوس ، وإن كان المظهر غير اسم إشارة ، فإما :

(١) لزيادة تمكينه في ذهن السامع نحو : ﴿ الله الصمد ﴾^(٢) ، ونحو :
﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾^(٣) ، وقول الحماسي :

شدتنا شدة الليث غدا والليث غضبان

(٢) وإما للاستعطاف والخضوع الموجبين للشفقة ، كقوله :

إلهي عبدك العاصي أنا كما مقراً بالذنوب وقد دعا كما

(٣) وإما لادخال الروعة والمهابة في نفس السامع نحو : ﴿ فإذا عزمت
فتوكل على الله ﴾^(٤) ، لاندراج كل كهال تحت لفظ الجلالة فأجدر به أن يكون
موضع التشكلان .

(٤) وإما للتهكم والتعجب ، نحو : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ، بل الذين
كفروا ﴾^(٥) ، ثم قال بعد : ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾^(٦) ،
فالفرض شد النكير عليهم والتعريض بأنهم حقاً أهل التمرد والعناد .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للدلالة على تحقيق وقعه ، نحو : ونادى
أصحاب النار ، فقد جمل المتوقع الذي لا يسد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومثله
التعبير عنه باسم الفاعل نحو : ﴿ وإن الدين^(٧) لواقع ﴾ بدل يقع ، أو باسم
المفعول ، نحو : ﴿ ذلك يوم^(٨) مجموع له الناس ﴾ بدل يجمع .

(١) تعاللت: ادعيت الملة ، أشجى: أحزن .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٢ .

(٣) سورة الحاقة الآية ١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥ و ٦) سورة ص الآيات ١ و ٢ و ٤ .

(٧) أي الجزاء حاصل ، فوقوع الجزاء استقبالي (سورة للذاريات)

(٨) سورة هود الآية ١٠٣ .

(القلب) ، وهو جعل جزء من أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه ، على وجهه^(١) يثبت حكم كل منها للآخر ، وهو قسيان :

١ - ما يكون موجبه تصحيح حكم لفظي فقط والمعنى صحيح بدونه ، كقول القطامي :

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يكُ موقفُ منك الوداعا^(٢)

لما نكر موقفاً وهو في وضع المبتدأ وعرف الوداع وهو في موضع الخبر جعل من (باب القلب) .

٢ - ما يكون موجبه تصحيح المعنى ، كقولهم : عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنسوة في الرأس ، مكان : عرضت الحوض على الناقة ، وأدخلت الرأس في القلنسوة ، إذ الأصل أن يحاء بالمعروض الى المعروض اليه ، وأن ينقل المظروف الى الظرف لا بالعكس كما هنا .

والصحيح جوازه اذا اشتمل على مفزى شريف ومعنى حسن ، كقول رؤبة :

ومهمة مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه^(٣)

يريد كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فمعكس التشبيه لقصد المبالغة ، ونحوه قول أبي تمام يصف قلم المدوح :

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل^(٤)

وإن لم يشتمل على اعتبار لطيف رد ، كقول عروة بن الورد :

(فديت بنفسه نفسي ومالي)

(التغليب) ، وهو إعطاء أحد المصطلحين أو المتشاكلين حكم الآخر ، وهو

باب ذو شعب كثيرة ، فمن ذلك :

١ - تغليب المذكر على المؤنث ، نحو : وكانت من القانتين ، أدرجت مريم

(١) فإن لم يثبت ذلك الحكم نحو : في الدار علي ، وكلم محمداً علي ، فإن كلا منهما وإن جعل في مكان الآخر باق على حكمه ، لا يسمى ذلك قلباً .

(٢) قفي يا ضباعا ساعة حتى أودعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفاً .

(٣) المهمة المفازة ، والغبرة المملوءة بالفبار ، والأرجاء النواحي .

(٤) الأري العسل ، واشتارته جنته ، والمعاسل جمع عاسلة وهي جانبية العسل .

في القانتين من الرجال ، تغليباً لهم على القانتات ، وقد جروا على خلاف الغالب في ألفاظ معدودات فقلّبوا الماؤنث على المذكر .

٢ - تغليب الكثير على القليل نحو: فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، غلب الملائكة على إبليس وهو ليس منهم ، رسمي الجميع ملائكة .

٣ - تغليب المعنى على اللفظ نحو: بل أنتم قوم تجهلون ، بدل يجهلون ، الذي ضميره للقوم ولفظه غائب مراعاة للخطاب بأنتم .

٤ - تغليب المخاطب على الغائب نحو: أنت وعلى صنعتما كذا .

٥ - تغليب أحد المتناسين على الآخر كالأبوين والقمرين للأب والأم والشمس والقمر ، وعليه قول المتنبي :

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معاً

٦ - تغليب العقلاء على غيرهم نحو: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض ، منها :

(١) التفاؤل في الجمل الدعائية ، نحو : وفقك الله الى ما فيه الخير ، وقول النابغة :

أأني (أبيت اللعن) أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب^(١)

(٢) التباعد عن صيغة الأمر تأديباً واحتراماً للسامع كما تقول لعظيم : ينظر مولاي في شأني ويقضي طلبتي ، مكان : انظر واقض .

(٣) التنبيه على تيسر المطلوب لوفرة الأسباب واستكمال المدة ، كما يقول القائد حائناً جنده : تفتكون بالأعداء وتنزلونهم من حصونهم وتذيقونهم الردى ، مكان : افتكوا وأنزلوهم وأذيقوهم .

(٤) إظهار الرغبة في حصول المطلوب كما تقول في الكتاب لغائب : جمع الله الشمل وقرب أيام اللقاء .

(١) أبيت اللعن أي أبيت أن تفعل شيئاً فلعن به وكانت هذه تحية الملوك ، وأهتم أصير لأجلها ذا هم ، والنصب التنب .

(٥) التنبيه على سرعة الامتثال ، ولو ادعاء ، نحو : ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ ^(١) مكان : لا تسفكوا ، مبالغة في النهي بادعاء أنهم نهوا فامتنلوا ، ثم أخبروا .

(٦) حل المخاطب على الفعل بالطف أسلوب ، كقولك لرجل لا تحب أن يكذبك : تجيء غداً ، مكان قولك : جيء ، لتحمله على الجيء لأنه إن لم يأت غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر ^(٢) لكون كلامك في صورة الخبر .

يوضع الإنشاء موضع الخبر لاعتبارات ، منها :

١ - إظهار العناية بالشيء والاهتمام به ، نحو : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ^(٣) لم يقل : وإقامة وجوهكم ، إشعار بالعناية بالصلاة لعظم خطرها وجليل قدرها في الدين .

٢ - التباعد عن مساواة اللاحق بالسابق ، نحو : ﴿ قُلْ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ^(٤) لم يقل : وأشهدكم ، تحاشياً عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى .

٣ - الرضا بما هو حاصل كأنه مطلوب في قوله عَلَيْهِ السَّلَام : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » مكان يتبؤا .

الانتقال من الماضي الى المضارع ، أو بالعكس :

(١) فالأول نحو : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَسْقِيهِ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ ^(٥) جاء ثثير ، بدل أثار ، لتستحضر تلك الصورة الماضية ، حتى كأن الإنسان يشاهد أثاره الريح للسحاب ، فيستدل من ذلك على عجيب قدرته ، وباهر حكمته .

(١) سورة البقرة الآية ٨٤ .

(٢) أما في الحقيقة فلا كذب ، لأنه كلام في معنى الإنشاء .

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٤) سورة هود الآية ٥٤ .

(٥) سورة الروم الآية ٤٨ .

(٢) والثاني كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) عطف ففزع على ينفخ تأكيداً للثبوت ومبالغة في الحصول ودلالة على أن ذلك كائن لا محالة .

تدريب

- بَيِّنَ السِّرَّ فِي خُرُوجِ التَّرَاكِيِبِ الْآتِيَةِ عَنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ :
- ١ - كل خليل كنت خالته (لا ترك الله له واضحة) ^(٢)
كلهم أروغ من ثعلب (ما أشبه الليلة بالبارحة) ^(٣)
 - ٢ - يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا ^(٤) من رحمة الله .
 - ٣ - ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيمٌ ودودٌ ﴾ ^(٥) .
 - ٤ - أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيعتك الحياء
كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
 - ٥ - ألمع برق سري أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي ^(٦)
 - ٦ - وقالوا قد صفت منا قلوب نعم صدقوا ولكن عن ودادي
 - ٧ - يقول العبد للمولى إذا حول وجهه عنه : ينظر مولاي إلي هنيهة .
 - ٨ - يكون مزاحها غسل وماء .

الاجابة

- (١) وضع الخبر موضع الانشاء للدعاية عليه في قوله : لا ترك الله له واضحة .
- (٢) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى الغيبة في رحمة الله .
- (٣) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى التكلم .

(١) سورة يس الآية ٥١ .

(٢) الخليل الصديق ، والواضحة الأسنان تبدو عند الضحك .

(٣) مثل يضرب لتشابه الأمور .

(٤) القنوط : اليأس .

(٥) سورة هود الآية ٩٠ .

(٦) الضاحي : البارز .

- (٤) فيه التفات من الخطاب الى القبية .
 (٥) فيه تجاهل المعارف .
 (٦) فيه الأسلوب الحكيم ، فقد حمل صفاء القلوب على خلوها من الود .
 (٧) وضع الخبر موضع الانشاء تأديباً في قوله : ينظر ، بدل : انظر .
 (٨) فيه قلب ، والأصل يكون : مزاجها عسلاً وماء .

تمهيد

- ١ - تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد^(١)
 وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
 وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود
 ٢ - ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾^(٢)
 ٣ - ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾^(٣)
 ٤ - ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نقادر منهم أحدا﴾^(٤)
 ٥ - فلما أن جرى سمن عليها كما طينت بالفدن السباعا^(٥)
 ٦ - ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا﴾^(٦)
 ﴿ثم دنا فتدلى﴾^(٧)
 ٧ - بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

(١) قاله امرؤ القيس ، والأثمد موضع ، والمائر مرض العين .

(٢) سورة النساء الآية ٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٩ .

(٤) سورة الكهف الآية ٤٧ .

(٥) الفدن القصر ، وسباع الطين المخلوط بالطين وجواب لما في البيت بيمده .

(٦) سورة الأعراف الآية ٤ .

(٧) سورة النجم الآية ٨ .

الباب العاشر في القصر

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تعريفه لغة واصطلاحاً

القصر في اللغة : الجبس ، وفي التنزيل : ﴿ حورٌ مقصوراتٌ في الخيام ،
وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ ^(١) ، قال الفراء : قد قصرن أنفسهن على
أزواجهن فلم يطمعن إلى غيرهم .

وفي الاصطلاح إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عما عداه ، أو هو
تخصيص أمر بأمر بإحدى الطرق الآتية ، والتعريف الثاني أصح لشمول الأول
لقولك : محمد مقصور على القيام ، وذلك لا يسمى قصرأ اصطلاحاً .

فإذا قلنا : ما سافر إلا علي ، استفيد من ذلك تخصيص السفر بعلي ونفيه عن
غيره ممن يظن فيه ذلك ، فما قبل إلا مقصور وما بعدها مقصور عليه (ما وإلا)
طريق القصر .

المبحث الثاني في طريقه

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطي في كتابه « الاتقان » إلى
أربعة عشر طريقاً ^(٢) أشهرها ستة تقدم الكلام على اثنين منها وهما توسط ضمير
الفصل نحو : كلم الله هو موسى ، تعريف المسند بأل نحو : خير الزاد التقوى ،
وستنكمل هنا على الأربعة الباقية وهي :

(١) سورة الرحمن الآية ٧٢ .

(٢) منها التصريح بلفظ وحده أو لا غير أو فقط ، أو زيادة الاختصاص ، أو زيادة القصر ،
وكل هذه ليست من الطرق الاصطلاحية .

طريق القصر	المثال	المقصود	المقصود عليه
النفي والاستثناء إنما	ماشجاع إلا علي	الشجاعة	ما بعد إلا
المعطف (١) بلا	إنما الشجاع علي	الشجاعة	الآخر
(ب) بل	علي شجاع لا خالد	الشجاعة	المقابل لما بعد لا
(ج) ولكن	ما خالد شجاع بل علي	الشجاعة	ما بعد بل
تقديم ما حقه التأخير	ما خالد شجاع لكن علي	الشجاعة	ما بعد لكن
	بالشجاعة يفوز علي	الشجاعة	المتقدم

١ - وجه إفادة النفي والاستثناء القصر أنه إذا قيل: ما محمد، توجه النفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأن الذات لا تنفي، ومن حيث إنه لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفي، فإذا قيل: إلا شاعر جاء القصر، هذا في قصر الموصوف على الصفة، أما في قصر الصفة على الموصوف فإنه متى قيل: ما شاعر، فأدخل النفي على الوصف المسلم بثبوته وهو الشعر لغير الشخصين اللذين الكلام فيها كمحمد وعلي مثلاً، توجه النفي إليهما فإذا قيل: إلا محمد، حصل القصر.

٢ - وجه إفادة إنما القصر تضمنها معنى: ما وإلا، دليل ذلك البراهين الآتية:

(أ) ما قاله النحاة من كون إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه.

(ب) ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(١) بنصب الميته من أن المعنى: ما حرم عليكم إلا الميته، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميته لأنحصار التحريم فيها، إذ ما في قراءة الرفع اسم موصول، فتقدير الكلام حينئذ إن المحرم الميته والخبر معرف بلام الجنس فيفيد الحصر كما تقدم.

(ج) صحة انفصال الضمير معها فتقول: إنما يسافر أنا، كما تقول: ما يسافر إلا أنا، كما قال الفرزدق:

أنا الزائد الحامي الدمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي^(٢)

(١) سورة النحل الآية ١٥٥.

(٢) الندود الطرد، والدمار المهد، وفي الأساس هو الحامي الدمار إذا حمى ما لو لم يحمه لم وهن، والحسب ما يمدد المرء من مفاخر نفسه وآبائه.

إذ لو كان المراد الإيجاب لم يستقم ، لأنك لا تقول : يدافع أنا ، وإنما تقول : أدافع ، ولكن لما كان المعنى : ما يدافع إلا أنا ، فصل الضمير كما يفصل مع النفي والاستثناء ليتأتى له ما قصد وهو تخصيص المدافع لا المدافع عنه ، إذ لو قال : وإنما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم لا عن غيرهم ، وليس ذلك بمقصود بما فيه من قصور المدح والمقام مقام مبالغة إذ هو في معرض التفاخر وعدا المآثر .

قال السكاكي ويذكر لذلك وجه لطيف يسند إلى علي بن عيسى الربيعي ، وهو أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن يضمن معنى القصر لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد .

٣ - يراد بالتقديم تقديم ما كان حقه أن يؤخر ، كتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم بعض معمولات الفعل عليه ، نحو : أنا أنجزت مسألتك ، أي وحدي ، لمن اعتقد أنك وغيرك أنجزتماها ، أو بمعنى : لا غيري ، لمن اعتقد أن غيرك أنجزها دونك .

وهذه الطرق تفرق من وجوه :

(١) أن التقديم يدل على القصر بمفهوم الكلام ، فإن ذا الذوق السليم إذا تأمل في كلام فيه التقديم ، فهم منه القصر ، وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء في ذلك ، والثلاثة الباقية بالوضع اللغوي ، لأن الواضع وضعها لتفيد ذلك .

(٢) أن الأصل أن ينص في العطف على المثبت والمنفي معاً ، فلا يترك ذلك إلا خوف التطويل ، كما إذا قيل : محمد يعلم الكيمياء والطب والهندسة والجبر والفلك ، أو محمد يعلم الكيمياء ، وإبراهيم وخالد إلى آخره .. فتقول فيها : محمد يعرف الكيمياء لا غير ، أي لا الطب ولا الهندسة إلى آخره في الأول ، ولا إبراهيم ولا خالد في الثاني ، وينص في الثلاثة الباقية على المثبت فقط .

(٣) أن النفي بلا العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، فلا تقول : ما محمد إلا مجتهد لا كسل ، لأن شرط جواز النفي بلا ، أن يكون ما قبلها منفيًا بغيرها ، ولذا عيب على صاحب «الكشاف» حيث قال في تفسير قوله تعالى :

فإذا عزمت فتوكل على الله ، أي لأنت الأصلح لك لا يملئه إلا الله ، لا أنت ، وعلى الحريري في قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

ويجتمع مع إنما والتقديم فتقول : إنما محمد مجتهد لا كسلان ، وهو يجتهد لا علي ، لأن النفي فيها غير مصرح به ، بل المصرح به هو الإثبات ، فلا يقبح تأكيد ما تضمنناه والنفي بلا ، بخلاف ما وإلا فإنه قد صرح فيها بالنفي ، والنفي الصريح ليس كالضمني .

(تنبيه) لا يحسن العطف بعد إنما إذا كان الوصف مختصاً بالموصوف كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي الأبواب في قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولوا الأبواب ﴾ (١) ، فلا يحسن أن تقول : إنما يتذكر أولوا الأبواب لا الجهال ، كما يحسن أن تقول : إنما يحيي محمد لا علي .

(٤) أن الأصل في (النفي والاستثناء) أن يكون لأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه أو لما هو منزل هذه المنزلة - بيان ذلك أنك لا تقول ما هو إلا مخطئ إلا لمن ينكر أن يكون الأمر على ما قلت ، وإذا رأيت شعباً من بعد فقلت : ما هو إلا علي ، لم تقله إلا والمخاطب يتوهم أنه ليس بعلي .

وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ (٢) أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبيري والتباعد عن الهلاك ، نزل استفظاعهم هلاكه وشدة حرصهم على بقائه منزلة إنكارهم ذلك .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ (٣) ، لأن الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرأ مثلهم . وأما قوله تعالى : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ (٤) ، فمن باب مجازاة الخصم وتسليم بعض مقدماته لتقطع حججته

(١) سورة الرعد الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٥٨ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ١١ .

كما هي العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه ، كما اذا قال لك مَنْ يحاجك في مسألة : أنت من دأبك كيت وكيت ، فتقول : نعم أنا من دأبي كيت وكيت لكن لا ضير علي ولا يلزمي من أجل ذلك ما ظننت ، فالرسل صلوات الله عليهم كأنهم قالوا : إن ما قلتم هو كما قلتم ، لكن ذلك لا يمنع الرسل وفضل الله علينا .

(٥) ان الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يحمله المخاطب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة .

تفسير هذا أنك تقول للرجل : إنما هو صاحبك القديم ، وإنما هو أخوك ، لمن يعلم ذلك ويعترف به ، لكنك تريد أن تنبيه لما يجب عليه من حرمة الصاحب وحق الأخوة لترققه وتستعطف قلبه ، ألا ترى الى أبي الطيب حين يقول :

إنما أنت والدٌ والأب القا طع أخني من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه لابن الأخشيد مولاه بمنزلة الوالد ، ولا كافور في حاجة إلى أن يُعلم بذلك ، لكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليجمعه ذريعة إلى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان ، ونظير ذلك قولهم : إنما يجعل من يخشى الفوت ، وقوله تعالى : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ ^(١) . وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ ^(٢) ، فهم قد ادعوا أن اصلاحهم أمر جلي ظاهر ، ولذا جاء الرد عليهم مؤكداً بأن واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال : ﴿ ألا أنهم هم المفسدون ﴾ ^(٣) . ونحو ذلك قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

حيث ادعى أن ثبوت هذه الصفة لمدوحه أمر ظاهر ، لا يخفى على أحد ، كما هو دأب الشعراء اذا مدحوا أن يدعوا الشهرة فيما يصفون به بمدوحهم ، ألا ترى الى البحري حين يقول :

لا أدعي لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداة

(١) سورة الأنعام الآية ٣٦ .

(٢ و ٣) سورة البقرة الآيتان ١١ و ١٢ .

هذا وقد علم بالاستقراء أن أحسن موقع تستعمل فيه إنما إذا كان الفرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها نعو: إنما يتذكر أولوا الألباب ، فإنه تعريض بدم الكافرين من حيث أنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذئ عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب ، ونظيره: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴾ (١) إذ المراد أن من لم تكن له من هذه الخشية ، فكأنه ليس له أذن تسمع ، ولا قلب يعقل ، فالإنذار وعدمه بيان . وعلى ذلك جاء قوله :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له في وصلها فهو يائس منه .

(٦) لأنما مزية على العطف ، وهي أن يعقل منها إثبات الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف ، فإنه يفهم منه أولاً الإثبات ثم النفي ، نعو : محمد قائم لا قاعد ، أو بالعكس نعو : ما محمد قائماً بل قاعد .

المبحث الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة (٢)

ينقسم القصر باعتبار الواقع والحقيقة الى قسمين : حقيقي وإضافي :

إضافي	حقيقي
هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين بالنسبة إلى جميع ما عداه نحو ما علي إلا شجاع أي أنه مقصور على صفة الشجاعة لا يتجاوزها	هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة . والواقع نحو لا معبود بحق إلا الله ، إذ لا معبود بحق في الواقع غير الله تعالى وهو ثمان
إلى الجبن ، ولا إلى التهور مثلاً ونحو لا صادق إلا علي لمن يعتقد أن الصادق هو محمود ، أو هو محمود ، أو يتردد فيهما ، فيكون المراد نفي الصدق عن غير علي ممن يعتقد المخاطب ، أو يتردد فيه لا نفيه عن جميع الناس	(١) حقيقي تحقيقاً وهو ما كان التخصيص فيه بالنسبة للحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور المقصور عليه أصلاً نحو : إنما الله كامل إذ لا صفة لله جامعة إلا الكمال في الواقع (٢) حقيقي بحسب الإدعاء والمبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم فهو : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي

(١) سورة النازعات الآية ٤٥ .

(٢) لم يذكر هذا التقسيم صاحب «الفتاح» فله جدواه .

المبحث الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور

ينقسم كل من الحقيقي والإضافي باعتبار حال المقصور الى قسمين :

١ - قصر موصوف على صفة بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى أصلاً (في القصر الحقيقي) نحو: ما الله إلا كامل ، وهذا التقسيم متعذر لا يكاد يوجد أو هو محال لمتعذر^(١) الاحاطة بصفات الشيء فلا يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه ولذا لم يقع في التنزيل ، أو بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى مخصوصة وإن أمكن أن يتجاوزها الى صفات أخرى غير تلك الصفة الأخرى المخصوصة (في القصر الإضافي) نحو: ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾^(٢) فالمقصود قصره على الرسالة بألا يتعداها الى التباعد عن الموت الذي استعظموه ، وهذا لا ينافي أنه متصف بالصحة واليقظة ونحوهما .

٢ - قصر صفة على موصوف بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر أصلاً (في القصر الحقيقي) نحو : لا يعلم الغيب إلا الله ، أو بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر مخصوص ، وإن أمكن أن تتجاوزها الى موصوف غير ذلك الموصوف الآخر (في القصر الإضافي) نحو: لا محترم إلا الصادق فالمقصود قصر الاحترام على الصادق دون الكاذب فلا يمنع هذا من احترام الأمين والمخلص لوطنه ونحو ذلك .

المبحث الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب

ينقسم القصر الإضافي^(٣) باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة أقسام:

(١) لأنك اذا قلت: ما محمد إلا كاتب وأردت القصر الحقيقي لزم إلا يتصف بالقيام والقيوم مع أنه لا بد أن يتصف بواحد منها ضرورة أن النقيضين لا يجتمعان ، وأيضاً يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس له غيرها .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) دون الحقيقي بنوعيه لأن العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات ، ولا اتصافه بجميعها إلا واحدة ، أو يتوعد في هذا ، وكيف يكون ذلك وفيها صفات متقابلة ، فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي افراداً أو قلباً أو تعييناً ، وكل هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف .

١ - قصر أفراد اذا اعتقد المخاطب (١) الشركة بين شيئين فأكثر ، نحو :
إنما الله إله واحد ، خوطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ، بدليل قوله قبلها :
ولا تقولوا ثلاثة " انتهىوا خيراً لكم .

٢ - قصر قلب اذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده ،
نحو : ما شاعر إلا شوقي ، ردأ على من زعم أن غيره أشعر منه .

٣ - قصر تعيين اذا كان المخاطب متردداً في الحكم نحو : ما شاعر إلا شوقي
ردأ على من تردد في إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين .

المبحث السادس في مواقع القصر

كما يكون القصر بين المبتدأ والخبر ، كما رأيت ، يكون أيضاً بين الفعل
والفاعل ، وبين الفاعل والمفاعيل بأنواعها إلا المفعول معه ، وكذا بين جميع
المعمولات ، نحو : ما جاء إلا علي ، وما نال علياً إلا التعب ، وما أعطيت محمداً
إلا ديناراً ، وما جاء علي إلا راكباً .

فإذا كان القصر : بما وإلا ، وجب تقديم المقصور وتأخير المقصور عليه ، مع
إلا ونحوها من أدوات الاستثناء نحو : ﴿ وما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾
أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴿ (٢) ، وهو قصر قلب لا أفراد إذ المعنى أني لم أترك
ما أمرتني أن أقوله لهم إلى خلافه ، بدليل : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله ، وليس المراد أني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً إذ ليس الكلام
في زيادة أو نقصان في التبليغ .

ويجوز قليلاً تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء وهما بجاهلها (٣) على المقصور
نحو : ما كلم إلا محمد خالداً ، وما كلم إلا محمداً خالد ، وعليه قوله :

فيا رب هل إلا بك النصر يرجي عليهم وهل إلا عليك المعول

ووجه إفادة النفي والاستثناء القصر في كل ما تقدم أن النفي في الاستثناء المفرغ
يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه ، إذ إلا للاخراج ، وهو يتطلب مخرجاً منه ،

(١) شرطاً في قصر الوصف على عدم تنافي الوصفين ليصبح اعتقاد المخاطب اجتماعها .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٧ .

(٣) فالاختصاص في الذي يلي إلا ، فالمقصود عليه هو الفاعل في الأول والمفعول في الثاني .

وذلك المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الإخراج ففي نحو : ما فهم إلا محمد ، يقدر ما فهم أحد ، وفي نحو : ما كسوته إلا عبادة ، ما كسوته لباساً ، فإذا أخرج منه شيء جاء القصر ضرورة بقاء ما عدا ذلك الشيء على جهة الانتفاء . وإذا كان القصر بإنما أخر المقصور عليه ، فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا ، فيكون هو المقصور عليه نحو : إنما محمد قائم وإنما أنشئته زجراً له . ولا يجوز تقديم المقصور عليه على غيره ، لئلا يؤدي إلى الإلباس ، إذ قولك : إنما كلم محمد علياً يفهم عنه عكس قولك : إنما كلم محمد أ علي . ولا إلباس في النفي والاستثناء .

قال السكاكي : وما ذكر تمتاز على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْإِنْسَانُ ﴾ ^(٢) ، فإن الأول يقتضي قصر خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي قصر خشية العلماء على الله .

تدريب أول

بين نوع القصر وطريقه فيما يأتي :

- ١ - لا يَأْلَفُ الْعِلْمُ إِلَّا ذِكْرِي ، ولا يحفوه إلا غبي .
- ٢ - قَدْ عَلِمْتُ سُلْمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا ^(٣) وَعَوَارِ مَسْتَوْدَه وَرِخَاءَ بَعْدَ شَدَه
- ٣ - إِنَّمَا الدُّنْيَا هَبَاتُ شَدَه بَعْدَ رِخَاءَ
- ٤ - إِنْ الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ وَضُمْتُ قَوَاصٍ مِنْهُ بَعْدَ قَوَاصِي ^(٤)
- ٥ - بَكَ اجْتَمَعَ الْمَلِكُ الْمُبَدَّدُ شَمْلَه لَيْسَ الْيَتِيمُ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ
- ٦ - مَحَاسِنُ أَوْصَافِ الْمُفْنِينَ جَهْ بَلِ الْيَتِيمُ يَتِمُّ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ
- ٧ - مَحَاسِنُ أَوْصَافِ الْمُفْنِينَ جَهْ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَقْبَدٍ ^(٥)
- ٨ - عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ يَكْرُمُ الْمَرْءُ أَوْ يَهَانُ .

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) قطر الفارس ألقاه على قطريه أي جانيبه .

(٣) المبدد الفرق ، والقواصي جمع قاصية : الناحية البعيدة .

(٤) مفن مشهور أيام بني أمية وبني العباس .

الاجابة

الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	باعتبار المخاطب	طريقه
لا يآلف العلم إلا ذكي	قصر صفة على موصوف	حقيقي		لا والا
ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	اضافي	تعيين	ما والا
إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	اضافي	قلب	إنما
إن الجدين إلى آخره	قصر صفة على موصوف	اضافي	قلب	العطف ولكن
بك اجتمع الملك	قصر صفة على موصوف	اضافي	إفراد	التقديم
ليس اليتيم الخ	قصر صفة على موصوف	اضافي	قلب	العطف ببل
ما نصبات السبق الخ	قصر صفة على موصوف	اضافي	إفراد	ما والا
عند الامتحان الخ	قصر صفة على موصوف	اضافي	إفراد	التقديم

تدريب ثان

- ١ - هات جملة تفيد نجاح محمد وعدم نجاح خالد بواسطة إنما .
- ٢ - رد بطريق القصر بإنما على من ظن أن المطر يكثر شتاء في السودان .
- ٣ - اجعل الجملة الآتية دالة على قصر الصفة على الموصوف بطرق القصر الأربع ، وهي (أكرم المؤدب) .
- ٤ - (أ) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر قلب .
(ب) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر افراد .
(ج) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر تعيين ، وهي :
ما كتبت ' إلا ما طلبته مني .
- ٥ - غير الجملة الآتية ، بحيث تفيد للقصر بالمعطف (بك اجتمع الملك المبدد شمله) .
- ٦ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة النفي والاستثناء (إن الطيور على أشكالها تقع) .
- ٧ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة إنما (يحمد الناس الصادق) .
- ٨ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة المعطف (ينال المجد المجتهد) .

الاجابة

- ١ - إنما نجح محمد لا خالد .
- ٢ - إنما يكثر المطر في السودان ربيعاً لا شتاء .
- ٣ - (أ) لا أكرم إلا المؤدب .
(ب) إنما أكرم المؤدب .
(ج) أكرم المؤدب لا سيء الخلق .
(د) المؤدب أكرم .
- ٤ - (أ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت غير ما طلب .
(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت ما طلب وغيره .
(ج) إذا كان المخاطب متردداً في كتابتك ما طلب وغيره .
- ٥ - اجتمع الملك المبدد شمله بك لا بفيرك .
- ٦ - لا تقع الطيور إلا على أشكالها .
- ٧ - إنما يحمد الناس الصادق .
- ٨ - ينال المجد المجتهد لا الكسلان .

تمرين أول

بيّن طريق القصر ونوعه باعتبار المقصود عليه وباعتبار الواقع وباعتبار المخاطب :

- ١ - وما الخوف إلا ما تخوفه الفق
 - ٢ - وإنما المرء حديث بعده
 - ٣ - وللفق من ماله ما قدمت
 - ٤ - ما افترينا في مدحه بل وصفنا
 - ٥ - ليس عار بأن يقال فقير
 - ٦ - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
 - ٧ - سيدكرني قومي إذا جد جدم
 - ٨ - وما بلد الإنسان غير الموافق
 - ٩ - عمر الفق ذكره لا طول مدته
 - ١٠ - بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
- ولا الأمن إلا ما رآه الفق أمنا
فكن حديثاً حسناً لمن وعى
يداه قبل موته لا ما اقتنى
بعض أخلاقه وذلك يكفي
إنما العار أن يقال بخيل
فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر
ولا أهله الأدنون غير الأصادق
وموته خزيه لا يومه الداني
لا بين ملك على جهل واقلال

تمرين ثان

- ١ - رد بطريق القصر على مَنْ زعم تأخر فن الطب بمصر .
- ٢ - ضع الجملة الآتية بإحدى طرق القصر المتقدمة : يحب الناس المخلص لوطنه .
- ٣ - مَنْ تخاطب بهذه الجملة على طريق قصر القلب : لا ينال العلا إلا مُجدد .
- ٤ - حوّل القصر في هذه الجملة الى قصر بإنما : وما قصبات السبق إلا لمبعد .
- ٥ - حوّل طريق القصر الآتي الى نفي واستثناء : وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر .
- ٦ - رد بطريق القصر على مَنْ زعم قلة الحر في الصعيد .
- ٧ - غيّر الجملة التالية بحيث تفيد القصر بالعطف : بك وثقت .
- ٨ - ضع الجملة الآتية بحيث تفيد القصر بإنما (يُحِلُّ الناس الجواد) .

الباب الحادي عشر في الفصل والوصل

وفيه تمهيد وخمسة مباحث

تمهيد في دقة مسلكه وعظيم خطره

الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الإستئناف والتهدي الى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها ، أو تركها عند الحاجة اليها ، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظاً من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها ، ولصعوبة ذلك جعل حداً للبلاغة ، ألا ترى الى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال : « هي معرفة الفصل والوصل » ، فجعل ما سواه تبعاً ومفتقراً إليه وليس بالحققي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحداً لا يكمل في معرفته إلا كمل في سائر فنونها ، فإن سبك الكلام وقوة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج الى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل فيرى الفرق واضعاً بين جملتين تترجان حد الامتزاج حتى كأن إحداها الأخرى وجملتين لا تناسب بينهما ^(١) فإحداها مشتمة ^(٢) والأخرى معرقة ، وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأولين والوصل في النوع الثالث ، واعتبر ذلك بما تراه قد أجمعوا عليه من النعي على أبي تمام وهو ما هو ، في قرص الشعر ، ورفيع المنزلة ، في صياغة الكلام ، في قوله يمدح أبا الحسين محمد الهيثم :

(١) المراد بذلك شدة التباين بينهما .

(٢) أي فاحية في الشام .

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طول بالوى ورسوم
لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم^(١)

إذ قد وصل (وأن أبا الحسين كريم) بما قبله ولا مناسبة بين كرم أبي الحسين
ومرارة النوى ، ولا تعليق لأحدهما بالآخر ، إذ لا يقتضي الحديث ،
بهذا الحديث ، بذلك .

المبحث الأول في وصل المفردات وفصلها

البحث في وصل الجمل وفصلها لا يتضح إلا إذا سبقه الكلام على وصل
المفردات وفصلها ، وبيان هذا أن عطف مفرد على آخر يستفاد منه مشاركة
الثاني للأول في اعرابه من رفع ، ونصب ، وجر ، ولكن الأكثر في الصفات
ألا يعطف بعضها على بعض ، نحو : جاء محمد العاقل الفاضل الكريم ، وسر هذا
أن الصفة جارية مجرى موصوفها ، فهي تدل على ذات لها تلك الصفة ، ومن ثم
يمنع عطفها على موصوفها ، فلا يجوز : جاءني محمد والكريم ، على أن الكريم هو
محمد ، لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه ، وجاء قليلاً عطف بعضها على بعض
باعتبار المعاني الدالة عليها ، فنقول : نظرت الى علي الفاضل ، والمؤدب والكريم ،
كأنك قلت : نظرت الى من اتصف بالفضل والأدب والكرم ، وعلى ذلك
جاء قوله :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

المبحث الثاني في وصل الجمل

وصل الجمل عطف بعضها على بعض بالواو ، أو إحدى أخواتها ، وفائدته
تشريك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، ومن حروف العطف ما يفيد العطف
فمعسب ، وهو الواو ، ولذا قد تخفى الحاجة إليها فلا يدر كها إلا من أوتي حظاً
من حسن الذوق ، ومنها ما يفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب من غير تراخ

(١) زعمت: أي محبوبته ، عفا: درس وزالت معالها ، والطلول جمع طلل آثار الديار التي
هجرتها أهلها ، والصبر ثمر شجر مر ، والخطاب في هواك للنفس ، وجواب القسم ما ذكره في
البيت بعده :

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك نجوم

في الفاء ، وهو مع التراخي في ثم ، وهكذا ، ومن أجل ذلك لا يقع اشتباه في استعمال ما عدا الواو ، ولذا لا يبحث هنا إلا عنها .

والجمل المعطوف بعضها على بعض ضربان :

١ - أن يكون الجملة المعطوف عليها موضع من الاعراب ، وحكم هذه حكم المفرد لأنها لا تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه ، وحينئذ يكون وجه الحاجة فيها الى الواو ظاهراً ، والإشراك بها في الحكم موجوداً ، فإذا قلت : نظرت إلى رجل خلقه حسن ، وخلقته قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى ، وهو كونها في موضع جر صفة للنكرة ، ونظائر ذلك كثيرة ، وخطبها يسير .

٢ - ألا يكون لها موضع من الاعراب ، وتحت هذه نوعان :

(أ) أن تتفق^(١) الجملتان خبراً وإنشاءً ، وتكون بينهما مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع ، نحو : ﴿ إن الأبرارَ لفي نعيم وإن الفجارَ لفي جحيم ﴾^(٢) ، ونحو : (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) ، ويسمى ذلك توسطاً بين الكمالين .

(ب) أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً ، لكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المقصود ، كما تقول : لا وشفاه الله ، جواباً لمن سألك : هل أبل محمد من مرضه ؟ فترك الواو حينئذ يروم الدعاء عليه مع أن المقصود الدعاء له ، وقد روي أن هارون الرشيد سأل وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة . فلما بلغ ذلك صاحب ابن عباد قال : هذه الواو أحسن من الواوات في حدود الملاح .

وقد ذكر صاحب المغرب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر برجل في يده ثوب ، فقال له الصديق : أتبيع هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا وقل لا يرحمك الله .

ويسمى ذلك كمال الانقطاع مع إهام خلاف المراد .

(١) المدار في ذلك على اتفاقها خبراً وإنشاءً في المعنى ، سواء كانتا خبريتين لفظاً ومعنى ، أو خبريتين معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية معنى لا لفظاً أو بالعكس أو إنشائيتين لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية أو بالعكس .

(٢) سورة الانقطار الآية ١٤ .

المبحث الثالث في الجامع

لا بد في الضرب الأول والنوع الأول من الضرب الثاني من صور الوصل من وجود جامع بين الجملتين به تتجاوزان وعليه تعتمدان .

بيان هذا أنه لا يقع العطف موقعه ولا يحل المحل اللائق به إلا إذا وجد بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو : محمد يعطي ويمنع ، ويكتب ويشعر ، ويقبح أن تقول : خرجت من داري ، وأحسن ما قيل من الشعر ، كذا إذ لا صلة بين الثانية والأولى ولا تعلق لها بها .

والجامع^(١) أما عقلي أو وهمي أو خيالي ، فالعقلي أن يكون بين الجملتين اما : (١) اتحاد في المسند اليه أو في المسند ، أو في قيد من قيودهما نحو : محمد يكتب ويشعر ، وقوله :

يشقى الناس ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام
وخالد الكاتب أديب ومحمد الكاتب فقيه .

(٢) وإما تآثل واشتراك فيهما أو في قيد من قيودهما ، ولا يكفي مطلق تآثل بل التآثل والمراد أن يكون في وصف له نوع اختصاص بالمسند اليه أو المسند أو القيد ، فنحو : محمد شاعر وعمر كاتب ، إنما يحسن إذا كان محمد وعمر أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة .

(٣) وإما تضاييف بينهما بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس الى الآخر كالأبوة مع النبوة والعلو مع السفلى والأقل مع الأكثر ، ونحو ذلك .

والوهمي أن يكون بين الجملتين اما :

١ - شبه تآثل كلوني بياض وصفرة ، فإن الوهم ابرزها في معرض التآثل ، لكن العقل يعرف أنها نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد وهو اللون ، ومن أجل هذا حسن الجمع بين الثلاثة في قوله :

(١) لا بد من وجود الجامع بين المسند اليه في الجملتين ، وكذا بين المسند فيها ، فلو وجدت مناسبة بين المسند اليه فيها فقط أو بين المسند فيها ، كذلك لم يكن ذلك كافياً ولم يصح العطف ، فقد صرح السكاكي بامتناع عطف قول القائل : خفي ضيق ، على قوله : خاتمي ضيق ، مع اتخاذ المسند فيها .

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأواسحاق والقمر^(١)

٢ - أو تضاد وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ويتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض والايمان والكفر والقيام والقعود .

٣ - أو شبه تضاد كالسواء والأرض فإنها وإن كان بينهما غاية الخلاف من جهة الارتفاع والانحطاط لا يتعاقبان على محل واحد كما في التضاد .

والخيالي أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الأمرين في الفكر لأسباب مختلفة باختلاف المتكلمين كصناعة خاصة أو عرف عام كالسيف والرمح في خيال الفارس والقلم والقرطاس في خيال الكاتب والدرس والسبورة في خيال الطالب ، وهكذا . وللقرآن الكريم في هذا الباب القدر المملئ نحو : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾^(٢) ، فبين المسندين فيها تضاد وبين المسند اليه فيها اتحاد وبين القيدتين تضاد ، وقوله عز شأنه : ﴿ أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾^(٣) ، فإنه وإن لم تكن مناسبة بين الإبل والسماء وبينها وبين الجبال والأرض بحسب الظاهر لكن لما كان الخطاب مع العرب والإبل شاغلة لأخيلتهم ، نكونها أعز أموالهم ، وكانت الأرض لرعيها والسماء لسقيها والجبال لالتجاءهم اليها عند إلام الملمات ، ناسب إيراد الكلام طبق تخيلاتهم .

وهناك أمثلة تشرح لك ما مضى ، فإذا قلت : العدل نور ، الظلم ظلام ، كان هناك تقابل وتضاد بين كل من المسند اليه والمسند في الجملتين ، وإذا قلت : الأمير يصل ويقطع ، فيها اتحاد في المسند اليه فيها وتقابل بين المسند ، وإذا قلت : أقبل علي وأدبر أخوه ، كان فيها تماثل بين المسند اليه فيها وتقابل بين المسند ، وهم جراً .

(١) فالوهم يتبادر اليه أن هذه الثلاثة من نوع واحد كأن كلا منها شمس ، لكنها اختلفت بالمواد الشخصية .

(٢) سورة التوبة الآية ٨٤ .

(٣) سورة النفاية الآيتان ١٦ و ١٨ .

المبحث الرابع في محسنات الوصل

ما يزيد الوصل حسناً بعد وجود المصحح المحوز للعطف ، اتحاد الجملتين في الكيفية كأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو ظرفيتين ، ثم في الاسميتين اتفاقهما في كون الخبر اسماً أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً ، وفي الفعليتين اتفاقهما في كونها ماضويتين أو مضارعتين إلا لداع يدعو إلى التخالف وذلك :

١ - بأن يقصد التجدد في إحداها والثبات في الأخرى كقوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم : ﴿ أَجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾ ^(١) ، فهم كانوا يزعمون أن اللعب حال إبراهيم المستمرة فاستفهموا عن تجدد مجيئه لهم بالحق .

٢ - بأن يقصد المضي في إحداها والاستقبال في الأخرى كقوله تعالى : ﴿ ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ ^(٢) ، فقد عبّر بالمضارع في الثانية ، وإن كان القتل في الماضي لاستحضاره في النفوس وتصويره في القلوب بياناً لفظاعته .

٣ - بأن يقصد الإطلاق في إحداها والتقييد في الأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ﴾ ^(٣) ، فقد أطلقت الجملة الأولى وقيدت الثانية بالإنزال ، إذ الشرط قيد في الجواب .

المبحث الخامس في الفصل

من حق الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها في إثر بعض أن تربط بالواو لتكون متسقة منتظمة ، وقد يعرض لها ما يوجب ترك الواو ، ويسمى ذلك فصلاً ، ويكون في خمس أحوال :

١ - كمال الاتصال ، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي ، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، وهذا يكون في :

(أ) باب التوكيد ، لزيادة التقرير أو لدفع توهم تجوز أو غلط ، سواء أكان

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٣) أي : هلا أنزل عليه ملك فتؤمن به ، ولكنه لو حصل ذلك لقضي الأمر بهلاكهم لعدم إيمانهم به (سورة الأنعام) .

تأكيداً لفظياً ، نحو : ﴿ فهل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ ^(١) أم تأكيداً معنوياً
 نحو : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ ﴾ ^(٢) ، فإنه إذا كان ملكاً
 لم يكن بشراً ، فإثبات كونه ملكاً تأكيداً وتحقيق لنفي كونه بشراً . وعليه
 قول الشاعر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا فَنَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثَبُوتٌ

(ب) باب البدل والمقتضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى والمقام
 يستدعي عناية بشأن المراد سواء أكان بدل كل نحو : ﴿ بل قالوا مثل ما قال
 الأولون قالوا أنذا متنا ﴾ ^(٣) أم بدل بعض نحو : ﴿ أمدٌ كم بما تعلمون أمدٌ كم
 بأنعام وبنين وجنات وعيون ﴾ ^(٤) أبدلت الثانية من الأولى تنبيهاً الى نعم الله
 على عباده وهي أوفى مما قبلها لدلالتها على المراد مع التفصيل من غير إحالة على
 علم المخاطبين لعنادهم واستكبارهم ، أم بدل اشتغال نحو : ﴿ اتبعوا المرسلين
 اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ^(٥) أبدلت الثانية من الأولى بدل
 اشتغال ، لأنها أبين في المراد وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل ^(٦) ، وعليه
 قول الشاعر :

أقول له إرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا ^(٧)

فسياق الحديث في إظهار كراهته إقامته ، لأنه يسرّ غير ما يعلن ، وجلة
 لا تقيمَنَّ أدل على هذا الفرض ولا سيما مع التأكيد بالنون .

(ج) باب عطف البيان ، والداعي اليه خفاء الأولى ، والمقام يستدعي إزالة

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣١ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٨٢ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان ١٣٢ و ١٣٣ .

(٥) سورة يس الآيتان ٢٠ و ٢١ .

(٦) إذ مفادها انكم لا تخشرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون صحة دينكم وينتظم لكم
 خيرا الدنيا والآخرة .

(٧) يطلب منه الرحلة ، لأن باطنه ليس كظاهره لأنه يتناول أعراضهم .

هذا الخفاء ، نحو : ﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ﴾ (٢) . وعليه قول الشاعر :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتفتدى

٢ - كمال الانقطاع ، وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام دون إيهام خلاف المراد ، وتحت هذا نوعان :

(أ) أن تختلفا خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى نحو قوله تعالى : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٤) ، وقول الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلافه في وجهه شاهد من الخبر

أو تختلفا معنى فقط ، نحو قولك : نجح فلان وفقه الله ، وقول الشاعر :

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

(ب) ألا تكون بينهما مناسبة في المعنى ، ولا ارتباط بين المسند اليه فيها ، ولا بين المسند ، نحو قوله :

إنما المرء بأصغريه كل امريء رهن بما لديه

٣ - شبه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو المنشأ له ، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافاً ، وهو على ثلاثة (٥) أضرب ، لأن السؤال الذي تضمنته الجملة ، إما :

(١) سورة طه الآية ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٩ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٩ .

(٤) سورة الفاتحة الآية ٣ .

(٥) لأن السامع إما أن يحل السبب من أصله ، فيسأل عنه ، وإما أن يتصور نفي جميع الأسباب إلا سبباً خاصاً يتردد في حصوله أو نفيه ، فيسأل عنه ، وأما عن غير السبب بأن ينههم عليه شيء مما يتعلق بالجملة الأولى .

(أ) عن سبب عام للحكم ، نعو :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
كان المخاطب لما سمع قوله عليل ، قال ما سبب علتك ، فقال : سهر دائم
وحزن طويل .

(ب) وأما عن سبب خاص كقوله تعالى : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس
لأماراة بالسوء ﴾ ^(١) ، كأنه قيل : هل النفس أماراة بالسوء ؟ فقيل : نعم إن
النفس لأماراة بالسوء ، وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب ، كما
سبق لك في أضرب الخبر ، وعليه قول الشاعر :

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلا
كأنه قيل : فماذا يرى الكريم من ماله ، فقيل : إن الكريم .. الخ .

(ج) وأما عن غيرهما كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً قال سلام ﴾ ^(٢) كأنه
قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ، فقيل : « قال سلام » ، وعليه قوله :

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمركي لا تنجلي ^(٣)

إذ مساق الكلام في إظهار الشكوى من العذال ، وذلك مما يدعو السامع
لأن يسأل : أصدقوا أم كذبوا ، فقيل : صدقوا .

وقد يحذف صدر الجواب ، اسماً كان أو فعلاً ، نعو : ﴿ يسبح له فيها بالغدو
والأصاال رجال ﴾ ^(٤) فيمن قرأه بالبناء للمفعول ، كما قد يحذف الجواب كله
ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد :

زعمت أن إخوتكم قريش لهم ألف وليس لكم إلف ^(٥)

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٢٥ .

(٣) العواذل جمع عاذلة ، يراد هنا جماعة عاذلة بدليل قوله صدقوا ، والغمرة الشدة .

(٤) سورة النور الآية ٣٦ .

(٥) إلف في الرحلتين المعروفتين لهم في التجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف
إلى الشام ، وبعده :

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

فحذف الجواب وهو كذبتم في زعمكم وأقام مقامه قوله لهم : إلف . الخ ،
لدلالته عليه .

قال عبد القاهر : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير
معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله : ﴿ هل أتاك حديث
ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ منكرون
فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف ﴾^(١) فقد جاء على ما يقع في أنفس مخاطبين إذا قيل : دخل قوم
على فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ويقول الجيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج ، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفون .

وقال السكاكي : وتنزيل السؤال المفهوم من الكلام السابق منزلة الواقع
لا يصار إليه إلا لاعتبارات لطيفة كإغناء السامع عن أن يسأل ، أو ألا يسمع
منه شيء تحقير له ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى
بتقليل اللفظ ، بترك السؤال ، وترك العاطف ، إلى غير ذلك ، مما ينخرط في هذا
السلك . اهـ .

٤ - شبه ^(٢) كمال الانقطاع ، وهو أن تسبق جملة يحملتين يصح عطفهما على
إحداهما ، ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى ، فيترك العطف دفعاً لهذا
الوهم ، ويسمى الفصل حينئذ قطعاً ، كقوله :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهم

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين ، لأن المعنى أراها أظنها ،
وكون المسند إليه في الأولى محبوباً والثانية محباً ، ولكن ترك العطف لئلا يتوهم
أنه عطف على أبغي ، فيكون من مظنونات سلمى ، كالمعطوف عليه ، وهو
خلاف المراد ^(٣) .

(١) سورة الذاريات الآيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ .

(٢) الفرق بينه وبين الانقطاع إن المانع هنا خارجي يمكن إزالته ، وهناك مانع ذاتي .

(٣) لأنه إنما يريد الحكم على سلمى بخطئها في الظن حين ظنت أنه يبني بها بدلاً ، يدل على
ذلك قوله قبله :

زعمت هراك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللوى ورسوم

٥ - التوسط بين الكالين ، وهو أن تكون الجملتان متناسبتين ، ولكن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزيء بهم ﴾ (١) فجملة الله يستهزيء بهم لا يصح عطفها على إنا معكم لاقترانهما من مقول المنافقين ، وليس ذلك كذلك ، ولا على جملة قالوا لأنه يكون المعنى ، فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ، وهذا لا يستقيم ، لأن استهزاء الله بهم بآث خذلهم وخلام وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وإرادتهم إياه في قولهم آمنا ، لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون ، إذ المواخذة على اعتقاد الاستهزاء والحديعة في إظهار الإيمان لا في قولهم : إنا استهزأنا ، من غير أن يفتن بذلك القول اعتقاد ونية .

(تتمه) لما كانت الجملة الحالية قارة تجيء بالواو ، وأخرى بغيرها ، ناسب أن تذكر عقب الوصل والفصل ، وذلك أن الحال نوعان : لازمة (٢) ومنقلة (٣) ، ويفترقان في أن الأولى لا تفتقرن بواو البتة ، وتكون وصفاً غير ثابت كاسم الفاعل والمفعول ، نحو : جاء علي ضاحكاً ، ويمتنع جاء علي طويلاً أو أبيض ، ويشتركان في شيئين :

١ - أنهما يأتيان عاريين من حرف النفي ، تقول : هو الحق بينا ، وجاء علي مستبشراً ، ولا يجوز أن تقول : لا خفياً في الأول ، ولا عبوساً في الثاني .

٢ - أنهما يكونان بغير واو لأسباب ذكرها في الإيضاح ، وهي :

(أ) أن إعراب الحال أصلي ، ليس تبعاً لغيره ، ولا مجال للواو في المغرب أصالة ، إذ الاعراب دال على التعلق المعنوي ، المغني عن الاحتياج ، إلى تعلق آخر .

(١) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٢) سواء وردت بعد جملة فعلية نحو : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها ، أم اسمية نحو : هذا أبوك عطوفاً .

(٣) أي غير لازمة لصاحبها بل تفيد معنى حال نسبة العامل إلى صاحب الحال .

(ب) أن حكم الحال مع صاحبها كحكم الخبر مع الخبر عنه ^(١) ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم يحصل به أصالة في ضمن شيء آخر ، والحكم بها إنما يحصل ضمن غيرها ، فإن الركوب في قولك : جاء خالد راكباً ، محكوم به على خالد ، لكن بالتبعية للرجيء ، وجعله قيداً له .

(ج) أن الحال وصف لذي الحال ، فلا تدخل عليها الواو كالنعت ^(٢) . لكن خولف هذا الأصل وجاءت الحال مقترنة بالواو إذا كانت جملة لأنها من حيث هي جملة ^(٣) مستقلة بالإفادة لا بد لها من ربطها بما جعلت حالاً عنه .

والصالح للربط شيان : الواو ، والضمير ، والثاني هو الأصل بدليل أنه يقتصر عليه في الحال المفردة والنعت والخبر .

والجمل التي تقع حالاً ضربان :

١ - خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه يجب أن تقترن بالواو حتى لا تنقطع عما قبلها ، ويستثنى منها المضارع المثبت على ما سيجيء .

٢ - غير خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه تارة تجب فيها الواو ، وطوراً تمتنع فيها ، وحينئذ يحوز الأمران .

(أ) فإن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع فيها الواو كقوله تعالى : ﴿ وجاءوا أيامهم عشاء يبيكون ﴾ ^(٤) . وقول الشاعر :

ولقد أغتدي يدافع ركني أحوذني ذو ميمة إضربج ^(٥)

وسر هذا أن الحال المتنقلة تدل على حصول صفة غير ثابتة مع مقارنة حصولها لما جعلت قيداً له وهو عاملها .

(١) ما جاء من الأخبار بالواو كخبر باب كان في قول الحماسي :

فلما صرح الشر ر فأمسى وهو عريان

وقولهم : ما أحد إلا وله نفس أمانة بالسوء ، فمحمول على الحال لشبهها به .

(٢) ما جاء من الجملة الوصفية مصدرأ بالواو ونحو : أو كالذي مر على قرية وهي خاربة على عروشها ، فمحمول ومشبّه بالحال .

(٣) أما من حيث هي حال فهي متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها .

(٤) سورة يوسف الآية ١٦ .

(٥) أغتدي أذهب غداة مبكراً ، والأحوذني السريع ، والأضربج الفرس السريع .

والمضارع المثبت يفيد الأمرين فيدل على الحصول غير الثابت من قبل كونه
فعلاً يدل على التجدد ، ويدل على المقارنة من جهة كونه مضارعاً وهو حقيقة في
الحال ، وقد ورد قليلاً قرنهما بالواو ، كقولهم : قمت وأصك وجهه ، وقول
عبد الله بن همام السلولي :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا^(١)
فاختلفت الأئمة في تأويله ، ف قيل : إنه على حذف المبدأ ، أي : وأنا أصك
وأنا أرهنهم ، فهي جملة اسمية .

وقال عبد القاهر : ليست الواو فيها للحال ، بل هي للعطف ، لأن أصك
وأرهن بمعنى صككت ورهنت ، عبر فيها بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية^(٢)
كما في قوله :

ولقد أمر على اللئيم بسبتي فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

يدل لذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثل هذا .

(ب) وإن كانت فعلية ذات مضارع منفي بلا أو ما استوى فيها الأمران ،
فمن مجيئها بالواو قراءة بن ذكوان فاستقيا ولا تتبعان^(٣) بالتخفيف ، وقول بعض
العرب : كنت ولا أخشى الذنب^(٤) ، وقول مسكين الدرامي :

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب^(٥)

ومن ترك الواو قوله تعالى : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله ﴾^(٦) ، وقول خالد بن يزيد
ابن معاوية :

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

(١) الأظافير هنا الشوكة والقوة ، والمعنى : لما خفت منهم هربت وجعلت مالكا رهناً لديهم .

(٢) هي أن يفرض ما كان في الماضي واقعاً الآن لغرابته أو الإعجاب به .

(٣) وإنما لم تكن للعطف لامتناع عطف الخبر على الانشاء وعلى قراءة تشديد النون ، فالواو
للعطف ، ولا نافية .

(٤) أخشى : أخوف .

(٥) الورق : النقصة .

(٦) سورة المائدة الآية ٦٤ .

وسبب ذلك دلالاته على المقارنة لكونه مضارعاً ، ويناسب ذلك ترك الواو وعدم الحصول ، ويناسبه ذكرها .

(ج) وإن كانت فعلية ذات ماضٍ لفظاً ومعنى ، فكذلك يجوز فيها الأمران فمن يجيئها بالواو قوله تعالى : ﴿ أنى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكبر ﴾ (١) ، وقول امرئ القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى السر إلا لبسة المتفضل (٢)
ومن ترك الواو قوله عز وجل : ﴿ أو جاءكم حصرت صدورهم ﴾ (٣) ، وقول عمرو ابن كلثوم :

فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا
وشرط ذلك ألا تقع بعد إلا أو (أو العاطفة) وإلا امتنع الاقتران بها ، نحو :
﴿ وما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ (٤) ، وقوله :

كن للخليل نصيراً جار أو عدلاً ولا تشح عليه جاد أو بخلاً
(د) وكذا الماضوية معنى فقط (هي المضارع المنفي بلم أو لما) فمن يجيئها بالواو قول كعب بن زهير :

لا تأخذنني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل
وقوله عز اسمه : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ (٥) ، ومن تركها قوله تعالى : ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ (٦) ، وقوله :

فقال له العينان سمعاً وطاعة وحذرنا كالدر لما يثقب
وسبب جواز الأمرين أنه إذا كان الماضي مثبتاً دل على حصول صفة غير ثابتة

(١) سورة آل عمران الآية ٤٠ .

(٢) نضى الثوب ونضاه : خلعه ، ولبسة المتفضل : كساء رقيق ، يلبس عند النوم .

(٣) سورة النساء الآية ٩٠ .

(٤) سورة الحجر الآية ١١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

لكونه فعلاً ، وهذا مما يناسبه ترك الواو لمشايمته المفرد ، ودل على عدم المقارنة
لكونه ماضياً ، ولأجل هذا اشترط فيه أن يكون بقدر إما ظاهرة أو مقدرة ،
حق يقرب من الحال ، وهذا مما يناسبه ذكر الواو لبعده عن تلك المشابهة .

وإن كان الماضي منفيًا دل على المقارنة دون الحصول ، ذلك أن لما لاستغراق
النفي من حين الانتفاء الى زمن التكلم ، وغيرها لانتفاء متقدم والأصل فيه أن
يستمر فيحصل بهذا الاستمرار الدلالة على المقارنة عند الانطلاق وترك التقييد
بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء .

(هـ) وإذا كانت جملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، لكن مجيء الواو أولى
فمن وجودها قوله تعالى : ﴿ فلا تحملوا الله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (١) ، وقول
أمرئ القيس :

أبقتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كآنياب أغوال
ومن تركها ما رواه سيدي : كلمته فوه إلى في ، وما أنشده الجوهري من
قول بلال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بمكة حولي إذخر وجليل (٢)
وإنما جاز الأمران ، لأن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ،
وهذه يناسبها سقوط الواو ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام
والثبات ، فهي بعكس الماضي المثبت ، وهذا مما يستدعي وصلها بها . وإنما كان
المجيء أولى ، لأنها ليس فيها دلالة على عدم ثبوت الصفة بل هي تدل على الثبوت
مع ظهور الاستئناف فيها ، إذ هي مستقلة بالفائدة فيحسن زيادة رابط يؤكد
الرابط ويقويه .

وقال عبد القاهر : إن (٣) كان المبتدأ ضمير ذي الحال وجبت الواو ، نحو :
جاء زيد ، وهو يسرع ، أو وهو مسرع .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(٢) الاذخر نبات طيب الرائحة ، الواحد إذخرة ، والجليل النخلة العظيمة الكثيرة الحمل .

(٣) فهو يخالف المشهور في أنه حكم على غير المهدوءة بالظرف ، وغير ما دخل عليها حرف
على المبتدأ وغير المعطوفة على مفرد بوجوب الواو فيها إذا بدئت بضمير ذي الحال ويجوز الأمرين
فيها عدا ذلك مع أرجحية الذكر .

وعلة ذلك أن الفائدة كانت حاصلة بقوله : يسرع ، من غير ذكر الضمير ،
فالأتیان به يشعر بقصد الاستئناف المنافي للاتصال ، فلا يكفي الضمير حينئذ
في الربط ، بل لا بد من الواو .

وقال أيضاً : إن كان الخبر في الجملة الاسمية ظرفاً قد قدم على المبتدأ كقولنا
جاء زيد على كتفه سيف ، وفي يده سوط ، كثر فيها أن تجيء بغير واو ،
كقول بشار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت من البازي علي سواد^(١)

وقول أبي وائلة في عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها في يدك قضيب

والوجه أن يقدر الاسم في هذه الأمثلة مرتفعاً على الفاعلية بالظرف ، فإنه
جائز باتفاق صاحب «الكتاب» والأخفش لاعتداده على ما قبله .

ويقدر متعلقه على ما اختاره عبد القاهر : اسم فاعل لا فعلاً ، إلا إذا قدر
ماضياً مع قد .

وقال أيضاً : وما ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة جاءت
حالا بغير واو ، ويحسن ذلك من أجل حرف دخل عليها ، كقول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنى حوالي الأسود الحوارد^(٢)

لأنه لو لا دخول كأن عليها لم تحسن إلا بالواو ، كأن يقال : وبني حوالي...
وشبهه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالا ، بعقب مفرد ، فلفظ مكانها ،
كقول ابن الرومي :

والله يبيئك لنا سالماً بُرداك تبجيلٌ وتعظيم^(٣)

فبردك تبجيل في موضع حال ثانية لو لم يتقدمها قوله : سالماً ، لم يحسن فيها
ترك الواو .

(١) علي سواد أي بقية من الليل .

(٢) الحوارد : الغضاب ، قاله يخاطب زوجته ، وقد عيرته لأنه لا يولد له .

(٣) البردك تشبیه برد ، وهو الثوب .

تدريب أول

بين سبب الفصل والوصل فيما يأتي :

- ١ - اخط مع الدهر إذا ما خطا واجر مع الدهر كما يجري
- ٢ - حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
- ٣ - لا تدعه إن كنت تنصف ثائبا هو في الحقيقة نائم لا نائب
- ٤ - من المحافل والجحافل والسرى فقدت بفقدك نيراً لا يطلع^(١)
- ٥ - قالت بليت فما نراك كمهدنا ليت المهود تجددت بعد البلى
- ٦ - ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾^(٢)
- ٧ - ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمها كأن في أذنيه قرأ﴾^(٣)
- ٨ - ﴿قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾^(٤)

الاجابة

- (١) وصل بين الجملتين المتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من العطف لاتفاقهما لإنشاء مع وجوه المناسبة .
- (٢) فصل الشطر الثاني عن الأول لأنه توكيد معنوي له إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء ، فأكد ذلك بالشطر الثاني ، فبينها كمال الاتصال .
- (٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافها خبراً وإنشاء ، فبينها كمال الانقطاع .
- (٤) فصل بين الشطرين لاختلافها خبراً وإنشاء فبينها كمال الانقطاع .

(١) الجحافل الجيوش ، والسرى سير عامة الليل .

(٢) سورة النمل الآية ٨٨ .

(٣) سورة لقمان الآية ٧ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٢ .

(٥) بين الشطرين كمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاءً ، ولذا فصل بينهما .

(٦) بين جملي : ترى وتحسب ، كمال الاتصال ، لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى .

(٧) فصل الجملة الثانية والجملة الثالثة عن الأولى ، لأن كلا منهما توكيد معنوي للأولى .

(٨) فصل جملة قال الثانية ، لوقوعها جواباً عن سؤال مقدر نشأ من الأولى ، فبينهما شبه كمال الاتصال .

تدريب ثان

بين سبب الفصل والوصل ، واذكر الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - نفسي له نفسي الفداء لنفسه لكن بعض المالكين عفيف
- ٢ - ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾ ^(١)
- ٣ - ﴿ يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ ^(٢)
- ٤ - فما الحدائة عن حلم بمائة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- ٥ - هوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان
- ٦ - إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ولا تك بالترداد لرأي مفسدا
- ٧ - فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محلاً ^(٣)
- ٨ - مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدو

الاجابة

(١) بين نفسي له ونفسي الفداء لنفسه كمال الاتصال ، لأن الثانية توكيد لفظي للأولى .

(٢) بين الجملتين كمال الاتصال ، لأن الثانية توكيد معنوي للأولى ، لأن تقرير كونه وحياً نفي لأن يكون عن هوى .

(١) سورة النجم الآية ٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢ .

(٣) المرتفق التكمي ، وغمدان حصن بصنماء ، وروضة محلال يكثر حلول الناس فيها

- (٣) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل .
- (٤) بين الشطرين شبه كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية جواب عن سؤال مقدر .
- (٥) بين الشطرين كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً .
- (٦) وصل الجملتين لتوسطهما بين الكالين لاتحادهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع مع من العطف .
- (٧) جملة (عليك التاج) في موضع الحال ، ويكثر فيها ترك الواو لتقدم الظرف .
- (٨) جملة (لا يريدون الرواح) حال ، وهي مضارع منفي ، فيجوز فيها ذكر الواو وتركها وإن كان الأكثر في النفي بلا ترك الواو .

تمرين أول

بين أسباب الفصل والوصل واستخرج الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم﴾^(١)
- ٢ - يقولون إني أحمل الضيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيري
- ٣ - لست مستقياً لقبرك غيثاً كيف يظما وقد تضمن بحرا
- ٤ - ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾^(٢)
- ٥ - ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾^(٣)
- ٦ - الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
- ٧ - ولست بهيباب لمن لا يحابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
- ٨ - متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
- ٩ - لا تأمنن عدواً لأن جانبيه خشونة الصل عقبي ذلك اللين

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٨ .

تقرين ثان

- ١ - أتيناكم قد عمكم حذر العدا فنلتم بنا أماناً ولم تعدموا نصرا
- ٢ - إن تلقني لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
- ٣ - ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق^(١)
- ٤ - يزعم صديقي أني أحسده على نعمته أراه مخطئاً فيما زعم
- ٥ - والغدر بالمهد قبيح جداً شر الورى من ليس يرى العهدا
- ٦ - يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان
- ٧ - بانت قطام ولما يحظ ذو مقة منها يوصل ولا إنجاز ميعاد
- ٨ - كأن فئات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم^(٢)
- ٩ - من أغفل الشعر لم تعرف مناقبه لا يحتنى ثمر من غير أغصان

(١) جنان الليل ظلمته الحالكة ، والسربال السراويل .

(٢) العهن الصوف الأحمر ، والقنا واحده فناة عنب الثعلب ، وحبه أحمر ما لم يكسر .

الباب الثاني عشر في الإيجاز والاطناب والمساواة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها

هذا الباب أساس في بنيان الفصاحة وركن ركين في تكوين ملكة البلاغة ،
حق نقل صاحب « سر الفصاحة » عن بعضهم أنه قال : « البلاغة هي الإيجاز
والاطناب » .

واعلم أن علماء البيان افترقوا فرقتين : فرقة منهم ثبتت واسطة بين الإيجاز
والاطناب هي المساواة ، وعليها درج السكاكي ومن تبعه وقالوا إنها ليست محمودة
ولا مذمومة ، وفرقة منها ابن الأثير في جماعة ذهبوا إلى نفي الواسطة ، ومن ثم
قسموا إيجاز غير الحذف قسمين : إيجاز تقدير وهو ما ساءى لفظه معناه من غير
زيادة وهذه هي المساواة على الرأي الأول ، وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه
على لفظه .

ومن هذا تعلم أن الخلاف بينهم في الاسم ، لا في المسمى ، والطريقة الأولى
أشهر بين أئمة الفن ، ولذا قد جرينا عليها .

المبحث الثاني في الإيجاز

الإيجاز لغة التقصير ، يقال : أوجز في كلامه ، إذا قصره ، وكلام وجيز
أي قصير .

وفي الإصطلاح اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل ، أو هو التعبير عن
المقصود بلفظ أقل من المتعارف^(١) وافٍ بالمراد لفائدة^(٢) .

(١) أي متعارف أوساط الناس على ما سيأتي في المساواة .

(٢) والفائدة كون المأثي به هو المطابق للعال ولا مقتضى للمدول عنه .

فإذا لم يفـ كان إخلاقاً وحذفاً رديئاً كقول الحارث بن حازة الإشكري:

والعيش خير في ظلا ل النوك من عاش كدا^(١)

لا شك أنه يريد: والعيش الناعم الرغد خير في ظلال النوك والحق من العيش الشاق في ظلال المعقل ، لكن لحن كلامه لا يدل على هذا ، إلا بعد التأمل ، وإيمان النظر .

وقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا فإنه يريد : إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

وقول بعضهم نثراً :

(فإن المعروف إذا زجا^(٢) كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ) لا شك أنه يريد : إذا قلّ وزجا .

وهو ضربان : إيجاز حذف ، وإيجاز قصر ، لأن الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو الأول ، وإن كان كلاماً يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني .

إيجاز الحذف

الحذف إما مفرداً أو حذف جملة أو حذف جمل :

١ - حذف المفرد أوسع مجازاً من حذف الجملة ، إذ هو أكثر استعمالاً ، وذلك على صور :

قد مضى الكلام عليها	{	(أ) حذف المسند اليه
		(ب) حذف المسند
		(ج) حذف المفعول

(د) حذف المضاف ، وهو كثير الدوران في الكلام ، كقوله تعالى :

(١) النوك بضم النون وفتحها : الحق ، وقبله :

عش يجد لا يضسر ك النوك ما أوليت جدا

(٢) زجا الخواج : تيسرت جبايته ، فهو يريد السهولة والتيسير .

﴿ حق إذا 'فُتحت بأجوج' ومأجوج ﴾^(١) أي سدّهما ، وقوله عز وجل :
﴿ لمن كان يرجو الله ﴾^(٢) أي رحمته ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم ﴾^(٣)
أي عذاب ربهم .

(هـ) حذف المضاف إليه ، وهو قليل ، كقوله تعالى : ﴿ الله الأمر من قبل ' ومن بعد' ﴾^(٤) أي من قبل ذلك ومن بعده .

(و) حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال نحو :
﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾^(٥) ، أي حور قاصرات الطرف ، وأكثر
ما يكون ذلك في باب النداء ، نحو : يا أيها الظريف ، تقديره : يا أيها الرجل
الظريف ، وفي باب المصدر ، نحو : ﴿ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله
متاباً ﴾^(٦) تقديره : وعمل عملاً صالحاً .

(ز) حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها ، وهو نادر^(٧) ، ومن ذلك
ما حكاه سيبويه ، من نحو قولهم : سير عليه ليل ، يريدون : ليل طويل .

وقول الحماسي : كل امرئ ستم منه العرس أو منها يشم ، تقديره : كل امرئ
متزوج ، لأن المعنى لا يصح إلا به ، ومنه أن يتقدم مدح إنسان والثناء عليه ،
فتقول : كان والله رجلاً ، فأنت تعني أنه كان رجلاً فاضلاً جواداً كريماً .

(ح) حذف القسم ، كقولك : لأخرجن ، أي : والله لأخرجن .

(ط) حذف جواب القسم ، وهو كثير في القرآن الكريم ، نحو :

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) سورة النمل الآية ٥٠ .

(٤) سورة الروم الآية ٤ .

(٥) سورة ص الآية ٥٢ .

(٦) سورة الفرقان الآية ٧١ .

(٧) وإنما قل حذف الصفة وكثر حذف الموصوف لأن الصفة ما جاءت إلا للايضاح والبيان ،
فيكثر أن تقوم مقام الموصوف ، بخلافه هو ، فإنه يكثر إبهامه ، فلا جرم أن كان قيامه
مقامها نادراً .

﴿ والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسمٌ
لذي حِجْرٍ ﴾^(١) تقديره : لتعذب يا كفار مكة .

(ي) حذف الشرط ، نحو : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة
فإياي فاعبدون ﴾^(٢) تقديره : فإن لم يتسن لكم إخلاص العبادة لي في أرض
فإياي فاعبدون في غيرها .

(ك) حذف جواب الشرط ، وهو نوعان :

١ - أن يحذف لجرد الاختصار ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم
اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾^(٣) ، أي
اعرضوا ، بدليل قوله تعالى بعده : ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾^(٤) .

٢ - أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لذهب
نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور شيئاً إلا والأمر أعظم
منه ، نحو : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا
جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ﴾^(٥) .

(ل) حذف حروف المعاني ، وقد توسعوا في ذلك ، لكثرة دورانها ، وفشو
استعمالها ، وكثر ذلك في :

(لا) كقول عاصم المنقري :

رأيت الخمر جاعحة وفيها خصال تفسد الرجل الحلياً
فلا والله أشربها حياقي ولا أسقي بها أبداً نديماً

(لو) نحو : ﴿ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إلهٍ
بما خلق ﴾^(٦) تقديره : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق .

(١) سورة الفجر الايات ١ و ٢ و ٣ .

(٢) سورة المشكوت الاية ٦ .

(٣ و ٤) سورة يس الايتان ٤٥ و ٤٦ .

(٥) سورة الزمر الاية ٧٣ .

(٦) سورة المؤمنون الاية ٩١ .

(الوار) وحذفها فائدة لا توجد عند إثباتها لأن وجودها يؤذن بالتفاير بين الجملتين ، وحذفها يصير الجملتين كأنها جملة واحدة ، وهذا من بديع الإيجاز وحسنه ، كحديث أنس بن مالك : كان أصحاب رسول الله ينامون ، ثم يصلون لا يتوضئون ، وفي رواية ولا يتوضئون ، فالحذف دل على اتصال الجملتين حتى كأن الثانية إحدى متعلقات الأولى ، فهو في حكم : ينامون ، ثم يصلون غير متوضئين ، وبهذا تتم المبالغة المرادة ، وهي أنهم لا يذوقون النوم إلا غرأراً .

٢ - حذف الجملة ^(١) ، وهذا يكون إما :

(أ) بحذف مسبب ذكر سببه نحو : ليعق الحق ويبطل الباطل ، أي فعل ما فعل ، ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناها على الهرم
(أي فساءنا) .

(ب) عكسه نحو : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ ^(٢) ، أي فضربه بها فانفجرت .

(ج) بحذف الأسئلة المقدرة ويلقب بالاستئناف ، وذلك على أنواع :

١ - استئناف بإعادة اسم ما استؤنف عنه ، كقولك : أحسنت ^(٣) الى علي ، علي حقيق بالإحسان ، فتقدير المحدثوف ، وهو السؤال المقدر : لماذا أحسن ، أو نحو ذلك .

٢ - استئناف بإعادة صفته كقولك : أكرمت محمداً ، صديقك القديم أهل لذلك منك . تقدير السؤال المحدثوف : هل هو حقيق بالإكرام ، والنوع الثاني أبلغ ، لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة في هذا المثال .

٣ - حذف الجمل وأكثر ما يرد في كلام رب العزة ، فهناك تتجلى مراتب

(١) المراد بالجملة هناك ، الكلام المستقل بالافادة ، الذي لا يكون جزء من كلام آخر ، وإلا دخل الشوط والجزاء ، وقد تقدم عد حذفها من حذف المفرد .

(٢) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٣) المقصود من الاخبار ، إعلام المخاطب بأنه وقع الاحسان منه الى علي ، لتقرير الاحسان السابق واستجلاب الاحسان اللاحق .

الإعجاز ، ويظهر مقدار التفاوت في صنعة الكلام ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ﴾ ^(١) ، أي فضربوه بها فحيي ، فقلنا : كذلك يحيي الله الموتى ، وقوله تعالى : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فآرسلون يوسف ﴾ ^(٢) ، أي فآرسلوني الى يوسف لاستعيره الرؤيا فآرسلوه اليه فأناه وقال : يا يوسف ، وقوله (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً) أي فأتياهم فأبلغناهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميراً .

والحذف على وجهين :

١ - ألا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم .

٢ - أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴾ ^(٣) ، أي فلا لوم عليّ لأنني قد أبلغتكم .

وأدلة الحذف كثيرة ، منها :

(أ) العقل الدال على المحذوف ، والمقصود الأظهر ، الدال على تعيينه كقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم المينة ﴾ ^(٤) الآية ، فالعقل يدل على أن الحرمة إنما تتعلق بالأفعال لا بالدوات ، والذي يتبادر قصده من مثل هذه الأشياء إنما هو تناول الذي يعم الأكل والشرب .

(ب) العقل الدال عليها معاً ، كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك ﴾ أي أمره ، أو عذابه .

ويرى صاحب «الكشاف» أن هذا ليس من باب الحذف وإنما هو تشبيل لظهور قدرته وتبيين لسلطانه وقهره ، فنلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه على بكرة أبيهم .

(ج) العقل الدال على المحذوف والمادة الدالة على تعيينه ، كقوله تعالى :

(١) سورة البقرة الآية ٧٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٣) سورة هود الآية ٥٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

﴿ فذلكن الذي لمتني فيه ﴾ (١) ، فقد دل العقل على الحذف لأنه لا معنى للوم على ذات الشخص ، وأما تعيين المحذوف فإنه يحتمل أن يقدر في حبه ، لقوله : شفها حباً ، أو في مرادته لقوله : تراود فتاها عن نفسه ، أو في شأنه حتى يشملها معاً ، ولكن العادة تقتضي بأن الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه ، لأنه ليس من كسبه واختياره ، وإنما يلام على المرادة التي يقدر أن يدفعها عن نفسه .

(د) العقل الدال على المحذوف ، والشروع في الفعل الدال على تعيينه ، كما في : باسم الله ، فإنك تقدر المتعلق ما جمعت التسمية مبدءاً له من نحو : أكل أو أشرب أو أسافر .

(هـ) العقل الدال على المحذوف واقتران الكلام بالفعل الدال على تعيينه ، كما تقول للمرس : بالرفاه والبنين ، أي أعرست .

إيجاز القصص

هو ما تريد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى والغاية التي لا تدرك ، نحو : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢) ، فتلك آية جمعت مكارم الأخلاق ، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل ، إذ في العفو الصفح عن أساء ، والرفق في سائر الأمور ، بالمساحة والاعضاء ، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام ومنع اللسان عن الكذب والفية ، وغض الطرف عن المحارم ، وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ .

ويقول عز اسمه : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ (٣) ، فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد ، وقوله تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ فهاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء ، ولذا روي أن ابن عمر قرأها ، فقال : من بقي له شيء فليطلبه .

(١) سورة يوسف الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(١) ، فتلك جملة تضمنت سرّاً من أسرار التشريع الجليلة ، التي عليها مدار (سعادة المجتمع البشري في دنياه وأخراه) بيان ذلك أن الإنسان إذا همّ بقتل آخر لشيء غاظه منه فذكر أنه إن قتله قُتل ، ارتدع عن القتل ، فسلم المهموم بقتله ، وصار كأنه استفاد حياة جديدة ، فيما يستقبل بالقصاص مضافة الى الحياة الأصلية ، وأن هذا مما أثر عن العرب من قولهم : القتل أنفى للقتل ، فإن الآية تمتاز بوجوه ^(٢) :

- ١ - أنها كلمتان وما أثر عنهم أربع .
- ٢ - لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار .
- ٣ - ليس كل قتل يكون نافياً للقتل ، وإنما يكون ذلك إذا كان على جهة القصاص .
- ٤ - حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسن فيها لا في ما قالوه .
- ٥ - أن فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة ، وهما كالضدين كما ستعرف ذلك في البديع .
- ٦ - أن فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى إلى الاقتصاص .
- ٧ - أن القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال (في) عليه ، فكان أحد الضدين ، وهو الفناء ، صار محلاً لضده الآخر ، وهو الحياة ، وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة ، وقد نظم أبو تمام معنى ما ورد عن العرب في شطر بيت ، فقال :

وأخافكم كي تعتمدوا أسيافكم (إن الدمّ المغبر يحرسه الدم)

كما للسنة النبوية من ذلك الحظ الأوفر ، ويرشد الى ذلك قوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » .

فمن ذلك قوله ﷺ : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد .. فهو قد جمع من الأسرار الطبية الشيء الكثير .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٢) فاضل بينها الصيرطي في «الاتقان» بأكثر من عشرين وجهاً ، أهمها ما ذكرنا .

وقوله **عَلَيْهِ** : الطمع فقر واليأس غنى .

وقول علي كرم الله وجهه : ثمرة التفريط الندامة ، لكل مقبل إدبار وما أدبر كان كأن لم يكن ، لا يمد من الصبور الظفر وإن طال به الزمان ، مَنْ استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ ، مَنْ أحسّد سنان الغضب لله قوي على قتل أسد الباطل .

وقول بعض الأعراب : اللهم هب لي حقلك وارض عني خلقك .

قلنا سمعه علي كرم الله وجهه قال : هذا هو البلاغة .

وقول السمؤل بن عاديا القسائي :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الشئ سبيل

فقد اشتمل على مكارم الأخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال مكاره ، إذ كل هذه مما تضم النفس ، لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء .

المبحث الثالث في المساواة ^(١) - إيجاز التقدير

هي التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساو له لفائدة ^(٢) ، بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر ، حتى لو نقص اللفظ تطرق الحرّم الى المعنى بمقدار ذلك النقصان ، وهي المذهب المتوسط بين الإيجاز والاطناب .

وإليها يشير القائل كأن ألفاظه قوالب ممانيه ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ ^(٣) كل امريء بما كسب رهين ^(٤) ومتعمهون على الموسع قدره (وعلى المفقر قدره) .

(١) وهي لا تحمد ولا تذم ، إذ لا يحتاج فيها الى اعتبار نكتة ، بل يكفي فيها عدم مقتضى للمدول عنها ، إلا إذا اقتضى المقام تأدية أصل المعنى وراعاة البليغ فإن ذلك يكون محموداً ، ومن هذا ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرها من كلام فصحاء العرب .

(٢) وهو كون المأني به هو الأصل ، ولا داعي للمدول عنه .

(٣) سورة الروم الآية ٤٤ .

(٤) سورة الطور الآية ٢١ .

وقوله ~~وَقَوْلُهُ~~ : « الحلال بيتن والحرام بيتن وبين ذلك مشبهات .. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. الضعيف أمير الركب » .
 وقبول علي كرم الله وجهه : عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته ،
 قد بصرتم إن أبصرتم وهديتم إن امتدبتم .

المبحث الرابع في الاطناب

هو لغة مصدر أطنب في كلامه اذا بالغ فيه وطول ذيله ، واصطلاحاً زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو ، والفرق بينهما أن الزائدة إن كان غير متعين كان تطويلاً ، وإن كان متعيناً كان حشواً ، وكلاهما يعمزل عن مراتب البلاغة ، فالأول نحو :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أقي من دونها النأي والبعد
 فالنأي والبعد واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة .
 والثاني ضربان :

(أ) ما يفسد به المعنى كقول أبي الطيب في رثاء غلام لسيف الدولة :

ولا فضل فيها للشجاعة والندی وصبر الفقى لولا لقاء شعوب^١

يريد أنه لا خير في الدنيا للشجاعة الصبر لولا الموت ، وهذا حسن جميل ، لأنها إنما عدا من الفضائل لما فيها من الاقدام على الموت واحتمال المكاره ، ولو علم الإنسان أنه خالد في الدنيا لهان عليه اقتحام المخاطر ، كما أنه لو أيقن بزوال المكروه صبر لوثوقه بالخلاص ، أما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلاً إذ من علم أنه ميت فهو جدير أن يجود بماله ، كما قال طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيقي فذرني أبادرها بما ملكت يدي

فهو حشد مفسد ، وقد اعتذر له بعض الناس بما فيه تكلف وتمصف .

(ب) ما لا يفسد به كقول أبي العيال الهذلي :

ذكرت أخى فعاودني صداع الرأس والوصب^(١)

فذكر الرأس مع الصداع حشو ، لأنه لا يكون في غيره من الأعضاء .

(١) الوصب : نخول الجسم ، من تعب ، أو مرض .

وقول أبي عدي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سميت في المجد للأقوام كالآذنان
فإن قوله : للأقوام ، حشوا لا فائدة فيه ، مع أنه غير مفسد .

(تنبيه) قال بدر الدين بن مالك في « المصباح » : يكثر الحشو بلفظ :
أصبح وأمسى وعدا وإلا وقد واليوم ولعمري ويا صاحبي .
كما قال أبو تمام :

أقروا (لعمري) بحكم السيوف وكانت أحق بفصل القضا
وكما قال البحتري :

ما أحسن الأيام إلا أنها (يا صاحبي) إذا مضت لم ترجع
والداعي إليه إما إصلاح وزن الشعر ، أو تناسب للقوافي وحروف الروي ،
أو قصد السجع في النشر .

ويكون الاطناب بأمور شتى ، منها :

١ - الايضاح بعد الابهام ، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ، وليتمكن في
النفس فضل تمكن ، فإن الكلام اذا قرع السمع على جهة الابهام ذهب السامع فيه
كل مذهب ، فإذا وضح تمكن في النفس فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ﴾
‘مصححين’ (١) .

فقوله تعالى : أن دابر هؤلاء ، تفسير لذلك الأمر ، تفخيماً لشأنه ، ولو قيل :
وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، لم يكن له من الروعة مثل ما كان له
حين الابهام - يرشد الى ذلك أنك لو قلت : هل أدلكم على أكرم الناس أباً
وأفضلهم حسباً وأمضاهم عزية وأنفذهم رأياً ، ثم قلت : فلان ، كان أدخل في مدحه
وأنبأ وأفخم مما لو قلت : فلان الأكرم الأفضل .

ومن ضروريه باب : نعم وبئس ، على قول : من يحمل الخصوص خبر مبتدأ
محذوف ، إذ لو أريد الاختصار ل قيل : نعم وبئس أبو هب ، عوضاً من قولك :
نعم الرجل محمد ، وبئس الرجل أبو هب .

(١) سورة الحجر الآية ٦٦ .

ووجه حسنه إبراز الكلام في معرض الاعتدال ، نظراً الى اطنابه من وجه ، وإيجازه من وجه آخر ، الى إيهام الجمع بين المناققين .

والتوشيع ^(١) ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ، أحدهما معطوف على الآخر ، نحو قوله ~~ويعلمون~~ : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن ، البخل وسوء الخلق » ، وقول ابن الرومي يمدح عبد الله بن وهب :

إذا أبو القاسم جادت لنسا يده لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنسا أنوار غرته تضامل النيران الشمس والقمر

٢ - ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً الى ما له من المزية حتى كأنه ليس من جنس العام ، وتزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ ^(٢) ، فذكر جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة ، للتنبيه على زيادة فضلها .

٣ - التكرير ، وقد جاء في القرآن الكريم ، وكلام العرب منه شيء كثير ، ويكون إما :

(أ) للتأكيد كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، وقوله : كم نعمة كانت لكم كم كم .

(ب) لزيادة التنبيه الى ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، نحو : ﴿ وقال الذي آمن يا قوم ^(٤) اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ ^(٥) ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع .

(ج) لتعدد المتعلق ، كما كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ^(٦) لأنه تعالى عدد فيها نعماء وذكر عبادته آلاءه ،

(١) لفة لف القطن المندوف .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٣) سورة النبا الآيتان ٤ و ٥ .

(٤) إذ تكرر يا قوم مع إضافة الى ياء المتكلم يفيد بعد القائل عن التهمة في النصح إذ أنهم قومه ، فلا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه .

(٥) سورة غافر الآية ٣٨ .

(٦) سورة الرحمن الآية ١٦ .

ونبهم الى قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه اليهم منها .

وقد جاء مثل ذلك كثيراً في كلام العرب ، ألا ترى الى مهمل وقد كرر قوله : « على أن ليس عدلاً من كليب ^(١) » في أكثر من عشرين بيتاً من قصيدته ، وإلى الحرث بن عباد وقد كرر قوله : « قرباً مني مربوط النعامة ^(٢) » أكثر من سابقة ، لأنها رأيا الحاجة ماسة إلى التكرير ، والضرورة داعية اليه ، لعظم الخطب وشدة موقع النكبة .

٤ - الإيغال ^(٣) ، وهو ختم البيت بما يفيد النكبة ، يتم المعنى بدون التصريح بها ، وذلك إما :

(أ) لزيادة المبالغة والتأكيد ، كقول الخنساء :

وإن صخرًا لَشَأْتُمْ الهداةُ به كأنه علمَ في رأسه نارُ
فقولها : في رأسه نار ، من الإيغال الحسن ، إذ لم تكتف بأن تشبهه بالعمل الذي هو الجبل المرتفع المشهور بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً ، لما في ذلك من زيادة الظهور والانكشاف .

(ب) لتحقيق التشبيه ، كقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يُثَقَب ^(٤)
فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله : لم يثقب ، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان بالعيون أشبه ، وقيل : لا يختص بالشعر ، بل يكون في النثر كقوله تعالى : ﴿ اتبعوا مَنْ لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ^(٥) ، فإن الرسل مهتدون لا محالة ، فالمعنى يتم بدون التصريح بقوله تعالى (وهم مهتدون) إلا أن فيه زيادة حث وقرع على اتباع الرسل .

(١) العدل : النظير ، وتكملة البيت الأول منها : إذا طرد اليتيم عن الجزور .

(٢) النعامة فرسه ، ويحير ابنه وكان قد قتله مهمل حين الأخذ بالثار .

(٣) من أوغل في البلاد إذا أبعد فيها .

(٤) الجزع (بفتح الجيم) خرز يمان فيه بياض وسواد تشبه به العيون .

(٥) سورة يس الآية ٢١ .

٥ - التذييل^(١) ، وهو الاثنيان يحملة مستقلة عقب الجملة الأولى التي تشمل على معناها للتأكيد ، وهو ضربان :

(أ) أن يخرج مخرج المثل بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال في فشو الاستعمال ، نحو : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ إن الباطل كان زهوقاً ﴿^(٢) ، وقول الخطيئة :

نزور فوق يعطي على الحمد ما له ومن يعط أثمان المكارم محمد
(ب) ألا يخرج مخرج المثل بالألا يستقل بالإفادة دون ما قبله ، نحو قول ابن نباتة السعدي :

لم يبق وجودك لي شيئاً أومته تركنني أصحاب الدنيا بلا أمل
وقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحازي إلا الكفور ﴾^(٣) .
وينقسم أيضاً الى :

(أ) ما كان تأكيداً لمنطوق الكلام كالأية : وقل جاء الحق ، النخ .

(ب) ما كان تأكيداً لمفهومه ، كقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لاند على شعث أي الرجال المهذب^(٤)
فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال ، وقد حقق ذلك بمعجزه .

٦ - التكيل ، ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان :

(أ) أن يتوسط الكلام ، كقوله :

لو أن عزّة خاصمت شمس الضحى في الحسن (عند موفق) اقضى لها
إذ التقدير : عند حاكم موفق ، فقوله : موفق ، تكيل .

(١) هو أعم من الاينغال من جهة أن يكون في الآخر وغيره وأخص من جهة أن الاينغال قد يكون بغير الجملة وبغير التوكيد .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨١ .

(٣) إذ المراد : ذلك الجزء المخصوص (سورة سبأ) .

(٤) الشعث : التفرق والحصل الذميمة .

وقول ابن المعتز :

صبينا عليها (ظالمين) سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل
فقلوه : ظالمين ، تكميل دفع به توهم أنها بليدة تستحق الضرب .

(ب) أن يقع آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (١) ، فإنه لو اقتصر على وصفهم: بالذلة على المؤمنين، لتوهم أنها ناشئة من ضعفهم ، فدفع هذا، بقوله تعالى: (أعزة على الكافرين) .

وقول السموأل بن عادياء .

وما مات منا سيد في فراش ولا طل منا حيث كان قتيل
فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم فربما علق بالوهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم ، فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم .

٧ - التتميم ، وهو أن يؤتى في كلام لا يوم ، خلاف المقصود بفضله ، كمفعول أو حال أو نحو ذلك ، لقصد المبالغة (٢) ، كقول زهير يمدح هرم بن سنان :

من يلق يوماً على علاقته هرماً يلقى السباحة منه والندى خلفاً
فقلوه : على علاقته ، أي على كل حال أو على ما فيه من الأحوال والشئون ، تميم وقع في غاية الحسن والرشاقة .

٨ - الاعتراض ، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام (٣) أو بين كلامين متصلين معنى (٤) ، يحملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب (٥) لنكتة سوى دفع الإيهام (٦) . وهو من دقائق البلاغة وسحر البيان (٧) ، وفائدته إما :

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٢) فالتكلم يحاول ألا يدع شيئاً مما به يتم حسن المعنى .

(٣) خرج الأفعال لأنه في الآخر .

(٤) بأن يكون الثاني بياناً للاول أو تأكيداً أو بدلاً منه .

(٥) خرج التتميم لوجود الاعراب فيه .

(٦) خرج التكميل .

(٧) لما فيه من حسن الافادة مع مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الافادة ، فهو كالحسنة تأتي من حيث لا ترتقب .

(أ) التنزيه والتمظيم ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لَهِ الْبَنَاتُ سُبْحَانَهُ ﴾^(١) ولهم ما يشتهون ﴿^(٢) فسبحانه ﴾ مسوق للتنزيه عن اتخاذ البنات .

(ب) أو التقرير في نفس السامع نحو : ﴿ وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ ﴾^(٣) فيها والله ' مخرج ' ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها ﴿^(٤) فقوله : والله مخرج ، جاءت معترضة لتقرير أن تدافع بني إسرائيل في قتل النفس ليس نافعاً في إخفاء وكنائهم ، لأن من لا تحفى عليه خافية مظهره لا محالة .

(ج) أو التصريح بما هو المقصود ، كقول كثير عزة :

لو أن الباخرين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا
فقوله : وأنت منهم ، تصريح بما هو المقصود من ذمة وتأكيد ، لانصراف الدم اليه .

(د) أو الدعاء ، كقول أبي الطيب :

ويحتقر الدنيا احتقاراً مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا
فقوله : وحاشاك ، اعتراض حسن في موضعه ، والواو في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية^(٥) .

(هـ) أو تنبيه المخاطب على أمر يؤكد الإقبال على ما أمر به مما فيه مسرته كقوله :

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا

(و) أو الاستعطاف ، كقول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنني لرأيت فيه جهنما

(ز) أو تنبيه المخاطب على أمر غريب ، كقوله :

(١) سورة النحل الآية ٥٧ .

(٢) هو جملة لأنه مصدر بتقدير الفعل .

(٣) تدافعتم واختصتم .

(٤) سورة البقرة الآية ٧٢ .

(٥) الفرق بين الواو الحالية والاعتراضية بالقصد ، فإن قصد كون الجملة قيداً للعامل ، فهي حالية ، وإلا فهي اعتراضية .

فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة^٩ ولا وصله يبدو لنا فنكارمه
فإن قوله: فلا هجره يبدو، يشمر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه، وغريب
أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب، فقال: (وفي اليأس راحة) لينبه
إلى السبب .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى، وهو أكثر من جملة أيضاً، قوله تعالى:
﴿ فَأَتَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾^(١)، فإن قوله: نساؤكم حرث لكم،
بيان لقوله: فأتوهم من حيث أمركم الله، لإفادة أن الغرض الأصلي من الإتيان هو
طلب النسل لا قضاء الشهوة فقط، وما بينها اعتراض للترغيب فيما أمروا به،
والتنفير عما نهوا عنه .

٩ - النفي والإثبات بأن يذكر الشيء على جهة النفي، ثم يثبت أو بالعكس
نحو: ﴿ وَعَدُ اللَّهُ لَا يُخْلَفُ ﴾ الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون
يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿^(٢) نفى عنهم أولاً
العلم بما خفى عليهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم آخر العلم بظاهر الحياة الدنيا
دون ما كان مؤدياً إلى الجنة .

١٠ - ما كان كقولهم: رأيت بهيبي، وقبضته بيدي، ووطنته بقدمي،
وذقته بلساني - يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله، دلالة على أن نيله ليس
بمتعذر، وعلى هذا جاء قول البحترى:

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس إلى من الرحيق الحسرواني^(٣)

فمحذور مثل هذا المجلس نادر، ولا سيما إذا كان الساقى فيه على ما وصف
من الحسن، ومن ثم قال: انظر بعينك .

(تنبيه) قد يوصف الكلام بالإيجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها
بالنسبة إلى كلام آخر مساوياً له في أصل المعنى كقول الشياخ يمدح عرابة الأوسي:

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٦ .

(٣) السجف بالكسر والفتح: الستار، والحسرواني ضرب من الثياب منسوب لبلاد فارس.

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

مع قول بشر بن أبي حازم يمدحه أيضاً :

إذا ما المكرمات رُفمن يوماً وقصّر مبتغوها عن مداها^(١)
وضاقت أذرع الثرين عنها سما أوس^٢ إليها فاحتواها

المبحث الخامس - الإيجاز أفضل أم الاطناب

مواضع كل منهما

اختلفت آراء الأئمة في تفضيل الإيجاز على الاطناب، أو العكس، فمن مفضل للإيجاز، كشبيب بن شيبه، إذ يقول: القليل الكافي خير من كثير غير شاف.

ويقول آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتي به التكلف.

ومن مرجح للاطناب وحجته أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، أضف إلى ذلك أن الإيجاز للخواص، والاطناب مشترك بين الخاصة والعامة، والغبي واللفظن. والمختار، أن الحاجة إلى كل ماسة، وأن لكل موضعاً لا يسد عنه فيه سواه، فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر، فقد أخطأ.

قال جعفر بن يحيى: متى كان الإيجاز أبلغ كان الاكثار وعياً، ومتى كانت الكفاية في موضع الاكثار، كان الإيجاز تقصيراً، يرشد إلى ذلك قول القائل بصف خطباء إباد:

يرمون بالخطب الطوال وقارة وحي الملاحظ خشية الرقباء^(٢)

وقد استحبوا الإيجاز في المواضع الآتية:

-
- (١) رفع المكرمات يراد به بروزها للطالين، ومبتغوها طالبيها، واحتواها أخذها.
(٢) الوحي الإشارة بالكلام الحقيقي، والملاحظ جمع ملحظ كمطلب اللحظ وحي منصوب على المصدر، أي تارة يوحون، أي يأتون بكلام سريع خفي، كحال من ينظر إلى حبيبته بمؤخر عينيه خوفاً من الرقباء.

- ١ - الكتب الصادرة عن الملوك الى الولاة في أوقات الحروب والأزمات .
- ٢ - الأوامر والنواهي السلطانية .
- ٣ - كتب السلطان بطلب الخراج وجباية الأموال وتبدير الأعمال .
- ٤ - كتب الوعد والوعيد .
- ٥ - الشكر على النعم التي تُسبغ ، والعوارف التي تسدى .
- ٦ - الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر وشمول العناية .
- ٧ - التنصل من الذنب والاعتذار من التقصير بإيراد الحجج التي تقنع المخاطب وتزيل موجدته .

واستحسنوا البسط والاطناب في المواضع التالية :

- (١) ما يكتب به عن الملوك في جسيات الأمور التي يراد تقريرها في نفوس العامة ، كأخبار الفتوح المتجددة ، فهذا موضع يشبع فيه القول ، حتى تعرف الرعية قدر النعمة ، فتزيد في الطاعة ، ولا بأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه ، وعظيم إقدامه ، لأن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به .
- (٢) ما يكتب به عن الملوك الى أهل الثغور ، في أوقات التحرش بالملكة ، وإقدام العدو على الهجوم عليها ، ليعلموا ذلك فيستعدوا للقاء .
- (٣) ما يكتب به الولاة ، ومن في حكمهم ، الى الملوك لإخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجري على أيديهم من مهام الأمور .
- (٤) الموعظة والارشاد بالترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط أملة ، ويرتفع قلب المسيء ويأخذ الخوف منه كل مأخذ .
- (٥) الخطب في الصلح بين المشائير لإصلاح ذات البين .
- (٦) المدح والثناء والهجاء .

أسرار البلاغة في الإيجاز والاطناب

قد عرفت كلا من الإيجاز والاطناب ومواقع كل منهما ، فعليك أن تعرف الدواعي التي لأجلها استعملتها العرب في كلامها .
فمن دواعي الإيجاز :

١ - سهولة الحفظ ، فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل؟

قال : نعم كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها .

٢ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب .

٣ - ضيق المقام خوف قوات الفرصة .

٤ - ذكاء المخاطب ، حيث تكفيه المحة والوحي والاشارة .

ومن دواعي الاطناب :

(١) توكيد المعنى وتثبيته في النفس ، أفلا ترى الى قوله تعالى في باب الموعظة :

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ، أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١)

(٢) دفع اللبس الذي كان يحتمل وجوده مع الإيجاز واعتبر ذلك بما تراه في قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (٢) فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين : القطعة من اللحم ، والفهم والادراك - لهذا أتى بكلمة في جوفه ليعتد المعنى الثاني ، ويحول اللبس ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣) ، فأتى بكلمة في الصدور لدفع اللبس بأن المراد بها العيون الباصرة .

(٣) التعظيم والتهويل ، انظر الى قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرْتُ ﴾ (٤) ، إذ كان يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) أو غيره مما بعده من الاثني عشر المذكورة ، لكنه عددها لتهويل شأن هذا اليوم .

(١) سورة الأعراف الآيتان ٩٨ و ٩٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤ .

(٣) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٤) سورة التكاوير الآيات ١ - ١٤ .

تدريب أول

بيّن الإيجاز والاطناب والمساواة ، مع ذكر السبب فيما يلي :

- ١ - ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَانًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ، أو أمن أهل القرى أن يأتيتهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .
- ٢ - ﴿ إِنْ لِّلْمُتَّقِينَ مَفَازٌ حَدَائِقُ وَأَعْنَابٌ وَكَوَاعِبُ أَتْرَابٍ ﴾ ^(١)
- ٣ - وقال اعرابي : إن شككت في فاسأل قلبك عن قلبي .
- ٤ - واحرص على حفظ القلوب من الأذى إن الزجاجة كسرها لا يشعب
- ٥ - ﴿ وَالشَّعْ وَالْوَتْرَ وَاللَّيْلَ إِذَا يَسْرُ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ ^(٢)
- ٦ - جرى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطنين فزلت هم خلطوننا بالنفوس وألجئوا إلى حجرات أدفأت وأظلت
- ٧ - أخرج منها ماءها ومرعاها .
- ٨ - ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْآنْفُسُ وَلَئِكَ الْآعِينُ ﴾ ^(٣)

الاجابة

الرقم	التعبير ونوعه	السبب
(١)	إطناب	بال تكرار للتأكيد والإنذار والتهديد لهم على سوء فعلهم
(٢)	إطناب	بلايضاح بعد الإبهام فقد فسر ذلك الفوز بقوله حدائق وأعنايا
(٣)	إيجاز بالقصر	إذ سأل القلب عن القلب يشمل معاني كثيرة فالقلب موضع الحب والبغض ومستودع السر والشكوى .
(٤)	إطناب	بالتفليل الجاري مجرى المثل
(٥)	إيجاز بالحذف	لحذف جواب القسم تقديره وحق هؤلاء لأعدين أولئك بدليل قوله بعد ألم تر كيف فعل ربك بعد .
(٦)	إيجاز بالحذف	لحذف المقاميل إذ التقدير ألجئونا وأظلتنا وأدعانا
(٧)	إيجاز بالقصر	إذ دل بشيئين على جميع ما أخرجه الأرض قوتاً ومناعاً للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والماء
(٨)	إيجاز بالقصر	إذا جمعت نعم الجنة مما لا تحصره الأفهام ولا يخطر لك على بال

(١) سورة النبأ الآية ٣٣ .

(٢) سورة الفجر الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٧١ .

تدريب ثان

- ١ - علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلمني يأسى منك الى الصبر عنك .
- ٢ - ﴿ فَإِنْ مَعَ الْمَرْءِ يَسْرًا ، إِنْ مَعَ الْمَرْءِ يَسْرًا ﴾ (١)
- ٣ - والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بقي ألا إن بقي المرء يصصره
- ٤ - لا تودع السر وشاء به مذلاً فما رعى غناً في الدو سرّجان
- ٥ - ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢)
- ٦ - ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى
- ٧ - قال أبو دعبل الجُمحي يمدح النبي ﷺ :
نزر الكلام من الحياء تخاله ضمناً وليس يحسمه سُقم
- ٨ - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

الاجابة

الرقم	نوع التعبير	السبب
(١)	مساواة	إذ ألفاظه قدر المعاني التي نحا نحوها من البث والشكوى
(٢)	إطناب	بالتركيب لقصد التوكيد وتثبيت المعنى المراد
(٣)	إطناب	بالاعتراض في قوله والأرزاق قد قسمت ، وبالتذليل الجاري مجرى المثل في قوله ألا إن بقي المرء يصصره
(٤)	إطناب	بالتذليل الجاري مجرى المثل في الشطر الثاني
(٥)	إيجاز بالقصر	لأن ألفاظه أقل من معانيه فقد دخل تحت قوله فهو حسبه
(٦)	إطناب	من المعاني ما يطول شرحه من إيتاء ما يرجى وكفاية ما يخشى
(٧)	إطناب	بالتركيب للتأكيد
(٨)	إطناب	بالتكميل بذكر من (الحياء) دفعاً لتوهم أن ذلك من عي
(٨)	إيجاز بالحذف	إذا التقدير كمن لم يشرح صدره .

(١) سورة الانشراح الآيتان ٥ و ٦ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٣ .

تمرين اول

يَتَنَ الْإِيحَازَ وَالْأَطْنَابَ وَالْمَسَاوَاةَ وَأَسْنَابَهَا فِيمَا بَلَى :

- ١ - هَوْنُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْعَلِي الْقَضَاءَ بِهِ مِنْ أَخْطَا الرَّأْيِ لَا يَسْتَنْدِبُ الْقَدْرَا
- ٢ - ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (١).
- ٣ - تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ (وَعَيْنَيْهِ) إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرَّ
- ٤ - أَسْجَنَّا وَقِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً وَنَأْيَ حَبِيبٍ إِنْ ذَا لِعَظِيمٍ وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ الْكَرِيمُ
- ٥ - ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٢).
- ٦ - وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأُمُورَ جَمِيعًا .
- ٧ - فَسَائِلُ هَذَاكَ اللَّهُ أَيُّ بَنِي أَبٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى سَعِينًا وَيُقَارِضُ
- ٨ - سَأَلَ بَعْضَ الْأَدْبَاءِ : مَا كَانَ سَبَبُ مَوْتِ أَخِيكَ ؟ فَقَالَ : (كَوْنُهُ) فَأَحْسَنُ مَا شَاءَ .
- ٩ - ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ ﴾ (٣).

تمرين ثان

- ١ - فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أُبْرِحُ قَسَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
- ٢ - ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (٤).
- ٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « حَبْلُكَ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيُصِمُّ » .
- ٤ - ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥).

(١) سورة غافر الآية ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٩ .

(٥) سورة الواقعة الآية ٧٥ .

- ٥ - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(١) .
- ٦ - حلم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب
- ٧ - فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل
- ٨ - وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .
- ٩ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾
كل نفس ذائقة الموت ^(٢) .

نموذج عام على المعاني

تكلم من المعاني على ما يأتي :

تهوى الشاء مبررًا ومقصر حب الشاء طبيعة الإنسان

الاجابة

- إن تطبيق جملة من النثر أو بيت من الشعر على فن المعاني يستدعي أن نعرض أبوابه ، فنرى في هذا البيت :
- (١) جملتان خبريتان أولاهما فعلية مضارعة تقتضي الاستمرار التجديدي ،
بدليل أن الغرض الموعظة ، والثانية اسمية تفيد الاستمرار والدوام ، كما هو شأن
الاخلاق والفرائض .
- (٢) كل من الجملتين ضرب ابتدائي خال من المؤكدات .
- (٣) ذكر المفعول لأن القصد تعلق الفعل به .
- (٤) قدم المفعول على المستند اليه في الجملة الأولى ، لأنه الأهم في الكلام .
- (٥) نكر المسند اليه لقصد التعميم .
- (٦) عرف المفعول بأل لإرادة الجنس .
- (٧) فصل بين الشطرين ، لأن بينها شبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جواب
عن سؤال مقدر .
- (٨) في البيت إطناب بالتذييل الجاري مجرى المثل .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

نموذج ثان

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شي عندي يبتغي الأدبا

الاجابة

(١) في الشطر الأول جملتان خبريتان من الضرب الابتدائي وفي الشطر الثاني جملة إنشائية .

(٢) الغرض من إلقاء الخبر فيها التحسر على تلك المعاملة القاسية التي عامله بها ابنه .

(٣) قدم الظرف وهو بعد في الشطر الثاني لأنه محط الإنكار .

(٤) الاستفهام فيه للتوبيخ .

(٥) قيد الجملة الأولى بتابع وهو عطف البيان لغرض الإيضاح والبيان ، وقيد الجملة الثانية بظرف الزمان ، لأنه هو المقصود بالإنكار .

(٦) فصل بين جملتي : أنشأ ويؤدبني ، لأن بينهما كمال الاتصال ، لأن الثانية بيان للأولى ، وبين جملتي : أنشأ ، وأبعد شي ، لأن بينهما كمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاء .

(٧) في البيت اطناب بالتذييل غير الجاري مجرى المثل .

علم البيان

البيان لغة الكشف والايضاح ، يقال : فلان أبين من فلان ، أي أوضح منه كلاماً واصطلاحاً - علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة ، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر ، فإنها وإن كانت طرقاً مختلفة لإيراد المعنى الواحد ، فاختلفتها إنما هو في اللفظ والعبارة ، لا في الوضوح والحفاء .

واللام في المعنى الواحد للاستفراق العرفي ، أي كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته ، فلو عرف أحد إيراد معنى واحد ، كقولنا : علي جواد ، بطرق مختلفة لم يكن بذاك عارفاً بالبيان .

إيضاح هذا التعريف ، أن الضليع بهذا الفن ، إذا حاول التعبير عما يختلج في صدره من المعاني وجد السبيل ممهّداً ، فيختار ما هو أليق بمقصده وأشبه بمطلبه من فنون القول وأساليب الكلام ، فإذا حثمة الشجعان على اقتحام غمار الوغى بهرم بساحر بيانه وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفان ، فقال : كأنكم أسود لها في غيل خفان^(١) أشبل ، وإن شاء استعار ، وقال : إني أرى هنا أسوداً تتحفز للكر والفر وتثب لاقتناص فرائسها ولها قرم^(٢) إلى الأخذ بنواصيها وحز رؤسها ، وإن أراد كنى عن مقصده وروى عن مراده فقال : البسوا لمدوكم جلد النمر^(٣) واقلبوا له ظهر المجن فإنه قد ورم أنفه عليكم وداسكم تحت أقدامه .

(١) مأسدة مشهورة بضراوة أسدها .

(٢) شهوة الطعام .

(٣) كناية عن إظهار العداوة ، ومثله ما بعده .

هنالك تناديه القلوب وتتسابق اليه الفرسان قائلة: لبيك لبيك ها نحن أولاء
نحمي الذمار، ونجبر الجار، ونجدل الأقران، ونصرعهم في الميدان، ونبيع النفوس
رخيصة ونشتري بها المجد والسؤدد :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وإن دعا النفوس لمكرمة وهز العطف لمحمدة أمكنه أن يقول: كأنكم البحور
يعم^١ فيضها القاصي والداني وتطعم بأنعامها الفقير والغني .

أو يقول : هذه البحور على سواحلها القصاد تقذف أمواجها ما يفرج كربة
البائس ويدفع الضر عن المدمم .

أو يقول : إني أرى مجدأ مد سرادقه ، وندى ضربت خيامه .

إذ ذاك تسخو كف البخيل ويهتز عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب
الحامد ونيل المجد بالثمن الربيع .

موضوعه : اللفظ العربي ، من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بمد رعاية
مطابقته مقتضى الحال .

فائدته : ستعلم مما يلي أن مباحث البيان محصورة في المجاز على أنحائه ، أي انه
بمعنى أعم يشمل الكناية ، وأن التشبيه إنما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه .

والمجاز ثروة كبيرة في اللغة من جهات عدة ، منها :

١ - الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفنناً في التعبير كتسمية المطر بالسماء
والنبات بالغيث ، على ما سيأتي .

٢ - التذرع الى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات ، كقولهم : ساق
الشجرة ، وإبط الوادي ، وعنق الابريق ، وذوابة الرجل^(١) .

٣ - التذرع الى الوضع لتمثيل صور المعاني ، كقولهم : نبض^(٢) البرق ،
سميح^(٣) الفرس .

(١) الجلدة المعلقة على آخر الرجل .

(٢) لمع خفيفاً ، أخذوه من نبض العرق .

(٣) مد يديه في الجري ، كما يفعل السابح .

٤ - الرمز الى حقائق المعاني كقولهم : سافر ولا ظهر^(١) له ، وفلان يملك رقبة أي عبداً .

وهناك مثلاً يبين لك اتساع اللغة بالمجاز ، ذلك أن مادة كف أصلها الكف ، وهو الجارحة ، ثم تصرفوا فيها واستعملوها على أنحاء شتى مجازاً ، فقالوا :

كفه عن الأمر ، اذا منعه ، كأنه دفعه بكفه من استعمال اللفظ في لازمه مجازاً مرسلًا ، وكف هو عن الأمر اذا امتنع وهو من وادي سابقه ، واستكف السائل وتكفف اذا طلب بكفه ، واستكف بالصدقة اذا مد يده بها لتعطيه إياها ، وكفه الميزان لشبهها بالكف في الشكل ، والكفة النقرة المستديرة ، يحتج فيها الماء ، واستكفوا حوله اذا أحاطوا به ينظرون اليه ، الى نحو هذه المعاني التي ترجع كلها إلى معنى الكف .

فالمجاز إذا غداء اللغة والروح الذي لا تحيا بدونه ، ولا قوام لها إلا به ، ولولاه ما كنا نرى فيها البهجة والجمال اللذين يتذوقها كل ناطق بالضاد .

(واضعه) أول من دون مسائل هذا العلم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن » ، وقبمه الجاحظ ، وابن المعتز ، وقدمه بن جعفر ، وأبو هلال العسكري ، وما زال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء الإمام عبد القاهر فأحكم أساسه وشيد بناءه .

الدلالة

علمت مما سبق أن فائدة هذا العلم إبراز المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة فناسب تعريف الدلالة وبيان أقسامها ، فنقول :

الدلالة فهم أمر من أمر ، والأول المدلول ، والثاني الدال ، وهي : إما لفظية وإما غير لفظية .

والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفن .. والأولى أقسام ثلاثة :

١ - دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة : كدلالة الإنسان والأسد على حقيقتيهما .

(١) أي لا دابة له يركب ظهرها .

٢ - دلالة اللفظ على بعض مسماه ، وتسمى : دلالة التضمن ، كدلالة البيت على السقف أو الحائط .

٣ - دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متعركاً أو شاغلاً لجهة ، أو نحو ذلك ، وشرطه اللزوم الذهني^(١) (سواء أصاحبه لزوم خارجي ، أم لا) بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيه إما على الفور ، أو بعد التأمل في القرائن والامارات ، لكن لا يشترط أن يكون اللزوم مما يثبت العقل^(٢) ، بل يكفي أن يكون لعرف عام^(٣) ، أو عرف خاص^(٤) ، كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية .

والدلالة الأولى تسمى عند البيانين وضعية ، ويستحيل تفاوتها وضوحاً وخفاء لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعية ، إما أن يكون عالماً بالوضع للمسمى أولاً ، فإن كان الأول فإنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان ، وإن كان الثاني فإنه لا يعرف منه شيئاً أصلاً .

والثانية والثالثة تسميان : عقليتين ، لأن دلالة اللفظ على الجزء ، واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء ، ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم ، ويتأتى فيها الاختلاف وضوحاً وخفاء ، إذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق الى الذهن فهمه بسرعة ، وبعضها بعيد ، فيصح اختلاف الطرق فيها ويكون بعضها أكمل من بعض في الإفادة .

وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءاً من شيء وجزءاً من شيء آخر ، فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى ، أوضح دلالة من الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى .

(١) أي أنه لا يشترط باللزوم الخارجي أيضاً ، ألا ترى أن المعنى يدل على البصر التزاماً إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً مع التنافي بينها في الخارج .

(٢) وهو اللزوم البين المعتبر عند التطبيقين وإلا لما تأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام وخرج كثير من المعاني المجازية والكنائية ، لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا اللزوم .

(٣) كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين ، إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر بقاء الحبيب ، فإذا قلت لواحد : من هؤلاء عيني تختلج ، فهم من ذلك أنك ستلقى حبيباً .

(٤) كما إذا قلت : هذا قدوم ، على فهم السامع أنه نجار .

فدلالة الحيوان على الجسم أوضح^(١) من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه .

وفي هذا مجال لقائل : إذ الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء ، ألا ترى أنا نجد في أنفسنا ألفاظاً محفوظة لدينا ، معلومة الوضع ، ومع ذلك يحضر لنا معنى بعضها بنفس الالتفات اليه ، لكثرة الممارسة ، أو لقرب العهد باستعماله في معناه ، أو لقرب العهد بعلم وضعه ، وبعضها لا يحضر معناه إلا بالمراجعة مرة بعد أخرى لطول العهد بعلم وضعه ولعدم تداوله .

أضف الى ذلك أن التركيب الذي فيه تعقيد لنظري لا يفهم معناه إلا بعد التأمل ، مع العلم بوضع جميع ألفاظه ، فليس ببعيد إذاً أن تكون قابلة للوضوح والخفاء . وقد أجيب عين الأول بأن التوقف والمراجعة لطلب تذكر الوضع المنسي ، لا لخفاء الدلالة ، بدليل أنه عندما نتذكر الوضع نعلم المعنى من غير توقف ، وعن الثاني بأن الهيئة مختلفة ، والكلام عند اتفاقها ، لأن لها دخلاً في الفهم الوضعي .

أبواب الفن

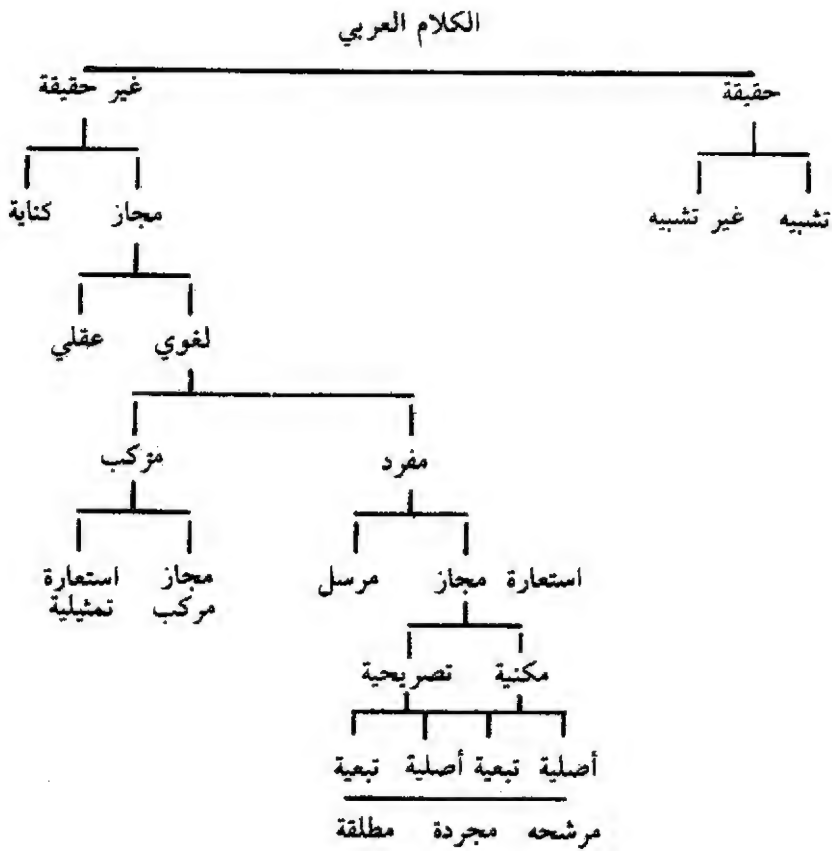
اعلم أن اللفظ إن استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة ، وإن استعمل في غيره ، لعلاقة مع قرينة ، فإما مانعة من إرادة المعنى الأصلي فمجاز ، وإما غير مانعة فكناية .

والمجاز إن كان لعلاقة المشابهة فاستعارة مفرداً كان أو مركباً ، وإن كان لعلاقة غير المشابهة فإن كان مفرداً سمي مجازاً مرسلًا ، وإن كان مركباً قيل له : مجاز مركب مرسل .

والاستعارة مبنية على التشبيه ، فوجب التعرض له ، فعلم من هذا وبما تقدم من أن الدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحاً وخفاءً على المشهور ، أن أبواب هذا الفن أربعة : التشبيه المجاز بقسميه ، الكناية — أما الحقيقة فإنما تذكر فيه ليتضح مقابلها ، وهو المجاز أشد الوضوح (وبضدها تتميز الأشياء) وأيضاً فهي أصل المجاز ، وهو فرع لها تناسب ذكرها في الفن تبعاً .

(١) لأن دلالة الحيوان عليه بلا واسطة ، بخلاف الثانية .

ويمكن إيضاح ذلك بما تراه في الرسم الآتي :



الباب الاول في التشبيه

وفيه اثنا عشر مبحثاً

المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته

التشبيه لغة التمثيل ، يقال : هذا شبه هذا ومثله ، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة .

واصطلاحاً : إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكان وما في معناهما) لغرض (فائدة) ^(١) .

(أركانته) مما سبق تعلم أن أركانه أربعة : مشبه ومشبه به ، ويسميان بالطرفين ، ووجه شبه ، وأداة .

(فائدته) إيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار ، ألا ترى أنك إذا قلت : علي كالأسد ، كان الغرض أن تبين حال علي ، وأنه متصف بقوة البطش وشدة المراس وعظيم الشجاعة ، وما إلى ذلك من أوصاف الأسد البادية للعيون . ولا شيء أدل على ذلك من تشبيهه بالأسد من أجل أن كانت هذه الصفات خصيصة بالأسد مقصورة عليه ، فصار هذا القول أكشف وأبين للقصد من قولك علي شجاع جريء ، إلى أشباه ذلك .

ومن أسباب ذلك ما يلي :

١ - ما يحصل للنفس من الأنس به بإخراجها من الخفي إلى الجلي الواضح ، ألا ترى أنك إذا وصفت يوماً بالقصر ، فقلت : هذا يوم من أقصر ما يتصور ، لم يجد السامع له من الأنس ما يحده لنحو قولك : يوم كلبهم القطة .

(١) عرفه ابن رشيق في «المعدة» بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه ، وقيل: هو إلحاق أدنى الشئين بأعلامهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كقيتها قوة وضعفاً .

أو لنحو قوله :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب^(١)

٢ - ما يحصل لها من الانس بإخراجها مما لم تألفه ، الى ما هي به آلف ، فإذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على شاطئ نهر وأردت أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على فائدة ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كفي شيء من الماء ، فكذلك أنت في أمرك - كان لذلك تأثير في النفس وتمكين للمعنى في القلب يزيد على القول المرسل إرسالاً .

٣ - ما يحصل لها بالانتقال مما تعلمه الى ما هي به ، فإنك ترى الفرق بينها وبين أن تقول : الدنيا لا تدوم ، ثم تسكت ، وبين أن تذكر عقب ذلك قوله ~~عقب ذلك~~ : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة » ، أو تشد قول لبيد : وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع

المبحث الثاني في الطرفين

ينقسم الطرفان الى حسيين وعقليين ومختلفين ، وإلى مفردين ومركبين ومختلفين ، فالحسيان ما يدركانهما أو مادتهما أي أجزاؤهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، وبهذا التفسير دخل في الحسي شيان :

ما كان للطرفان فيه مشتركين ، إما : في صفة مبصرة كتشبيه الحور الحسن بالياقوت والمرجان في قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾^(٢) . وقول عنزة يصف غدرانها :

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل قرارة كالدرم^(٣)

أو في صفة مسموعة كتشبيه الصوت الحسن بالموسيقى ، والأسلحة في وقعها بالصواعق ، والأصوات غير المفهومة بأصوات الفراعين ، في قول عياش بن سلمة يذم بني دالان :

(١) السالفة صفحة العنق ، وأراد هنا العنق كله .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٨ .

(٣) الثرة كالثرثرة النورية الماء ، والقرارة الحفرة ، والعين مطر أيام لا تنقل .

كان بني دالان إذا جاء جميعهم فراريج يلقي بينهن سويق^(١)
أو في صفة مذوقة ، كتشبيه الفواكه الحلوة بالمثل ، والبرقوق الكرز ،
والريق بالخر ، في قول امرئ القيس :
كان المدام وصوب الغيام وريح الخزامى ونشر القطر
يعمل به برود أنيابها إذا طرب الطائر المستحر^(٢)
أو في الصفة المشومة كتشبيه رائحة الرياحين المجتمعة بالغالية^(٣) والنكهة
بريح العنبر .

أو في الصفة الملمومة ، كما يشبه الجسم بالحرير في النعومة ، كقول ذي الرمة :
لها بشر مثل الحرير - ومنطق رخم الحواشي لا هراء ولا تزر
(الخيالي) وهو المعدوم الذي يفرض مجتمعاً من أمور عدة ، كل منها مدرك
بالحس ، كقول أبي القنائم المحصي :

خود كأن بنانها في خضرة النقش المزرد
سمك من البلور في شبك تكون من زبرجد^(٤)
فسمك على هذه الشاكلة ، وشبك بهذه الصفة لا يوجدان حق يدركا بالحس ،
لكن ما يتألفان منه وهو السمك والبلور وشبك والزبرجد ، يدركان بالحس .
والعقليان ما لم يدركا ، هما ولا مادتهما بإحدى الحواس ، كتشبيهم بالضلال
عن الحق بالعمى ، والعلم بالحياة ، وبهذا التفسير دخل في العقلي .
(الوهمي)^(٥) وهو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس ، لكنه لو أدرك ،
لكان مدركاً بها ، كرؤوس الشياطين ، وأنياب الأغوال ، في قوله تعالى :

(١) الفراريج صفار الدجاج ، والسويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير ، وشبههم بذلك لدقة
أصواتهم وعجلة كلامهم .

(٢) الصوب المطر ، والخزامى نبت طيب الرائحة ، ونشر الريح الطيبة ، والمستحر المفرد
في السحر .

(٣) أخلاط من الطيب .

(٤) الخرد الشابة الناعمة .

(٥) هو ما تخترعه التخيلة من نفسها ، وهي قوة من قوى الإدراك من شأنها اختراع أشياء
لا حقيقة لها ، كما تصور الغول بصورة السبع وتخترع له أنياباً .

﴿ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(١) ، وقول امرئ القيس :
أبقتلني والمشرقي مضاجعي
فهاأن لا تدركان بالحس ، لعدم وجودهما ، لكن لو أدركنا لم تدركا
إلا بحاسة البصر .

(الوجداني) كتشبيهم الجوع بالنار ، والمطش بالهيب وتسعر النار .
والمختلفان إما بأن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً ، كما يشبه العدل
بالقسطناس ، والرأي بسواد الليل في قوله :

الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
أو بالعكس بتقدير المقول كأنه محسوس ويجعل كالأصل لذلك المحسوس
مبالغة ، ويكون حينئذ من التشبيه المقلوب كما في تشبيه العطر بحسن الخلق في
قول الصاحب بن عباد :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائهِ فكأنما أهدى له أخلاقه
والمفردان إما مطلقان ، كما في تشبيه الشعر بالليل ، والمخاطب بالحالم ،
في قوله :

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفنيتهما هل أنت إلا كحالم
وأما مقيدان بوصف أو إضافة أو ظرف أو حال ، أو نحو ذلك ، مما يكون
له تعلق بوجه الشبه ، كقولهم لمن يفخر بما ليس له ، كالحادي ، وليس له بعير^(٢) ،
فهذه الجملة الحالية محتاج إليها في تحقيق الشبه بينهما ، وكقول القاضي الفاضل :
والشمس بين الأرائك قد حكمت سيفاً صقيلاً في يد رعشاء
وأما مختلفان ، والمقيد هو المشبه ، نحو :
كان فجاج الأرض وهي عريضة^(٣) على الخائف المطلوب كفة حابل^(٤)
ونحو قول المتنبي :

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

(٢) يضرب مثلاً للرجل يفخر بما ليس له .

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع بين جبلين ، والكفة ما يصاد به (الشبكة) .

وإذا الأرض أظلمت كان شمساً
وأما بالعكس كقول الخنساء :
أغرُّ أبليج تأثمُّ الهداة به
وقول السري الرفاء :
والفجر كالراهب قد مُزقت
وأما مركبان^(١) كقول بشار :
كان مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكب^(٢)

فالشبه^(٣) هو مجموع الفبار والسيوف المتألقة في خلاله والمشبه به هو الليل الذي تهافت كواكبه إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب ، بل عمد الى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغصانها ، وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطراباً شديداً وتتحرك بسرعة الى جهات مختلفة ، وكذا الى هيئة الكواكب في تهاويها وتصادمها وتداخلها واستطالة أشكالها عند السقوط .

وهذا القسم ضربان :

١ - ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الثاني كقول القاضي التنوخي :

كأنما المريخ والمشتري
منصرف بالليل عن دعوة
قدامه في شامخ الرقعة^(٤)
قد أسرجت قدامه شمعة

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة ، كان ضرباً من الهذيان .

(١) ليس الفرق بين المقيد والركب باعتبار التركيب اللفظي لاستوائه فيهما غالباً ، بل باعتبار قصد المتكلم الهيئة بالذات والأجزاء بالتبع في المركب وباعتبار قصد جزء من الأجزاء والربط بغيره بالتبع في المفرد المقيد .

(٢) أو من آثار الفبار .

(٣) ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مستطيلة منيرة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم .

(٤) وار المشتري للعالم ، فهو يقصد الهيئة التي تكون للمريخ متى كان المشتري أمامه .

٢ - ما يصح تشبيه كل جزء من اجزاء أحد طرفيه بما يقابله من اجزاء الطرف الآخر، غير أن الحالة تتغير، كقول أبي الطيب الرقي :

وكان أجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على بساط أزر

فلو قيل: كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرق، كان تشبيهاً صحيحاً، ولكن أين هذا من ذاك الذي يملأ نفسك عجباً، إذ يريك هيئة نجوم طالعة متألقة متفرقة في أديم سماء صافية الزرقة .

واما مختلفان ، وهو ضربان :

١ - أن يكون المشبه مفرداً والمشبّه به مركباً ، كقول الصنوبري :

وكان محمر الشقيق إذا تصوّب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد^(١)

فالمشبّه هو الشقيق عند تصوّبه^(٢) وتصدده ، والمشبّه به مركب ، وهو الصورة الحادثة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس سيقان خضر مستطيلة .

٢ - أن يكون المشبه مركباً ، والمشبّه به مفرداً ، كقول أبي تمام يصف الربيع :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر^(٣)

يريد أن النبات لشدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه ، صار لونه يميل الى السواد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر .

فهو قد شبه النهار الذي خالطه زهر الربا (وهذا مركب) بالليل المقمر (وهذا مفرد مقيد بالصفة) .

(١) محمر الشقيق ورد أحمر في وسطه سواد ، يقال له : شقائق النعمان .

(٢) فهو مفرد مقيد بالظرف ، لأن أوراق الشقائق إنما تكون على هيئة العلم اذا مالت الى السفلى أو العلوى .

(٣) تقصيت الشيء بلغت أقصاه ، وشابه خالطه ، والربا جمع روبة وهي المكان المرتفع ، وخص زهر الربا لأنها أنضج وأشد خضرة ، وفي الكلام حذف مضاف أي لون زهر الربا .

المبحث الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوف ومفروق

الطرفان إن تعددا كان ذلك على ضربين :

١ - أن يؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف ، أو غيرها ، ثم يؤتى
بالمشبهات بها كذلك ، ويسمى حينئذ تشبيهاً ملفوفاً ، كقول امرئ القيس يصف
عقاباً بكثرة اصطياد الطيور :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً ولدى وكرها العناب والحشف البالي^(١)
فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب ، وشبه اليابس العتيق منها
بالحشف البالي .

وفضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ ، وحسن الترتيب ، إلا أن
في الجمع فائدة في المقصود من التشبيه كما هو الحال في التشبيه المركب .

٢ - أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم بآخر وآخر ، ويسمى تشبيهاً مفروقاً ،
كقول ابن سكرة :

الحذ ورد والصدغ غالية^٢ والريق خمر والثغر كالدر^(٢)

المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تمويه ، وتشبيه جمع

إذا تعدد أحد الطرفين كان ذلك على ضربين :

١ - فإن كان المتعدد المشبه سمي تشبيه التسموية ، كقوله :

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي^(٣)

(١) العناب بزنة رمان حب أحمر مائل الى الكدرة قدر قلوب الطير يشمره السدر البستاني
والحشف أردأ التمر .

(٢) الغالية أخلاط من الطيب مركبة تركيباً خاصاً .

(٣) للصدغ إطلاقان ما بين الأذن والعين ، والشعر المتدلي ، وهو الراد هنا ، والسواد في
حاله تخيلي .

فقد شبه في البيت الأول صدغ الحبيب (وهو الشعر البادي من الرأس فيما بين الأذن والعين) وحاله بالليالي ، وشبه في البيت الثاني ثغر الحبيب (وهو مقدم أسنانه) ودموعه بالآليء في القدر والصفاء والإشراق .

٢ - وإن كان المشبه به سمي تشبيه الجمع كقول البحري :

بات نديماً لي حق الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ 'منضد' أو برَد أو أفاح

المبحث الخامس في وجه الشبه

وجه الشبه هو الوصف الخاص^(١) الذي قصد اشتراك الطرفين فيه ، فقولك : علي كالأسد ، ووجه سعدى كالشمس - الوجه في الأول الجرأة والإقدام وشدة البطش المشهورة في الأسد ، وفي الثاني الحسن والبهاء الثابتان للشمس .

فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمراً يشترك فيه الطرفان ، كما فعل ابن المعتز حين يقول :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وانفتاحاً^(٢)

فهو لم ينظر الى جميع صفات البرق ، بل نظر الى انبساط يعقبه انقباض ، وانتشار يتلوه انضمام ، فشبّه ذلك بمصحف ، القارىء يفتحه مرة ، ويطبّقه مرة أخرى .

وبما ذكر تعلم أن قولهم : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » يريدون به أن الكلام لا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه ، كما لا ينتفع بالطعام ما لم يصلح بالملح ، إلا أن القليل من النحو مفيد والكثير مفسد ، كما يفسد الملح الطعام ، إذا كثّر فيه ، إذ لا تتصور زيادة ولا نقصان في جريان أحكامه في الكلام ، لأنه إن استوفى أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول ونحو ذلك ، فقد وجد النحو وانتفى الفساد وانتفع به في فهم المراد وإلا لم يوجد وكان

(١) قال ابن رشيق في «العمدة»: التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم : فلان كالبحر ، إنما يريدون كالبحر ساحة وعلماً ، ولا يريدون ملوحة البحر وزعوقته . انتهى .

(٢) قار أصله قارىء، حذفته منه الهمزة بعد قلبها ياء ، ثم أعلّ إعلال قاض .

الكلام فاسداً . فقول أبي بكر الخوارزمي : « والبغض عندي كثرة الاعراب » كلام ليس له معنى ، وينقسم الوجه الى عدة أقسام :

١ - تحقيقي وتخيلي :

(أ) فالتحقيقي ما كان متقدراً في الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى : ﴿ وله الجواري المنشئات في البحر كالأعلام ﴾ (١) ، فوجه الشبه وهو العظم والضعامة ، موجود في كل من المراكب والجبال حقيقة .

(ب) والتخيلي ما لا يكون وجوده في أحد الطرفين إلا على ضرب من التأويل ، فمثاله في المشبه قوله : صدغ الحبيب وحالي ، كلاهما كالليالي ، ومثاله في المشبه به قول التنوخي :

وكان النجوم بين دجاء سنن لاح بينهن ابتداء

فوجه الشبه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ، وهي غير موجودة في المشبه به ، إلا على طريقة التخيل ، ذلك أنه لما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي الى الطريق الذي تقع له به النجاة !!

شبهت بالظلمة وشاع ذلك حتى قيل : شاهدت سواد الفكر من جبين فلان ، لتخيل أن البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون ، وبطريق العكس شبه الهدى ، والعلم بالنور ، واشتهر ذلك كما ورد : « أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها » من حيث تخيل أن السنن ونحوها جنس من الأجناس التي لها إشراق (٢) وبياض في العين .

ومن أجل هذا صار تشبيه النجوم بين الدياجي بالسنن بين الابتداء واضعاً جلياً كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب .

٢ - واحد ومركب من متعدد منزل منزلة الواحد ، وكل منها : إما حسي ، وإما عقلي ، ومتعدد (يقصد فيه اشتراك الطرفين في عدة أمور كل منها وجه شبه

(١) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(٢) فتمام التشبيه يكون بأن يتخيل ما ليس بمتلون متلوناً ، ثم يتخيل كونه أصلاً للمتلفات الحقيقية من ذلك الجنس .

على حدته ، وبهذا يخالف المركب المنزل منزلة الواحد ، فإن وجه الشبه فيه الهيئة المنتزعة من عدة أمور) وهو : إما حسي ، وإما عقلي ، وإما مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي :

(أ) فالواحد الحسي طرفاه لا يكونان إلا حسيين ، فإن الوجه أمر منتزع من الطرفين موجود فيهما ، وكل ما يؤخذ من العقلي وينتزع منه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ، لأن أوصاف العقلي يجب أن تكون عقلية ، وذلك كتشبيه الحد بالورد يجامع الحمرة والغضاضة .

(ب) والواحد العقلي طرفاه إما عقليان كما يشبه وجود ما لا ينتفع به بعدمه يجامع العراء عن الفائدة في قولهم : وجوده كالعدم ، وإما حسيان كتشبيه الرجل بالأسد في الجرأة والإقدام والبطش ، وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي ، كما يشبه العلم بالنور يجامع الهداية في كل ، وإما بالعكس كما يشبه العطر بمخلق الكرم يجامع ارتياح النفس وانتعاشها .

(ج) والمركب الحسي طرفاه إما مفردان كتشبيه الثريا بعنقود من الكرم لاشتراكهما في الهيئة الحادثة من تقارن الصور البيض المستديرة الصفار في رأي العين على كيفية مخصوصة ومقدار معين في قول كسناجم محمود بن الحسين :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا^(١)

وإما مركبان كالهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار ، متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كأن مشار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

إما مختلفان كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، فالشبه مفرد ، والمشبه به مركب ، وإما بالعكس كتشبيه النهار الشمس الذي شابه زهر الربا بلبل مقمر .

ومن بديع المركب الحسي ما يحى في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، وذلك على وجهين :

(١) الملاحية بضم الميم وتشديد اللام ، والأكثر تخفيفها عنب أبيض في حبه طول وحين نور ، أي تفتح نوره بفتح النون .

١ - أن تقتزن هيئة الحركة بغيرها من أوصاف الجسم ، كالشكل واللون ،
كقول جبار بن جزء بن أخي الشماخ :

والشمس كالمرآة في كف الأشل^١ لما رأيتها بدت فوق الجبل^٢

فوجه الشبه : الهيئة الحاصلة من الاستدارة مسع الإشراق والحركة السريعة
المتصلة مع الإشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من الوسط
الى جوانب الدائرة ، ثم يبدو له أن يرجع من الانبساط الذي هم به الى الانقباض
كأنه يرجع من الجوانب الى الوسط ، فإن الإنسان اذا أخذ النظر لينظر الى
الشمس ، ولا سيما أول شروقها ، ليتبين جرمها ، وجدها تؤدي هذه الهيئة ،
وكذلك المرأة في كف الأشل .

٢ - أن تجرد هيئة الحركة عن غيرها من الأوصاف ، فهناك لا بد من
اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة ، كان يتحرك بعضه الى اليمين
وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفلى ، فحركة الدولاب والرحا
والسهم ، لا تركيب فيها لاتحاد الحركة .

وحركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وانفتاحاً

فيها تركيب لأنه يتحرك في حالتي الانطباق والانفتاح الى جهتين في كل حال
الى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى ، يصف السفينة في البحر ، وتقاذف
الأمواج بها :

تقص السفين^١ يجانبيه كما ينزو الرياح خلاله كرع^(١)

شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ، فإنه يكون له
حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل
وتصعيد على غير ترتيب ، وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى ،
فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه متسفل ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة
وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج .

(١) تقص ثب ، والنزو الوثوب والرياح كزمان ، ويخفف القرد أو الفصيل ، والكرع ماء
السياء ، وخلا فعل ماض .

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة ، قد يقع في هيئة السكون ، كقول أبي الطيب في صفة الكلب :

يقمى جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم تجدل^(١)

فلم ينل التشبيه خطأ من الحسن إلا لما فيه من التفصيل من حيث كان لكل عضو من أعضاء الكلب في إقامته موقع خاص ، وكان مجموع تلك الجهات في حجم أشكال مختلفة تؤلف منها صورة خاصة ، وكذلك صورة جلوس البدوي عند الاصطلاء .

والمركب العقلي كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾^(٢) ، فالتشبيه منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض ، ذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول ، وأن الحمار جاهل لما فيها ، فلا حظ له إلا أن يشغل عليه الحمل أو يكد جنبه ، وكذا في جانب المشبه ، فقد روعي أنهم فعلوا فعلاً مخصوصاً ، هو الحمل المعنوي ، وكون المحمول أوعية العلوم وكونهم جاهلين لما فيها .

(تنبيه) قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها ، كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشمت وتجلت^(٣)

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه ، لا حاجة به الى الثاني ، على أن المراد به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه ،

(١) الاتقاء الجلوس على الاليتين ، والاصطلاء الاستدفاء بالنار ، ومجدولة محكمة الخلق لم يجد لها انسان ، والفروض مدح الكلب بشدة الحرص .

(٢) سورة الجمعة الآية ٥ .

(٣) أقشمت اضمحلت ونهبت ، وأبرقت قوماً أي لقوم ، ففي الأساس : أبرقت لي فلانة إذا تحسنت لك وتمرضت ، وعطاش جمع عطشان . وقبله :

لقد أطمعتني بالوصال تبساً وبعد رجائي أعرضت وتولت

لكن، بعد التأمل، يظهر أن مقصد الشاعر أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاه مؤيس، وذلك يتوقف على البيت كله.

وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة في نحو: محمد كالأسد، والسيف والبحر، فإن المقصد فيها التشبيه بكل واحد على حدته، حق لو حذف بعضها، لا يتغير الباقي في إفادة معناه، بخلاف المركب، فإن المقصود يخلت بإسقاط بعض الأمور، كما أنه لو قدم بعضها وآخر بعضها الآخر لا يتغير المعنى، إذ ليس لهذه التشبيهات نسق مخصوص، ولا ترتيب معين^(١) بخلاف المركب.

والمتمعد الحسي: كالوت والطعم والرائحة، في تشبيه النبق الكبير بالتفاح في هذه الأمور الثلاثة.

والمتمعد العقلي: كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد، عند تشبيه طائر بالفراخ، فيما ذكر.

والمتمعد المختلف، كحسن الطلعة ونباهة الشأن عند تشبيه إنسان بالشمس، واعلم أنه قد ينتزع التشبه من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه، فينزل التضاد منزلة التناسب، فيشبه أحسد الضدين بالآخر، للتليخ والطرافة، أو للنهكم والاستهزاء، كما يشبه بخيل بجاتم، وعي بقس في الفصاحة، كما قال الإمام الرزوقي، وفي قول شقيق الأسدي:

أفني من أبي أنس وعيد فسئل لغيظه الضحاك جسي^(٢)
إن قائل هذا البيت قصد به الاستهزاء والتليخ بما يستظرفه السامعون.

المبحث السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى تمثيل وغيره

التمثيل تشبيه وجه منتزع من متعدد أمرين، أو أمور، كقوله:

وكان النجوم والليل داج نقش عاج يلوح في سقف ساج^(٣)

(١) فقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في أمرين: الأول أنه لا يجب فيها ترتيب خاص، والثاني أنه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف.

(٢) الوعيد التخويف، وسل ذاب، وهو بصيغة المبني للمجهول، والضحاك هو أبو أنس، وهو بالجر بدل من الماء، ففيه إظهار في موضع الاختصار زيادة الاستهزاء المذكور باسمه العلم.

(٣) الساج: شجر ينبت ببلاد الهند.

فوجه الشبه هيئة مأخوذة من أشياء بيضاء مستديرة لامعة في وسط شيء أسود، وكقوله تعالى: ﴿ومثلهم كمثّل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ (١) فقد شبهت حال المنافقين بحال مَنْ استوقد ناراً الى آخر هذه الآية ، يجامع الطمع في حصول شيء يوشع أسبابه وهيئت وسائله ، ثم تلا ذلك الحرمان والخبية لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأساً الى عقب ، وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، نحو: فلان كالسيف في المضاء .

الفرق بين التشبيه والتمثيل

التشبيه أعم من التمثيل ، فكل تمثيل تشبيه دون عكس إذ التمثيل مختص بما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد .
وللتمثيل موقعان :

- ١ - أن يكون في مفتتح الكلام فيكون قياساً موضحاً وبرهاناً مصاحباً ، وهو كثير جداً في القرآن الكريم نحو: ﴿مثل الذين ينمون أموالهم في سبيل الله كمثّل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ (٢) .
- ٢ - ما يجيء بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى ، كقول أبي العتاهية :
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

تأثير التمثيل في النفس

إذا وقع التمثيل في صدر القول بعث المعنى الى النفس بوضوح وجلاء مؤيداً بالبرهان ، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان :

- ١ - إما دليلاً على إمكانها ، كقول المتنبي :
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
- ٢ - أو تأييداً للمعنى الثابت ، كقوله :
ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

وهو في كلتا الحالين يكسب المعاني منقبة ، ويرفع قدرها ، ويجعل لها في القلوب هزة وإرتياحاً ، فإنك إذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده ترى بوناً شاسعاً ومسافة الخلاف متسعة ، ألا تراك تحس الفرق بين أن تقول : أرى قوماً لهم بهاء ومنظر وليس لهم خبر ، وأن تشد قول الشاعر :

في شجر السرو منهم مثلٌ له رؤاء وما له ثمراً^(١)

فإن جاء في باب المدح كسا المعنى حلة من الفخامة وقضى للمادح بغير المنائح كقوله :

فتى عيش في معروفة بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتما

وإن جاء في باب الذم كان وقعه أشد وحده ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَأْتِي الْآيَاتِ فَنَسْلُخُ مِنْهَا ﴾ ﴿ مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾^(٢).

وإن جاء في مقام الاحتجاج كان ساطع البرهان باهر البيان ، كقوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخدت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾^(٣).

وإن جاء في مقام الوعظ كان أبلغ في التنبيه والزجر ، كقوله تعالى في وصف نعم الدنيا : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً يكون حطاماً ﴾^(٤).

وإن جاء في موضع الاعتذار خلب القلب وسحر اللب وسل السخيمة وأزال الموجدة والصفينة ، كقول المتنبي :

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبحاً من الألم

وهكذا حاله في كل فنون القول وضروب الكلام ، ولا سيما باب الوصف ، كقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾^(٥).

(١) هو فصيلة الصفصاف .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

(٤) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٤ .

وقول الشاعر :

والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

المبحث السابع في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى مجمل مفصل

فالمجمل هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه ، وهو قسمان :

١ - ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة في وجه
والحلقة في وجه آخر ، وكقوله :

إنما الدنيا كبيت نسجته المنكبوت

٢ - خفي لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع ، بل يحتاج الى تأويل كقول
كعب بن معدان الأشعري في وصف بني المهلب (هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين
طرفاها) ، فهذا يحتاج الى فضل تأمل ورفق ، ولا يفهم إلا من ارتفع عن طبقة
العامة ودخل في عداد الخاصة .

ومن المجمل ما ذكر معه وصف المشبه به ، كقول زياد الأعجم :

وإنما وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبجر مها تلقى في البحر يفرق

أو وصفها معاً ، كقول أبي تمام يدح الحسن بن رجا :

ستنصبح العيس بي والليل عند فقي	كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب
صدقت عنه ولم تصدف مواهبه	عني وعاوده ظني فلم يخب
كالغيث إن جثته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج في الطلب ^(١)

فقد وصف المشبه ، أعني المدوح ، بأن عطاياه فائضة عليه ، أعرض أو لم
يعرض ، ووصف المشبه ، أعني الغيث ، بأنه يصيبك ، جثته أو ترحلت عنه ،
والوصفان دالان على وجه الشبه ، أعني الإفاضة ، في حالتي الطلب وعدمه ،
وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه .

(١) العيس ابل ابيض ، والليل أي سيوه ، وصدفت أعرضت ، والريق من كل شيء أفضل
وترحلت تباعدت ، ولج تبادى . وقد تركنا ما ذكر معه وصف المشبه فقط لعدم الظفر له
بمثال عربي مسموع.

والمفصل ما ذكر^(١) فيه وجه الشبه أو ذكر فيه مكان الوجه أمر يستلزمه
فالأول نحو :

يا هلالاً يدعي أبوه هلالاً جل باريك في الورى وتعالى
أنت بدر حسناً وشمس علواً وحسام حزمياً وبحر نوالاً

والثاني كقولهم للألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تبعد دلالتها
على معانيها ، وهي كالمسل حلوة ، وكالماء سلاسة ، وكالنسيم رقة .
والجامع في الحقيقة لازم الحلوة ، وهو ميل الطبع ولازم السلاسة والرقّة ،
وهو نشاط النفس وانتعاشها .

المبحث الثامن في تفسير التشبيه

باعتبار الوجه الى قريب مبتدل وبعيد غريب

فالقريب المبتدل هو ما ينتقل فيه المشبه الى المشبه به من غير تدقيق
لظهور وجه الشبه بادىء ذي بدء ، فيسهل تداوله بين العامة والخاصة ، كما اذا
نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق لمعانه ، لم يتباعد عنك أن تذكر
لمعان البرق .

وسبب ظهوره أحد أمرين :

١ - كونه أمراً جليلاً لا تفصيل فيه ، فإن الجملة أسبق الى النفس من التفصيل
إذ الرؤية تصل الى الوصف أولاً على الجملة ثم يتلوها التفصيل ، ألا ترى أن السمع
يدرك من تفاصيل الصوت ، والذوق يدرك من تفاصيل المذاق في المرة الثانية
ما لا يدركه في المرة الأولى .

٢ - كونه^(٢) قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن ، إما مطلقاً
لتكرره على الحس ، كما تقدم من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، وإما عند حضور
المشبه ، لقرب المناسبة ، كما تشبه الضبة الكبيرة السوداء بالإجاصة في الشكل
والمقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز .

(١) على جهة التمييز أو الجر بفي .

(٢) أي ليس جليلاً ، بل فيه تفصيل ، لكنه قليل .

والبعيد الغريب مما يحتاج في الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودقة نظر ، لحفاء وجهه .

وسبب خفاء الوجه ^(١) أحد أمرين :

١ - كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ، فإن هذه الهيئة لا تقوم في نفس الرائي المرآة الدائمة الاضطراب ، إلا أن يتمهل في نظره ويستأنف التأمل ملياً حتى يتجلى له وجه الشبه فيها .

٢ - ندور حضور المشبه به في الذهن ، إما عند حضور المشبه لبعده المناسبة بينهما ، كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإما مطلقاً لكونه وهمياً كما سبق من تشبيه نصاب السهام بأنياب الأغوال ، أو مركباً خيالياً كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد ، أو مركباً عقلياً كما في تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً .

تنبيهات

١ - يراد بالتفصيل أن ينظر في الأوصاف واحداً فواحداً ، ويفصل بعضها من بعض بعد التأمل ، وينظر في الشيء الواحد لغير جهة ، ويقع ذلك على ضروب ، أشهرها :

(أ) أن يؤخذ بعض ويترك بعض ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حملت رُدينياً كأن سنانه سنا لـب لم يتصل بدخان ^(٢)

فقد اعتبر في اللب والشكل واللون واللمعان ، ونفى اتصاله بالدخان .

(ب) أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله (وقد تقدم) :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نوراً

(١) خلاصة ذلك أن الوجه يكون قريباً إذا كان مفرداً أو متعدداً أو مركباً حسياً ابتذل بكثرة الاستعمال ويكون غريباً إذا كان وهمياً أو خيالياً أو مركباً حسياً يجري على السنة الخاصة أو قادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه .

(٢) الرديني: ربح منسوب لردينه ، وهي امرأة صناع كانت تجيد صنع الرماح ، والسنا : الضوء والاشراق .

فإنه قد لاحظ في الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على مسافة مخصوص في القرب ، ثم نظر الى مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحظة .

وكلما كان التركيب (خيالياً كان أو عقلياً) من أمور أكثر كان التشبيه أبعد لكون تفاصيله أكثر .

٢ - التشبيه البليغ هو البعيد الغريب لغرابته ، ولأن الشيء إذا نبيل بعد طول الاستيقاق اليه كان نبيله أحلى وموقعه من النفس أطف ، كما قال الجاحظ : يذكر ما في الفكر والنظر من الفضيلة ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بقطع (١) الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه .

٣ - ربما تصرف الفطن الحاذق بصناعة الكلام في القريب المبتذل فجعله بديعاً ناسداً وغريباً لا ترتقي اليه أفكار العامة ، كأن يشترط في تمام التشبيه وجود وصف لم يكن ، وانتفاء وصف قد كان ولو ادعاء ، ويسمى التشبيه المشروط ، وذلك على ضربين ، منها :

١ - أن يكون كقول المتنبي :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء (٢)

فتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل يستوي فيه الخاصة والعامة ، لكن حديث الحياء وما فيه من الدقة والحفاء أخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه به قول أبي نواس :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت
حقهم بأقلاع فيمنعها
الى ندادك فقاسته بما فيه
خوف من السخط من إجلال مذهبها

٢ - أن يكون كقول الطوطا :

عزماته مثل النجوم ثواباً
لو لم يكن للشاقيات أفول (٣)

(١) قطع : لحس .

(٢) تلق إما بمعنى تبصر ، فالتشبيه غير مصرح به ، وإما من لقيته بمعنى قابلته وعارضته ، فهو فعل يدل على التشبيه ، وهو تشبيه مقلوب ، إذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس ، لا العكس .

(٣) العزمات جمع عزمة ، وهي المرة من العزم ، والثواقب اللوامع .

فقد شرط لتمام المماثلة بين النجوم وبينه عدم مغيبها ، ونظيره قول البديع الهمداني :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طلاق الحميا يطر الذهبا
٣ - أن يكون كقول ابن بابك :

ألا يا رياض الحزن من أبقى الحمى نسيمك مسروق ووصفك منتحل
حكيت أبا سعد فنشرك نشره ولكن له صدق الهوى ولك الملل

٤ - أن يجمع بين عدة تشبيهات فيزداد بذلك لطفاً وعراة ، كقوله :
كأنما يبسم عن لؤلؤ أو فضة أو برد أو أقاح

المبحث التاسع في الكلام على أدوات التشبيه

أدوات التشبيه هي : الكاف ، و كان ، ومثل ، ونحوها مما يفيد معنى المماثلة والمشابة ، نحو : فجعلهم كمصف ما كول ، كأنهم الياقوت والمرجان ، وإنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء .. الى آخر الآية .

ويفرق بين الكاف وكان بوجوه :

(أ) أن الكاف يليها المشبه به ^(١) ، وكان يليها المشبه ، نحو :

الحليم كالجبل في سكونه كأنك سحبان فصاحة

(ب) أن الكاف تدل دائماً على التشبيه ، وكان تفيد التشبيه ، إذا كان خبرها جامداً أو مؤولاً به ، نحو :

وكان دجلة إذ تلاطم موجهها ملك يعظم خيفة ويبجل
وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقاً ، نحو :

كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة

(ج) التشبيه بكان أبلغ من التشبيه بالكاف ، لما فيه من التوكيد ، لتركيها من : الكاف ، وأن .

(١) قد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركباً نحو : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء .. الآية ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا ، ولا بمفرد آخر يتحمل تقديره ، بل المراد تشبيه حالها في تضارعتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن.

وقد ينوب عن الأداة ويفني عنها فعل من أفعال اليقين ^(١) أو الرجحان كعلم
وظن وحسب ، ويكون منبثاً عن حال التشبيه في القرب أو البعد ، ولا يعتبر
أداة ، بل الأداة محذوفة ، كقوله :

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سجا مزردة على أقمار ^(٢)

المبحث العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى :

١ - مؤكد ، وهو ما حذف أداته ، نحو : وهي تمر مر السحاب . وقوله :

هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم ^(٣)

ومنه ما أضيف المشبه به إلى المشبه ، كقوله :

فاضم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدده ضوء مصباح

٢ - مرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأداة ، نحو :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

التشبيه البليغ ^(٤)

هو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة ، وسبب تسميته
بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلها فيملأ المشبه
إلى مستوى المشبه به ، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه ، أما ذكر الأداة فيفيد
ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به ، كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه
وحصره في جهة واحدة .

ومن أمثله ما يأتي :

(١) إذ ادعى فيه كمال المشابهة وألفاظ الرجحان أن بعد التشبيه ، لما في الحسبان وغمره
من عدم التيقن .

(٢) الدرع ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب للوقاية ، والسحب : جمع سحابة ،
والزردة المنسوجة .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه ماثلاً .

(٤) هذه طريقة لبعضهم ، وتقدم أن بعضهم يسمي التشبيه البعيد الغريب بالبليغ .

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤه والنبت فيروزج والماء بلور
 طلعت بدوراً وانقبت أهلة ومسح غصوناً والتفتن جاذراً
 فاقضوا ما ربكم عجلاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

التشبيه الضمني^(١)

هو ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة ، بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث كقوله :

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قنة الجبل
 فإنه قد شبه الممدوح المفهوم من ضمير علا بقنة الجبل ووجه الشبه عدم استقرار شيء والأداة محذوفة ، ونحوه قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
 وقول الطغرائي :

مجسدي أخيراً ومجسدي أولاً شرع
 والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل^(٢)

المبحث الحادي عشر في الفرض من التشبيه

الفرض من التشبيه وهو الإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار يعود في الأغلب (في التشبيه غير المقلوب) إلى المشبه لوجوه ، منها :

١ - بيان إمكانه ، إذا كان أمراً غريباً لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثل ، كقول البحتري :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً فشأنك المجدار وارتفاع
 كذلك الشمس تبعد أن تسامي ويدنو الضوء منها والشعاع

فحين أثبت للمدح صفتين متناقضتين ، هما القرب والبعد ، وكان ذلك غير ممكن في مجرى العرف والعادة ، ضرب لذلك المثل بالشمس ، ليبين إمكان ما قال .

(١) سمي ضمناً لأنه يفهم ضمن القول وسياق الكلام .

(٢) شرع أي سواء ، ورآد الضحى : ارتفاعه ، والطفل : احمرار الشمس عند الغروب .

٢ - بيان حاله ، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه ، كقول النابغة
يمدح النعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب
فالوجه عظم حال النعمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به .

ويكثر استعماله على هذا النحو في العلوم والفنون للإيضاح والبيان لتقريب
الحقائق إلى أذهان المتعلمين ، كما يقال لهم : الأرض كالكرة ، والذئب كالكلب
في الحجم .

٣ - بيان مقدار حاله في القوة والضعف إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه
فيه يعرف مقدار نصيبه ، كقول الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لا ريث ولا عجل^(١)

٤ - تقرير حاله في نفس السامع ، بإبرازها فيما هي فيه أظهر وأقوى ،
ويكثر في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس كقولك للمشتغل بما لا فائدة
فيه : أنت كالراقم على الماء ، إذ بالتشبيه يظهر أنه قد بلغ من الخيبة أقصى القاية
وكقول المتنبي :

من ين يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إيلام^(٢)
وقوله :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجاة كسرها لا يحبر

٥ - تزيين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه ، كقول ابن المعتز يصف الهلال :

أهلاً بفطر قد أثار هلاله فالآن فاغد على الشراب وبكر
انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر^(٣)

٦ - تشويه المشبه وذمه ليكره ويرغب عنه ، نحو :

كلف في شحوب وجهك يحكي نكتاً فوق وجنة برصاء

(١) الريث : البطء .

(٢) فيه تشبيه ضماني إذ قد شبه حال من يقبل الهوان بحال الميت يجمع عدم التأثير ، وذلك
مفهوم ضمناً .

(٣) الحمولة : ما يحمل فيه ويوضع ، والوجه وجود شيء أسود في داخل شيء أبيض .

وقوله في ذم القصر :

وترى أناملها دبّت على أوتارها كخفافس دبّت على أوتار

٧ - استطرافه وجعله مستحدثاً بديعاً إما لإبرازه في صورة ما يمتنع عادة كما يشبه الجمل الموقد يبحر من المسك موجه الذهب وإما لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه كقول ابن الرومي في تشبيهه بنفسه :

ولازوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حمر اليواقيت
كانها بين قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت^(١)

قال الإمام عبد القاهر: فقد أراك شبيهاً لنبات غض يرف^(٢) وأوراق رطبة من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس يجمع له كانت صيانة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر .

ونحوه قول عدي ابن الرفاع يصف قرن غنان :

تزعج أغن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مداها

وقد يعكس التشبيه (فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس) ، وعندئذ يجعل الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً ، ويشبه الزائد بالناقص للمبالغة ، وإيهام أن المشبه أقوى وأتم من المشبه به في وجه الشبه ، فتعود الفائدة حينئذ إلى المشبه به لا إلى المشبه ، كقول محمد ابن وهيب يمدح المأمون :

وبدا الصباح كأن غرقه وجه الخليفة حين يمتدح^(٣)

فقد جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأتم من غرة الصباح في الإشراق والضياء ، وقوله :

وأرض كأخلاق الكريم قطعها وقد كحل الليل السهاك فأبصرا

(١) الوار وار وب ، واللازوردية أزهار من البنفسج ، وحمر اليواقيت الأزهار ، والقامات السيقان ، وضعفن بها : أي ضعفن عن حملها .

(٢) يرف : يهتز .

(٣) في قوله يمتدح : دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه لدى الحاضرين بالاصفاء اليه حيث يرتاح لسماع المدائح وتظهر عليه علامات البشر والسرور .

وذلك أنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق وبالسمة ، تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم بادعاء أنه في السمة أكمل من الأرض المتباعدة الأطراف ، وقوله تعالى حكاية عن مستعطي الربا : إنما البيع مثل الربا ، إذ مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع ، لكنهم خالفوا ذلك ذهاباً منهم الى جعل الربا في الحل أقوى حالاً من البيع .

ومنه قول البحري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من ثنيتها
وقوله في وصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديا

وكل هذا إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة ، أو ادعاء بالزائد فيه فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر جاز التشبيه ، ولكن الأحسن تركه والمدول الى التشابه ليكون كل من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كما فعل أبو إسحاق الصابي في قوله :

تشابه دمعي إذ جرى ومُدامتي فن مثل ما في الكاس عيني تسكب
فوالله ما أدري أباخمر أسلبت جفوني أم من عبرتي كنت أشرب^(١)

ويحوز التشبيه أيضاً كتشبيههم غرة الفرس بالصبح وعكسه متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه ، من غير قصد ، الى المبالغة في وصف الغرة بالضياء وفرط التلألؤ ، ونحو ذلك ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال ابن المعتز :

وكان الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب

وعكسه متى أريد استدارة متلألئة متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرآة ، والدينار وبين الجرمين ، إذ ليس شيء من ذلك بمنظور اليه في التشبيه .

(١) سكب الدمع : إرساله ، وأسبل الدمع والمطر إذا هطل .

المبحث الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الغرض

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى : حسن وقبيح ، أو : مقبول ومردود :

١ - فالحسن هو الوافي ^(١) بإفادة الغرض المطلوب منه ، وذلك هو النمط الذي تسمو اليه نفوس البلغاء ، كقول امرئ القيس يصف فرساً :

على الذبل جياش " كأن اهتزاه إذا جاش فيه حمية غلى مرجل ^(٢)

وقول ابن نباتة في وصف فرس أغر أبلق :

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقنص منه فخاض في أحشائه
وقول الآخر :

نشرت إلي غدائراً من شعرها حذر الكواشح والعد والموبق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باقا تحت ليل مطبق ^(٣)

٢ - والقبيح هو ما لم يف بالغرض لعدم وجود وجه شبه بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده ، لكن على بعد ، وما أحق مثل هذا بالاستكراه والذم ، وأي شيء أولى بنفور الطبع السليم منه ، وذلك كقول أبي نواس يصف الخمر :

وإذا ما الماء واقمها أظهرت شكلاً من الفزك
لؤلؤات ينحدرن بها كأنحدار الذر من جبل

فهذا تشبيه بعيد ركيك ، غث اللفظ بشعه ، فهو قد شبه الحبيب بنمل صفار ينحدر من جبل ، وشبهه به قول الفرزدق :

يمشون في حلق الحديد كما مشت جرب الجمال بها الكحيل المشمل ^(٤)

(١) وذلك بأن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو مقدار الحال ، أو أتم شيء فيه إذا قصد إلحاق الناقص بالكمال ، أو مسلم الحكم معروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .

(٢) الذبل والذبول : الضمور وقلة اللحم ، والاهتزاز : التكرس ، والحمي : حرارة القيظ ، والمرجل : القدر .

(٣) الكاشح الذي يضر المدارة ، والموبق المهلك .

(٤) الكحيل : القطران ، تطل به الابل ، والمشمل : الكثير .

فقد شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب ، وذلك من البعد بمكان لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما فيه ، فإن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخف ، ونحوه قول المتنبي :

وجرى على الورق النجيع القاني فكأنه النارنج في الأغصان^(١)
إذ لا مشاكلة بين لون الدم ولون النارنج .

تدليل

وفيه أمران :

١ - التشبيه ، باعتبار المبالغة أقسام ثلاثة :

(أ) أعلاها ما حذف فيه الوجه والأداة ، نحو : محمد أسد .

(ب) المتوسط في المبالغة ، وهو ما حذف فيه الوجه ، أو الأداة ، نحو : علي كالبدر ، أو : علي بدر في الحسن والبهاء .

(ج) أدناها ما ذكر فيه الوجه والأداة ، نحو : علي كالأسد في الشجاعة .

ذاك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهراً^(٢) ، أو بجمل المشبه به على المشبه وإيهام أنه هو ، فما اشتمل على الوجهين معاً فهو في غاية القوة ، وهو القسم الأول ، وما خلا منها معاً ، فلا قوة له ، وهو القسم الثالث ، وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط ، وهو القسم الثاني .

٢ - اختلف القوم في التشبيه ، أيعد من المجاز أم لا ؟ فأهل التحقيق قالوا : الطرفين مستعمل في موضوعه .

وذهب ابن الأثير إلى أنه مجاز وحجته أن مضمرة الأداة من التشبيه معدود في الاستعارة فيجب أن يكون مظهرها كذلك إذ لا فرق بينهما إلا بظهور الأداة وظهورها إن لم يزد قوة ودخولاً في المجاز لم يكن مخرجاً له عن سننه ، كذا في « الطراز » بتصرف .

(١) النجيع : الدم الطري ، يريد أنه جرت دماء القتلى على ورق الشجر .

(٢) إنما قلنا ظاهراً لأن الوجه لا بد أن يكون صفة خاصة قصد اشتراك الطرفين فيها كالشجاعة ونحوها ، لكن قولك : كالأسد ، يفيد أن وجه الشبه عام في أوصاف كثيرة ، كالشجاعة والمهابة والقوة وكثرة الجري ، إلى غير ذلك من أوصاف الأسد .

أثر التشبيه في النفس

قال المبرد في «الكامل» : التشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ، قال الله عز وجل وله المثل الأعلى في الزجاجة : ﴿ كَانَهَا كوكبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (١) .

وقال أبو هلال في «الصناعتين» : التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والمعجم عليه ، ولم يستغن أحد عنه .

وسر هذا أن للخيال نصيباً كبيراً فيه ، فهو يفتن حتى لا يقف عند غلية ، وأنه يعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلالها ، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجهله ، الى شيء قديم الصحة ، طويل المعرفة ، وغير خاف ما لهذا من كثير الخطر ، وعظيم الأثر .

انظر قوله ~~في ذم من يعلم الخير ولا يعمل به~~ : « مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس وهو يحترق » .

وإنك لترى فيه تشنيع حال من اقتصف به ، وكأنك تشاهد النار وهي تعلق به وتأخذ منه بالنواصي والأقدام .
وتأمل قول أبي العلاء المعري :

إن الشبية نار إن أردت بها أمراً فبادره إن الدهر مطفيها
تجده جعل عزيمة الشباب الوثابة المنحفزة للعمل كالنار ، يمتد لهيبها ، ويشتد أوارها ، لكنها لا تلبث حتى تخمد جذوتها ، وينطفئ ذلك اللهب المتقد ، ومن ثم طلب الى الشباب البدار الى نيل المآرب ، وعدم التواني في درك المقاصد .
وإلى قول مهيार الديلمي :

وبعض مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق ديب
تره صور بعض المودات بصورة عقارب ، تسير في الظلماء على غير هدى ، وتنفت سمومها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً .

(١) سورة النور الآية ٣٥ .

وكلما كان عمل الخيال أكثر ، كانت صورته أعجب ، والنفس به أطرب ،
ولن نجد تلك الروعة وذلك الجمال في تشبيه المحسوسات بعضها ببعض ، فتشبيه
ابن المعتز للشمس بالدرهم المضروب في قوله :

وكان الشمس المنيرة ديناً ر جلته حدائد الضراب

وللهلال بالزورق من الفضة التي حملته من عنبر في قوله :

فانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

أقل جمالاً من ذلك الذي تقدم ، وليس له في النفس أريحية ، ولا تأخذها منه
هزة ، والتشبيهات المستعملة ، في العلوم والفنون ، ما هي إلا وسيلة من وسائل
الإيضاح لكشف ما يخفى من الحقائق .

قال صاحب « الصناعتين » : والطريق المسلوكة والمنهج القاصد في التمثيل
عند القدماء والمحدثين - تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ،
والحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضي بالسيف ، والعالي الرتبة بالنجم ،
والحليم الرزين بالجبل ، والقاسي بالحديد والصخر ، والبليد بالجماد ،
والثيم بالكلب .

وشهر قوة بخصال محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً ، فبحروا بحرى ما قدمناه
كالسموم^(١) في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف^(٢) في الحلم ، وسحبان
في البلاغة ، وقس^(٣) في الخطابة ، ولقمان^(٤) في الحكمة .

وآخرون بأضدادها فشبّه بهم في حال الذم ، كباقل^(٥) في العي ، وهنقة^(٦)
في الحق ، والكسعي^(٧) في الندم ، ومادر^(٨) في البخل .

(١) هو ابن حبان اليهودي .

(٢) من سادات التابعين .

(٣) هو قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب .

(٤) هو حكيم اشتهر بأصالة الرأي في القول والعمل .

(٥) اشتهر بالعي وعدم الإبانة عن مراده .

(٦) هو يزيد بن ثروان من قيس .

(٧) هو غامد ابن الحرث .

(٨) مغارق الهلالي سقى إليه فبقي في الحوض قليل فسلح فيه ومدد الحوض به .

الرقم	الأداة	أقسامه باعتبارها المذهب	أقسامه باعتبارها	المثلية به	أقسامه باعتبارها	الوجه	أقسامه	الفرض
١	كان	مرسل	محموس مفرد	زجاج	مفرد محموس	سرعة الكسر	معمل غير مثيل	بيان حاله
٢	يشابه	مرسل	محموس مفرد	الهلل	مفرد محموس	البهجة والحسن	معمل غير مثيل	بيان مقدار حاله
٣	كان	مرسل	مفرد	نجوم	مركب محموس	نقد الأحسن	معمل غير مثيل	بيان حاله
٤	كان	مرسل	مركب	مفرد	مركب محموس	تقدم واحد	معمل مثيل	بيان حاله
٥	مثل	مرسل	مفرد معقول	الشمس	مفرد محموس	من بين الأشياء الهداية	معمل غير مثيل	بيان حاله
٦	الكاف	مرسل	مفرد معقول	الطفل	مفرد محموس	تحكم العادة	معمل غير مثيل	بيان مقدار حاله
٧	عوضه يؤكد	الشباب	مفرد معقول	الحمل	مفرد محموس	السرعة	معمل غير مثيل	بيان مقدار حاله

تدريب أول

يبين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل منها فيما يلي :

- ١ - تحطمتنا الأيام حتى كأننا
- ٢ - ولم أر مثل هالة في معد
- ٣ - كان بني نبهان يوم وفاته
- ٤ - كان سمبلا والنجوم وراءه
- ٥ - العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك
- ٦ - والنفس كالطفل إن تهمله شب على
- ٧ - وتراكموا خيل الشباب وبادروا

تدريب ثان

- ١ - وقصائد مثل الرياض أضعفها
 - ٢ - انظر الى حسن هلال بدا
 - ٣ - والدمر كالبحر لا ينفك ذا كدر
 - ٤ - فإذا ركبت فإنني زبد الفوارس في الجلال
- وإذا نطقت فإنني قس^(١) بن ساعدة الإيادي^(٢)

(١) المهندس : الليل الشديد الظلمة ،

(٢) زيد الفوارس : زيد الحليل ، أحد الصحابة ، كان له خمس أفراس ، سماه رسول الله : زيد الخير ، وقس أحد خطباء العرب .

- ٥ - والبدر في أفق السماء كغداة بيضاء لاحت في ثياب حداد^(١)
- ٦ - والليل في لون الغراب كأنه هو في حلوكته وإن لم ينمب^(٢)
- ٧ - قال علي^١ كرم الله وجهه: مثل الذي يعلم الخير، ولا يعمل به، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه.
- ٨ - قال صاحب «كليلة ودمنة»: الدنيا كالماء المالح، كلما ازدادت منه شرباً، ازدادت عطشاً.

الاجابة

- (١) المشبه القصائد، مفرد محسوس، المشبه به الرياض مفرد محسوس الأداة مثل، وهو تشبيه مرسل، الوجه الحسن والجمال، مجمل غير تمثيل الغرض تزيين المشبه.
- (٢) المشبه الهلال مفرد محسوس مقيد، المشبه به المنجل مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف، تشبيه مرسل، الوجه إزالة شيء مظلم، مجمل غير تمثيل تزيين المشبه.
- (٣) المشبه الدهر مفرد معقول، المشبه به البحر مفرد محسوس، الأداة الكاف تشبيه مرسل، الوجه الكدر غالباً مجمل غير تمثيل، الغرض بيان حاله.
- (٤) المشبه ضمير المتكلم مفرد محسوس، المشبه به زيد الفوارس مفرد محسوس والأداة محذوفة مؤكدة، الوجه الجلال مفصل غير تمثيل، الغرض بيان حال المشبه ومثله البيت الثاني.
- (٥) المشبه البدر مفرد مقيد محسوس، المشبه به حسناء في ثياب حداد مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف مرسل، الوجه بياض يعلوه سواد مجمل غير تمثيل والغرض بيان مقدار حال المشبه به، وهو تشبيه مقلوب.
- (٦) المشبه ضمير الليل مفرد محسوس، المشبه به الغراب مفرد محسوس، الأداة كان، مرسل، الوجه الخلوكة والسواد مفصل غير تمثيل، الغرض بيان مقدار حاله.

(١) الحداد: الحزن.

(٢) النعيب: صرت الغراب، والخلوكة: السوداء.

٧ - المشبه الذي يعلم الخير ولا يعمل به مفرد مقيد محسوس ، المشبه به السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه مفرد مقيد محسوس ، الأداة مثل تشبيه مرسل ، الوجه نفع غيره وحرمان نفسه ، مجمل غير تمثيل الغرض تقييح حال المشبه .

٨ - المشبه الدنيا مفرد محسوس ، المشبه به الماء المالح مفرد مقيد محسوس ، الأداة الكاف وهو تشبيه مرسل ، الوجه عدم الفائدة مجمل غير تمثيل ، الغرض تقييح حال المشبه .

تمرين أول

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل فيما يلي :

- ١ - ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
- ٢ - الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
- كأنها بوقفة أحميت يحول فيها ذهب ذائب
- ٣ - كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
- رياض بنفسج خضل نداه تفتح فيه أنوار الأقاحي^(١)
- ٤ - قال علي كرم الله وجهه : إنه لم يبق من الدنيا إلا كإناخة راكب أو صر حالب .
- ٥ - قال صاحب «كليلة ودمنة» : من صنع المعروف لعاجل الجزاء فهو كملقي الحب للطير لا لينفمها بل ليصيدها .
- ٦ - فأنهض بنار الى فحم كأنها في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا
- ٧ - فإن أغش قوماً بعده أو أزورهم فكألوحوش يدنيها من الانس المحل^(٢)
- ٨ - إذا أقبلت قيس كأن عيونها حديق الكلاب وأظهرت سياها^(٣)
- ٩ - بفرع ووجه وقد وردف كليل وبدر وغصن وحقق

(١) هما لابن المعتز في وصف سحابة ، وقيلها :

وموقرة بثقل الماء جاءت تهادي فوق أعناق الرياح

(٢) الانس محركا من تأنس به جمعه آفاس ولغة في الانس ، المحل : الجذب .

(٣) السيام والسيما : العلامة والهيئة .

تقرين ثان

- ١ - قال ~~عليه السلام~~ : « أمتي كالطير لا يدري أوله أم آخره » .
- ٢ - ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يُعشق
- ٣ - فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد
- ٤ - كان أثيراً في عرائين وبئله كبير أناس في يجاد مزمل^(١)
- ٥ - إني وتزيني بمسحى معشراً كعملق درأ على خنزير
- ٦ - قال صاحب « كلیلة ودمنة » : صحبة الأشرار تورث النثر كالريح اذا مرت على المنثر حلت ثقتاً ، وإذا مرت على الطيب حلت طيباً .
- ٧ - وما منع الضفائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا^(٢)
- ٨ - إذا قامت حاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران
- ٩ - ثغر وخد ونهد واحمرار يد كالطلع والورد والرمان والبلح

(١) أثير : جبل ، وعرائين السحاب أوائل مطره ، والجناد : كساء مخطط .

(٢) القلة : مضرب الكرة .

الباب الثاني في الحقيقة والمجاز

وفيه عشرون مبحثاً وتتمه

المبحث الأول في أقسام الحقيقة

الحقيقة التي نبحث عنها هنا ^(١) ضربان: حقيقة من طريق اللغة ، وحقيقة من ناحية المعنى والمعقول - بيان هذا أنا إذا وصفنا كلمة مفردة بكونها حقيقة ، كما إذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف ، واليد على الجارحة المخصوصة ، كان ذلك الاطلاق حكماً آتياً من ناحية اللغة ، ألا ترى أنا نقول : إن المتكلم استعمل الكلمة فيما وضعت له ابتداء في اللغة ، وإذا وصفنا بالحقيقة الجملة من الكلام كان ذلك الوصف آتياً من جانب المعقول دون اللغة ، لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث إنها جمل لا يصح ردها الى اللغة ، ولا وجه لنسبتها الى واضعها ، لأن التأليف هو إسناد فعل الى اسم ، أو اسم الى اسم ، وذاك شيء يحصل بقصد المتكلم ، فمثلاً كتب لا يصير خبراً عن محمد في قولك محمد كتب بوضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الكتابة فعلاً له ، كذا في «أسرار البلاغة» بتصرف .

المبحث الثاني في تعريف الحقيقة

الحقيقة في اللغة فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء اذا ثبت ، أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبتته ، ثم نقل الى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي والتاء فيها للنقل من الوصفية الى الاسمية .

وقد علمت مما سبق أن الحقيقة التي نبحث عنها ضربان : حقيقة لغوية ، وحقيقة عقلية .

(١) أما بقية أنواع الحقائق فلا يهم علماء الفصاحة البحث عنها .

١ - فاللفوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت ^(١) له في إصلاح التخاطب ، فخرج بقولنا المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا تسمى حقيقة ولا مجازاً ، ويقولنا فيما وضعت له اللفظ ، نحو : خذ هذا الكتاب ، مشيراً الى مسطرة ، والمجاز الذي لم يستعمل فيما وضع له ، لا في اصطلاح التخاطب ، ولا في غيره ، كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع ، لأن الاستعارة وإن كانت موضوعة فوضعها تأويلي ، أي يحتاج الى قرينة لا تحقيقي ، والمفهوم من إطلاق الوضع التحقيقي وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينة ، ويقولنا في اصطلاح التخاطب المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي وقع به التخاطب كالزكاة اذا استعملها الشرعي في البناء ، فإنها تكون مجازاً لأنها لفظ استعمل في غير ما وضع له في اصطلاح الشرع ، وهو الجزء المخصوص الذي يؤخذ من المال ، ويعطى للسائل والمهروم ، وإن كان مستعملاً فيما وضع له في اصطلاح اللغة ، فلولاً هذا القيد لتناول تعريف الحقيقة والمجاز .

٢ - والعقلية هي إسناد الفعل ، أو ما في معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، أي إسناد الفعل ، أو ما في معناه ، وهو المصدر واسم الفاعل ، واسم المفعول والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والظرف ، إلى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر ^(٢) حاله بالألا ينصب قرينة على أنه غير ما هو له في اعتقاده ، ومعنى كونه له أن حقه أن يسند اليه لأنه وصف له وذلك كإسناد الفعل المبني للفاعل الى الفاعل ، وإسناد الفعل المبني للمفعول ، وستأتي الأمثلة عند ذكر أقسامها ، وهي أربعة :

١ - ما يطابق الواقع والاعتقاد معاً كقول الموحّد : خلق الله العالم .

٢ - ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ولا يكاد يوجد له مثال ومثّلوا له بقول المعتزلي لمن لا يعرف حقيقة حاله وهو يخفيها عنه (خلق الله الأفعال كلها)

(١) الوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ، فخرج بقولنا بنفسه المجاز ، لأن دلالة بالقرينة ، ودخل المشترك ، لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحدهما بالتعيين لما وض لا ينافي ذلك ، فالقر ، مثلاً عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه وأخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فهو موضوع لكل منهما على وجه الاستقلال .

(٢) سيأتي إيضاح ذلك في المجاز .

إذ هو لا يعتقد ذلك ، وإنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بكسب العبد واختياره .

٣ - ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول الطبيعي ، المنكر لوجود الإله : شفى الطبيب المريض ، وعليه قوله تعالى ، حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما هلكنا إلا الدهر ﴾ (١) .

٤ - ما لا يطابق شيئاً منها كالأقوال الكاذبة التي يكون المتكلم عالماً بمخالها دون المخاطب ، كما تقول : سافر محمد ، وأنت تعلم أنه لم يسافر ، فلو علمه المخاطب كما علمه المتكلم لما تعين كونه حقيقة لجواز (٢) أن يحمل المتكلم علم السامع بأنه لم يسافر قرينة على عدم إرادة ظاهرة ، فلا يكون إسناداً إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

المبحث الثالث في تعريف المجاز وأقسامه

المجاز مفعل واشتقاقه من الجواز وهو التمدي من قولهم : جزت موضع كذا ، إذا تمديته ، سمي به المجاز الآتي بيانه لأنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

وفي الاصطلاح قسمان : مجاز عقلي ، ولغوي ، والأول سنتكلم عنه بعد ، والثاني ضربان : مفرد ومركب ، فالمركب سيأتي بيانه .

والمفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة (٣) بين الثاني والأول مع قرينة (٤) تمنع إرادة المعنى الأصلي ، كالأسد المستعمل في الشجاع ، والقيث المستعمل في النبات ، فخرج بقولنا : الكلمة المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا هي حقيقة ولا مجاز ، وبقولنا :

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢) فيكون مجازاً عقلياً إن كان الاسناد إلى محمد للابسة كأن كان محمد سبياً في سفر المسافر حقيقة ، أو يكون حقيقة كاذبة إذا كان التكلم لم يحتمل علم السامع قرينة على أنه لم يرد ظاهراً .

(٣) هي بفتح العين على الأنصح ، وسميت كذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالمعنى الأول .

(٤) هي ما يفصح عن المراد من اللفظ وسباني أنها تارة تكون لفظاً وتارة تكون غيره .

في غير ما وضعت له الحقيقة ، وبقولنا : في اصطلاح التخاطب الحقيقة التي لها معنى آخر في اصطلاح التخاطب كالزكاة إذا استعملها المتكلم باصطلاح اللغة في التاء ، فإنها يصدق عليها أنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن باصطلاح آخر ، وهو اصطلاح الشرع لا اصطلاح المتكلم ، وهو اللغة ، فلولا هذا القيد لأمكن دخول هذه الحقيقة في تعريف المجاز ، وبقولنا الملاحظة : علاقة ، وهي المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه ، الفلظ كالكتاب إذا استعمل في المسطرة غلطاً في نحو قولك : خذ الكتاب ، مشيراً الى مسطرة ، فإنه ليس فيه علاقة ملحوظة ، وبقولنا : مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة الموضوع له .

وينقسم الى : مجاز مرسل واستعارة ، لأن العلاقة المصححة للتجاوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل ، وإلا فاستعارة .

المبحث الرابع في المجاز المرسل^(١)

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة ، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة ، وبواسطتها تصل الى المقصود بها .

ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها اليه ومن ثم لا تقول : اقتنيت يداً ، ولا اتسعت اليد في المد ، كما تقول : اقتنيت نعمة ، وكثرت النعمة في البلد ، وإنما تقول : جلست يده عندي ، وكثرت أياديه لدي ، أو ما شابه ذلك .

ومن هذا قوله ~~عنه~~ لأزواجه : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » ، إذ المراد بسط اليد بالمطاء والبذل .

ونظير ذلك اليد إذا استعملت في القدرة ، لأن أجلى مظاهرها وأحكمها في اليد ، ألا ترى أن بها البطش والتككيل والأخذ والقطع والرفع والوضع ، الى غير ذلك من أفعالها التي ترشدك الى وجوه القدرة ومكانها .

(١) سمي بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بملاقة خاصة .

ومن هذا النمط الأصبع في قولهم لراعي الإبل إن له عليها إصبعا ، أي أثراً حسناً ، كما قال الراعي يصف راعياً :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا
دلوا على أثر المهارة والحذق بالأصبع من قبل أنهم لا يظهرون في عمل اليد
إلا في حسن التصريف الأصابع وخفة رفعها ووضعها كما يظهر ذلك في الخط
والنقش وغيرهما من دقائق الصناعات .

وعلاقات هذا المجاز كثيرة ، أشهرها :

١ - السببية ، وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في شيء آخر ،
نحو : رعى جوادي المطر ، أي الكلأ ، الحادث بالقيث .

٢ - المسببية ، وهي كون المنقول عنه مسبباً ومتأثراً من شيء آخر ، نحو :
أمطرت السماء نباتاً ، أي ماء ، به يوجد النبات ، وتناولت كأس الشفاء ، أي
الدواء ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾ ^(١) ، أي مطراً
يسبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ^(٢) ، أي
سلاح يحدث القوة والمنعة .

٣ - الكلية ، وهي كون الشيء متضمناً لشيء آخر ولغيره ، كالأصابع
المستعملة في الأنامل في قوله تعالى : ﴿ يجهلون أصابعهم في آذانهم ﴾ ^(٣) ، أي
رؤوس أناملهم ، ونحو : شربت ماء النيل ، أي بعضه ، والقرينة : شربت ،
وسكنت مصر ، أي منزلاً من منازلها ، والقرينة : سكنت .

٤ - الجزئية ، بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على
الربيشة ^(٤) لكونها هي المقصودة في كون الرجل ربيشة ، لأن ما عداها لا يعني
شيئاً مع فقدها ، فصارت كأنها الشخص كله ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ قم الليل
إلا قليلاً ﴾ ^(٥) أي صل ، وقوله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ أي لا تصل .

(١) سورة غافر الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩ .

(٤) هو الشخص يطلع على عورات العدو في مكان عال ، وهو أيضاً الجاسوس .

(٥) سورة المزمل الآية ٢ .

وقولهم : قال فلان اليوم كلمة نالت استحسان الجميع ، أي كلاماً مفيداً .
وشروط هذه العلاقة أمران :

(أ) أن يكون الكل مركباً تركيباً حقيقياً .

(ب) أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كما في إطلاق الرقبة ، أو الرأس ، على الإنسان دون إطلاق الظفر أو الأذن مثلاً ، أو أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما في إطلاق اليد على المعطى والعين على الربيضة ، أو أن يكون أشرف أجزائه ، كما في إطلاق القافية على القصيدة في قول ممن بن أوس :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني^(١)

٥ - الملزومية ، وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الشمس على الضوء في قولك : دخلت الشمس من الكوة ، والقرينة على ذلك : دخلت .

٦ - اللازمية^(٢) ، وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الحرارة على النار ، وإطلاق الضوء على الشمس في قولك : انظر الحرارة ، أي النار ، وطلع الضوء ، أي الشمس ، والقرينة على ذلك : نظر وطلع .

٧ - اعتبار ما كان ، وهو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي ، نحو : شربت بنأ جيداً ، تريد قهوة بن ، ونحو : مشيت اليوم في شارع بلاق ، تريد شارع ٢٦ يوليو قبل تغيير الاسم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾^(٣) ، سمي الذين أمرنا بإيتائهم أموالهم حال البلوغ : يتامى ، لما كانوا عليه من اليتيم ، ونحوه : ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا ﴾^(٤) ، سماه مجرمًا باعتبار الدنيا ، والقرينة على ذلك : شربت ، واليوم ، وآتوا ، ويأت .

(١) استند من السداد في الرأي أي استقام .

(٢) المعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك .

(٣) سورة النساء الآية ٢ .

(٤) سورة طه الآية ٧٤ .

٨ - اعتبار ما سيكون ، وهو النظر الى الشيء بما سيكون عليه في الزمن المستقبل ، نحو : غرست اليوم شجراً ، وأنت تعني بذوراً ، وطحنت خبزاً ، أي قمحاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ ^(١) أي صائراً الى الكفر والفجور ، وقوله تعالى : ﴿ إني أراي أعصر خيراً ﴾ ^(٢) أي غلباً يؤول عصيره الى الحمرة ، والقرينة على ذلك الحالية في الأول ومقالية في الباقي ، وهي طحن وبلد وأعصر .

٩ - الحالية ، وهي كون الشيء حالاً في غيره نحو : نزلت بالقوم فأكرموني أي بدارهم ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ ^(٣) ، أي في الجنة التي هي محل الرحمة ، والقرينة : نزل و (هم فيها خالدون) .

١٠ - المحلية ، وهي كون الشيء محل فيه غيره ، نحو : انصرف الديوان ، أي عماله ، وحكمت المحكمة أي قضاتها ، وأقرت المدرسة توزيع الجوائز على النابقين أي ناظرها ، والقرينة على ذلك : انصرف ، وحكمت ، وأقرت .

وقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ ^(٤) ، أي أهل النادي ، وقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ ^(٥) أي القدرة ، وقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ ^(٦) أي عقول ، وقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ ^(٧) أي ألسنتهم ، والقرينة : انصرف وحكمت ويدعو ويبيده ويفقهون ويقولون .

١١ - الآلية ، وهي كون الشيء آلة لإيصال أثر شيء الى آخر ، نحو : يتكلم فلان خمس ألسن ، أي خمس لغات ، ونحو : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ ^(٨) ، أي بلغة قومه .

(١) سورة فوح الآية ٢٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٧ .

(٤) سورة الملق الآية ١٧ .

(٥) سورة الملك الآية ١ .

(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(٧) سورة آل عمران الآية ١٦٧ .

(٨) سورة إبراهيم الآية ٤ .

وقوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ ^(١) أي ذكر أجيالا ،
والقرينة : يتكلم ، وأرسلنا ، واجعل .

١٢ - العموم ، وهو كون الشيء شاملا لكثيرين ، كقوله تعالى :
﴿ أم يحسدون الناس ﴾ ^(٢) أي محمداً ~~عليه السلام~~ ، وقوله عز من قائل : ﴿ الذين
قال لهم الناس ﴾ ^(٣) يعني نعيم بن مسعود الأشجعي ، والقرينة على ذلك أن
الحسد ما كان إلا له ، وأن القائل ما كان إلا نعيما .

١٣ - الخصوص ، كإطلاق اسم الشخص على القبيلة ، نحو : ربيعة ، ومضر ،
وقريش ، وتميم .

١٤ - البديلية ، وهي كون الشيء بديلاً وعوضاً من شيء آخر ، نحو : قضيت
الدين في موعده ، أي أدبته ، وفي ملك فلان ألف دينار ، أي متاع يساوي ألفاً
ونحو : ﴿ إذا قضيت الصلاة ﴾ ^(٤) أي أدبتم ، والقرينة : في موعده في الأول
وحالية في الثاني والثالث .

١٥ - المبدلية ، أي كون الشيء مبدلاً من شيء آخر نحو : أكلت دم القليل
أي دبته ، كما قال عروة الرجال ، يخاطب امرأته متوعداً :

أكلت دماً إن لم أرُ عك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ^(٥)

١٦ - المجاورة ، وهي كون الشيء مجاور غيره ، فيطلق عليه اسمه كإطلاق
الراوية على القرية ، والثياب على النفس في قول عنتره :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم
وقد تكون المجاورة في الذكر فقط ، وتسمى المشاكلة ، نحو : اطبخوا لي
جبة وقبصاً .

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠٣ .

(٥) مهوى القرط : طول العنق ، قاله يتوعد زوجته بالزواج بأخرى حسنة جميلة ، وقيله :

أما لك عمر إنما أنت حية إذا هي لم تقتل تعش آخر العمر
ثلاثين حولاً لا أرى منك راحة لهنك في الدنيا لباقية العمر

١٧ - الدالية ، وهي كون الشيء يدل على شيء آخر ، نحو : فهمت الكتاب أي معناه ، كما قال المتنبي :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعت لأمر أمير العرب

١٨ - المدلولية ، وهي كون الشيء مدلولاً لغيره ، نحو : قرأت معناه مشغولاً بتقبيل ، تريد لفظه .

١٩ - إقامة صيغة مقام أخرى ، وتسمى هذه العلاقة بالتعلق الاشتقائي ، ويندرج تحت هذا أنواع :

(أ) إطلاق المصدر على اسم المفعول نحو : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ ^(١) أي معلومه .

(ب) إطلاق اسم المفعول على المصدر ، نحو : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ ^(٢) ، أي الفتنة .

(ج) إطلاق اسم الفاعل على المصدر ، نحو : ﴿ ليس لوقعها كاذبة ﴾ ^(٣) ، أي تكذيب ، أو على اسم المفعول نحو : ﴿ من ماء دافق ﴾ ^(٤) ، أي مدفوق ، ﴿ ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ ﴾ ^(٥) ، أي لا معصوم .

(د) إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾ ^(٦) أي آتياً ، ﴿ وحجاباً مستوراً ﴾ ^(٧) أي ساتراً .

تنبيهات

(١) ليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط ، فاللفظ اللبيب يعرف ما يناسب كل مقام فيصح أن يعتبر في إطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة بأن يتخيل أن الدال مجاور للمدلول ، أو علاقة الحالية نظراً إلى أن الدال محل

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٤ .

(٢) سورة القلم الآية ٦ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢ .

(٤) سورة الطارق الآية ٦ .

(٥) سورة هود الآية ٤٣ .

(٦) سورة مريم الآية ٦١ .

(٧) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

للدلول ، كما يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، أو علاقة السببية والمسببية ، أو نحو ذلك ، بحسب ما يهدي إليه الذوق ، ويرشد إليه الوجدان الصادق .

(٢) قد يكون اللفظ الواحد صالحاً لأن يكون بالنظر الى معنى واحد مجازاً مرسلًا واستعارة باعتبارين ، فإذا جاز مراعاة علاقتين أو أكثر فالمعول عليه هو ما لاحظته المتكلم ، فإن لم يعرف مقصده ، صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ، ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوة وأشدّها ملائمة للفرض ، ومن ثمة يرجح علاقة المشابهة على غيرها ، والمشابهة الحقيقية على الصورية ، فمثلاً المشفر اذا أطلق على شفة الإنسان ، فإن لوحظ في إطلاقه عليها المشابهة في الغلظ ، فهي استعارة ، وإن لوحظ أنه من إطلاق اسم المقيد على المطلق كان مجازاً مرسلًا .

(٣) قسم الإمام عبد القاهر هذا المجاز الى قسمين : خال من الفائدة ومفيد ، فالخالي منها ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً في أصل اللغة لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه كالمرسن الذي أصله للحيوان والشفة التي أصلها للإنسان ، والجحفة التي أصل وضعها للفرس ، اذا استعمل شيء منها في غير الجنس الذي وضعت له ، كقول العجاج : وفاحاً ومرسناً مسرجاً ، يريد أنفاً كالسراج ، وقول الآخر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ۞ ننزع من شفتيه الصفارا^(١)

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما اذا قصد التشبيه في الأمثلة الماضية ، كقولهم في الذم إنه لغلظ الجحافل وغلظ المشافر ، فإنه بمنزلة أن يقال كأن شفتيه في الغلظ مشفر البعير ، وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضيباً عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر

يريد : ولكنك زنجي ، كأنه لا يسمو فكره الى معرفة شرفي .

(٤) يلاحظ مما سبق أن اسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ، فإن كانت الجزء جعلت العلاقة الجزئية ، وإن كانت الكل جعلت الكلية ، وهكذا .

(١) شفتيه : اسم لإحدى شفتي البعير ، الصفار : يطلق على ما يبقى في أصول أسنان الدابة من تبين ونحوه .

أسرار البلاغة في المجاز المرسل

المجاز المرسل ضرب من التوسع أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز في القول
انظر قوله :

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان
تراه قد سلك طريقاً أرشد بها السامعين إلى أن مَنْ فقد الفصاحة والبيان ،
فكأنه فقد اللسان جملة ، وفي هذا من كمال المبالغة ما أنت تشعر به وتندوقه .
وهكذا تشاهد مثل هذا الخيال الرائع إذا أنت تأملت قوله :
إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
فإنك لتستبين منه أنه رعى الغيث ، وكأن النبات كله ماء .
وفي هذا كبير دلالة على أن النبات لا يحيا بدون الماء ، وعلى أن عليه حياة
الحيوان على وجه الأرض ، وأنه بدونه لا يعيش .

تدريب أول

بين المجاز المرسل ، وعلاقته فيما يلي :

- ١ - إن العدو وإن تقادم عهده فالحق بـاق في الصدور مغيب
- ٢ - ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾^(١)
- ٣ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنان يمين
- ٤ - ولم يبق سوى العدوا ن دنام كما دانوا
- ٥ - مكثنا في (النعيم المقيم)
- ٦ - ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾^(٢)
- ٧ - ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾^(٣)
- ٨ - ﴿ إنما يا كلون في بطونهم ناراً ﴾^(٤)

(١) سورة الأنعام الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٨ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠ .

الاجابة

- (١) في الصدور مجاز مرسل مفرد ، علاقته المحلية : لأن الصدور محل القلوب التي تتأثر بالحقد وغيره .
- (٢) في الأنباء مجاز مرسل ، علاقته : التعلق الاشتياقي ، إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالنبأ به ، أي الخبر به .
- (٣) في كلمة البنان مجاز علاقته الجزئية ، إذ المراد الكف ، وكذا في يمين مجاز علاقته السببية ، إذ المراد : ليس لها وفاء بالخوف عليه .
- (٤) في داهم مجاز مرسل علاقته المسببية ، إذ المراد : جاز بنام كما في المثل كما تدين قدان ، أي كما تفعل تجازي .
- (٥) في كلمة يمينه ، مجاز مرسل علاقته المحلية ، إذ المعنى : بقوته وقدرته .
- (٦) في كلمة القتلى ، مجاز مرسل علاقته ما سيكون ، إذ المراد : فيمن سيقتلون .
- (٧) في كلمة ناراً ، مجاز مرسل علاقته المسببية ، لأن أكل هذه الأموال يوصل الى النار .

تدريب ثان

- ١ - « ذلك بما قدمت أيديهم »
- ٢ - « فظلت أعناقهم لها خاضعين »
- ٣ - ناولني الطبيب جرعة الشفاء
- ٤ - « وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم »
- ٥ - بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام
- ٦ - لك القلم الأعلى الذي بشباته يصاب من الأمر الكلي والمفاصل^(١)
- ٧ - ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾
- ٨ - ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾

(١) الشبابة : حد السيف ونحوه ، والمراد هنا : حد القلم ، وإصابة الكلي كنية عن إصابة الصواب .

الكلمة	المراد	العلاقة	الكلمة	المراد	العلاقة
أيديهم	قدموا هم	الجزئية	أعناقهم	ظلوا هم	الجزئية
رعة الشفاء	جرعة الدواء	المسيبة	الأنهار	مياهاها	المحلية
بلادي	أهلها	المحلية	بشباته	ما تكتبه	الآلية
أهلكناها	أردنا إهلاكها	المسيبة	فاعتدوا عليه	جأوزه	السبية

تمرين أول

بيّن المجاز المرسل ، وعلاقته ، فيما يلي :

- (١) تنبت أرض مصر ذهباً .
- (٢) هذا خلق الله .
- (٣) ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾
- (٤) حفرنا الماء (البشر)
- (٥) قرأت شعر أبي العلاء
- (٦) ركبت القطار
- (٧) ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾
- (٨) يتخرج في المدرسة رجال ناقعون

تمرين ثان

- ١ - أصدق كلمة قالها لبيد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .
- ٢ - إذا الكفاة تنحوا أن يصيبهم
- ٣ - كفى بالمرء عيباً أن تراه
- ٤ - أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
- ٥ - ألا لا يجهل أحد علينا
- ٦ - وليست أيادي الناس عندي غنيمة
- ٧ - تسبل على حد الطببات نفوسنا
- حدّ الطببات وصلناها بأيدينا^(١)
- له وجه وليس له لسان
- فطالما استعبد الانسان إحسان
- فنجعل فوق جهل الجاهلينا
- ورب يد عندي أشد من الأسر
- وليست على غير الطببات تسيل

(١) الطببات : جمع ظبية ، حد السيف ، والمراد هنا : السيف جميعه .

٨ - أَلَا عَلَى مَعْنٍ وَقَوْلًا لِقَبْرِهِ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مَرْبَعًا بَعْدَ مَرْبَعٍ^(١)

٩ - قَالَ الْخَطِيبَةُ :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانِ كَانَ مِنِّي فَلَيْتَ بَأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَكْمٍ

المبحث الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة

قال الإمام في «أسرار البلاغة» : اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً وأشد اقتناناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً^(٢) من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجي من الفصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وتجذب التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون ، انتهى .

وللإستعارة إطلاقان :

١ - المعنى المصدرى ، وهو فعل المتكلم ، أعني استعمال لفظ المشبه به في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة .

وأركانها بهذا المعنى ثلاثة : مستعار وهو اللفظ ، ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

٢ - المعنى الاعمى ، وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي ، كقولك : رأيت أسداً ، تعني رجلاً شجاعاً ، وبحراً تريد جواداً ، وشمساً تريد إنساناً مضياً الوجه متهللاً ، وسللت سيفاً على العدو تقصد رجلاً ماضياً في نصرتك .

فأنت بهذا قد استمرت اسم الأسد للرجل الشجاع ، فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة في وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدته ، إلى غير ذلك من المعاني المركوزة في طبيعته الدالة على الجرأة .

(١) الغوادي جمع غادية ، السحابة تنشأ غدوة ، والمربع : المطر في الربيع .

(٢) الغور الأول : للقمر ، والثاني : الوادي .

وأفدت باستعارة البحر له سمته في الجود وفيض الكف ، وباستعارة السيف له إعطائه ما لها من البهاء الحسن الذي يبهر العيون ويملأ النواظر ، وباستعارة السيف له إعطائه ما له من الحدة والمضاء .

وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه ، لكنها أبلغ منه لأننا مهما بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين وهذا اعتراف بتباينها وأن العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل حد الاتحاد ، إذ جعلتك لكل منهما اسماً يمتاز به دليل على عدم امتزاجها واتحادهما ، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وأن المشبه والمشبه به صار شيئاً واحداً يصدق عليهما لفظ واحد ، فإن قلت : رأيت بحراً يعطي البائس والمحتاج ، كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئاً واحداً حق صح أن تسمي أحدهما باسم الآخر ، ولولا ما أقمت من الدليل (القرينة) على ما تريد ، لما خطر ببال المخاطب غير البحر الذي تعورف بهذا الاسم .

ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا يذكر وجه الشبه ، ولا أداته ، لا لفظاً ولا تقديرأ ، كما لا يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينسب عن التشبيه بأن يكون المشبه به خيراً^(١) عن المشبه أو في حكم الخير^(٢) كما في بابي كان ، وإن المفعول الثاني^(٣) في باب ظن ، أو حالاً^(٤) ، أو صفة^(٥) ، أو مضافاً كالجين^(٦) الماء ، أو مصدرأ مبيناً لنوعه^(٧)

(١) كقوله عليه السلام للانصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » .

(٢) نحو : ان محمداً قذى في عين إبراهيم ، وقول البحري :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح الناس أرضاً

(٣) كقوله عليه السلام : « لا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق » .

(٤) كقوله :

بدت قمراً ومالت حوط بان وفاخت عنبرأ ورفنت غزالا

(٥) كقولك : هذه امرأة قمر .

(٦) في قوله :

والريح تمبث بالفصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

(٧) نحو : « ورى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » .

أو مبيناً بالمشبه صريحاً ، أو ضمناً كقوله ^(١) تعالى : ﴿ حَقٌّ يَتَّبِعُ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(٢) ، فقد بيّن الخيط الأبيض بالفجر صريحاً ، وفي ضمنه تبين الخيط الأسود بالليل ، فكل هذا تشبيه محذوف الأداة .

قال الإمام عبدالقاهر في بيان هذا : إذا دلت القرينة على تشبيه شيء ، فهذا على ضربين :

١ - أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً ، وأنت تريد الممدوح ، وهذا تقول : إنه استعارة ولا تتعاشى البتة .

٢ - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ، وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه فإذا قلت : زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يحتلب لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعاً منك عليه لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل .

(إذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن نسمي أحدهما تشبيهاً ، والأخرى استعارة) .

(١) وقول بعضهم :

وشمين من خمر ووجه حبيب

فما زلت في ليلين شعر وظلمة

وقول شوقي :

ولثمت كالصبح النور فذاك

ودخلت في ليلين فرعك والدجي

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك : زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كان زيد أسداً ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك : هو بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شمس تالقي والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة إلا بتغيير صورته كقولك : هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا تغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه . انتهى بتصرف واختصار كثير .

والتشبيه الذي يجب تناسيه هو الذي من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس يحظر أن تقول : رأيت أسداً في الحمام مثل الفيل في الضخامة ، ولا : جاورت ليثاً كأنه بحر متلاطم الأمواج .

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه في المشبه به يتضح لك أنه لا بد أن يكون المشبه به كلياً كاسم الجنس وعلم الجنس ، فلا تتأنى الاستعارة في الأعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شيء في حقائنها إلا إذا تضمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم الجود ، ومادر البخل ، وُقُسُ القضاة ، وياقل العمى والفكاهة ، فنقول : رأيت اليوم حائناً أو قساً ، وتدعي كلية حاتم ، أو قساً ، ودخول المشبه في جنس الجواد والفصيح ، حتى كأن حائناً موضوع لمن اتصف بالجود سواء أكان هو ذلك الطائي المشهور أم غيره ، وإن كان إطلاقه على الطائي حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكذا القول في قُسْ ، وكل ما كان من هذا الضرب فسيبيله هذه السبيل .

المبحث السادس في الاستعارة أمجاز لغوي هي أم مجاز عقلي

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوي وأيده الإمام في « أسرار البلاغة » ،
وحجتهم على ذلك أنا إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع ، فإننا لا ندعي
فله صورة الأسد وشكله وعبالة عنقه ومخالبه ، ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة
التي تبدو للعيون وتشاهد بالحواس ، وإنما ندعي له ذلك من أجل اختصاصه
بالشجاعة التي هي من أخص أوصاف الأسد وأمكنها .

ومن الجلي الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك
الجنة وهاتيك الصورة والهيئة ، ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة
لا اسماً ، ولكان كل شيء يبلغ في شجاعته إلى هذا الحد جديراً بهذا الاسم على
جهة الحقيقة ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

ويرى آخرون أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف^(١) فيها في أمر عقلي لا لغوي
واختاره الإمام في « دلائل الإعجاز » ودليلهم على ذلك أنها لا تطلق على المشبه
إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة
لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر تستحق هذا الاسم ، ولما كانت الاستعارة
أبلغ من الحقيقة ، لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان مستعملاً فيما وضع له ، ومن ثم صح
التمجيب في قول ابن العميد^(٢) يصف غلاماً له جبلاً :

قامت تظللني من الشمس	نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب	شمس تظللني من الشمس

كما صح النهي عنه في قول الحسن بن طباطبا :

(١) في هذا إشارة إلى أنه لا يراد بالمقل هنا المجاز العقلي الآتي ، إذ هنا المجاز في الكلمة ،
وقبلاً سيأتي المجاز في الاستناد ، بل المراد بالعقلي التصرف فيه هو المعاني الحقيقية والتصرف فيها
جعل بعضها نفس البعض الآخر ، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين كاتب « ديوان الرسائل » للملك نوح بن نصر من الدولة
البريدية .

يا من حكى الماء فرط رفته وقلبه في قساوة الحجر
يا ليت حظي كحظ ثوبك من جسمك يا واحداً من البشر
لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرر أزراره على القمر^(١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لفلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه، إذ ليس ببدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً وبقيه وهج الشمس بشخصه، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأً حقيقياً لما كان النهي عن التعجب معنى لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ الغاية في الحسن.

وأنت إذا أنعمت النظر رأيت حجة الجمهور دامغة وأنها أخرى بالقبول، بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرججه عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له، وأما صحة التعجب والنهي عنه فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه به عين المشبه حتى تتم المبالغة، إذ من الواضح أن أسداً في قولك: رأيت أسداً، مستعمل في الشجاع، والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقي لا الادعائي، فكأنك ادعيت أن للأسد صورتين، إحداهما متعارفة وهي التي لها الإقدام والبطش في الهيئة المعروفة للحيوان المعروف، وثانيتها غير متعارفة وهي التي لها الجرأة والقوة، لكن لا مع تلك الصورة، بل مع صورة أخرى على النحو الذي ادعاه المتنبي في عد نفسه وجماعته من جنس الجن، وعد جماله من جنس الطير حين يقول:

نحن ركب ماجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

مستشهداً لدعواه بما يتخيل عرفاً من نحو حكمهم إذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد، إنه ليس بإنسان، وإنما هو أسد، أو هو أسد في صورة إنسان.

والقريئة التي تنصب في الكلام تنفي المعارف الذي يسبق إلى الفهم، وهو المعنى الأول، وتعين ما أنت تستعمل له الأسد، وهو ثاني المعنيين.

(١) البلى من بلى الثوب وقدم، والغلالة ثوب صغير صلب الكمين كالقميص، وزررت القميص عليه شددت أزراره، وقد قيل: إن هذا تشبيه لا استعارة، لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في: غلالته، وأزراره.

(تنبيه) الفرق بين الاستعارة والكذب من وجهين :

(أ) بناء الدعوى فيها على التأويل ، أي تأويل دخول المشبه في جنس المشبه به .

(ب) نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، أما الكاذب فيتبرأ من التأويل ، ويركب كل صعب وذلول لترويج ما يدعيه وإيهام أن ليس الحق إلا ما يقول ولا ينصب دليلاً على خلاف ما يزعم ، وعلى هذا فليس ببدع أن تقع في كلام الله تعالى وكلام رسوله .

المبحث السابع في قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز ، فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض ، وترشد الى المقصود ، ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته ، وهي قسمان :

١ - حالية ، تفهم من سياق الحديث ، نحو : رأيت قساً يخطب .

٢ - مقالية ، سواء أكانت معنى^(١) واحداً ، نحو : يرمي بالسهم ، من قولك : لرأيت أسداً يرمي بالسهم ، أو أكثر ، نحو :

فإن تعافوا العدل والإيمان فإن في إيماننا نيراناً^(٢)

فكل من العدل والإيمان باعتبار تعلق الإعاقة به قرينة على أن الغرض من النيران السيوف ، إذ هو دليل على أن جواب الشرط محذوف ، يقدر بنحو : تحاربون أو تلجئون الى الطاعة .

أو معاني ملتزمة ، مربوطاً بعضها ببعض ، بحيث تكون كلها قرينة ، لا كل واحد منها ، كما في قول البحري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤوس الأقران خمس سحائب
فإذا نظرت الى ما صنع رأيت قد استعار السحائب الخمس لأنامل عين الممدوح

(١) سواء أكان من ملائمت الشبه كما في التصريحية ، أم من ملائمت الشبه به ، كما في المكتبة .

(٢) المعنى أنكم إن كرهتم العدل والانصاف وملتتم الى الجور والخلاف فإن في أيدينا سيوفاً تلحق كسحل النيران فتلجئكم بها الى الطاعة .

كما هي عادتهم في تشبيه الجواد بالبحر الخضم طوراً ، وبالسحاب الهطل طوراً آخر ، وتحيل لما أراد ، فذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال إنها على رؤوس الأقران تفتك بهم ، ثم قال : خمس ، وهي عدد أنامل اليد ، فاستبان السامع من كل هذا غرضه ، واتضح له مقصده .

المبحث الثامن في انقسام الاستعارة الى عنادية ووفاقية

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين الى قسمين :

١ - وفاقية ، وهي التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد ، وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق .

٢ - عنادية ، وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، وسميت بذلك لتعاند الطرفين ، وقد اجتمعنا في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ^(١) أي مَن كَانَ ضالًّا فهديناه ، استعير الإحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدلالة على الطريق الموصل الى المطلوب ، والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما إذ لا يوصف الميت بالضلال .

ومن العنادية الاستعارة التهكمية والتعليحية ^(٢) ، وهما ما نزل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء ، أو لأجل الملاحظة والظرافة ، نحو : ﴿ فبشرهم بعمذاب أليم ﴾ ^(٣) استعيرت للبشارة ، وهي الخبر بما يسر للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنس البشارة هزؤ وسخرية بهم ، ونظيره كلمة نعاتبه في قول بشار :

إذ الملك الجبار صعر خده أتينا اليه بالسيوف نعاتبه ^(٤)

والتحية في قول عمرو بن معد يكرب (تحية بينهم ضرب وجميع) والثواب في قولهم ما ثوابه إلا السيف .

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

(٢) الفارق بينها أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه الهزؤ والسخرية بالمقول فيه كانت تهكمية وإن كان الغرض بسط السامعين وإزالة السامة عنهم بواسطة الاتيان بشيء مستطاع مستظرف كانت تعليحية .

(٣) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٤) صعر خده : أماله عن الناس كبراً .

ومنها أيضاً استعارة اسم الموجود للمدوم الذي بقيت آثاره الجميلة أو المدوم أو لا شيء للموجود، إذا لم تنتج منه فائدة، ولم يحل منه بطائل من قبل أنه شارك المدوم في عدم غنائه ونفعه كما قال أبو تمام :

هب من له يريد حجابَه ما بال' لا شيء عليه حجاب

المبحث التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع وهو الوجه الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه الى قسمين :

١ - ما يكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق المروس الدراهم^(١)

إذ النثر أن تجمع أشياء في كف أو وعاء ، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ولا نظام ، وقد استعاره لما يتضمنه ذلك التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة بلا ترتيب ولا نظام ، ونسبه الى المدح لأنه سببه .

٢ - ما لا يكون داخلاً في مفهومها ، كقولك : وردت بجرأ يتهلل وجهه ، وأنت تريد إنساناً جواداً ، فالجامع ، وهو الجود ، غير داخل في مفهومها .

المبحث العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامة وخاصة

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع الى :

١ - عامة مبتدلة لاكتها الألسن لظهور الجامع فيها ، كقولك : رأيت شمساً ووردت بجرأ ، وأنت تعني إنساناً جميل الحيا وجواداً كريماً .

٢ - خاصة غريبة وهي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية يقات شحم سنامها الرجل^(٢)

(١) الأحيدب : جبل .

(٢) الكور : الرجل ، والناجية : الناقة السريعة ، تنجو براكبها .

انظر تر عجباً ، ألا تراه قد استعار الاقتيات لإذهاب الرجل شحم السنام ،
وساعده التوفيق فيما عناه من قبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت ، وأن الرجل
أبداً ينتقص منه ويذيه .

والغرابية على ضروب ، منها :

١ - أن تكون في الشبه نفسه ، كما في قول يزيد بن مسعدة عبد الملك يصف
فرساً له بالأدب :

عودته فيما أزور حبائي إيماله وكذاك كل مخاطر
وإذا احتبى قريوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر^(١)

فقد شبه^(٢) هيئة وقوع العنان في موقعه من قريوس السرج ممتداً الى جانبي
قم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتى المحتبى ممتداً الى جانبي ظهره ،
ثم استعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان
في قريوس السرج ، فجاءت الاستعارة غريبة كما ترى لغرابية الشبه .

٢ - أن تحصل بتصرف الاستعارة العامة ، كقول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كاللذائير^(٣)

فهذا تشبيه معروف ، لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل الى الشعاب دون
ووجوههم ، وعدى الفعل الى ضمير المدحوع بعلى ، فأفاد اللطف والغرابية من حيث
أبان أن الشعاب امتلأت من الرجال وغصت بها من كل ناحية وجانب .

٣ - أن تحصل بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول
امرى القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وناه بكلل

فقد أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له اسم الصلب وجعله متمطياً لما هو
مشاهد من أن كل ذي صلب يزيد طوله شيئاً ما عند التمطي ، ثم ثنى واستعار

(١) القريوس مقدم السرج ، والملك المضغ ، والشكيم الشكيمة الحديدية المعارضة في قم
الفرس ، وعنى بالزائر نفسه ، دلالة على تأدب فرسه ، حيث يقف مكانه وإن طال مكثه .

(٢) ووجه الشبه إحاطة شيء بشيئين ، ضاماً أحدهما الى الآخر ، على أن أحدهما أعلى والآخر
أسفل ، والتشبيه بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيتين .

(٣) يريد أن المدحوع مطاع في حيه اذا دعاهم لبوا نداهه زرافات ووحداً .

الإعجاز لثقله وبطء سيره ، وبالغ في ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضاً ، ثم ثلث فاستعار الكل لكل لمعظم الليل ووسطه أخذاً له من كل كل البعير وهو ما يعتمد عليه إذا برك ، وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل ، لما في الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر ، وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدق .

المبحث الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع الى ستة ^(١) أقسام :

١ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي ، نحو : (وتر كنا بعضهم ^(٢)) يومئذ عوج في بعض) استعير الموجان وهو حركة الماء للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة والاضطراب .

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، نحو : ﴿ وآية لهم الليل نساخ منه النهار ﴾ ^(٣) فالاستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن ظلمة الليل وملقى ظله وهما حسيان ، والجامع بينهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء ^(٤) عن مكان الليل ، وهذا الترتب أمر عقلي .

٣ - استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي ، كما تقول : رأيت شمساً ، وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ، وهو حسي ، ونباهة الشأن ورفعة القدر ، وهي عقلية .

٤ - استعارة معقول لمعقول ، نحو : ﴿ مَن بعثنا من مرقدنا ﴾ ^(٥) .

(١) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس فتصير أربعة ، والجامع في الثلاثة عقلي لا غير لما تقدم في التشبيه وفي القسم الأول ، إما حسي أو عقلي أو مختلف ؛ فهذه أقسام ستة .

(٢) الضمير يعود للأنس والجن .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) لأن الظلمة هي الأصل والنور طارئ عليها يسترها ، فعند غروب الشمس يسلك النهار من الليل وكأنه يكشط ويزال كما يكشط عن الشيء الشيء الطارئ عليه الساتر له .

(٥) سورة يس الآية ٥٢ .

استعير الرقاد وهو النوم للموت، والجامع عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي، ونظيره: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١)، فقد استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار، لإرادة الانتقام من العصاة.

٥ - استعارة محسوس لمعقول، نحو: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) فقد استعير صدع الزجاجة، وهو كسرها، وهذا حسي لتبليغ الرسالة بجامع التأثير^(٣)، وهما عقليان.

ونحوه: ﴿فَنَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(٤)، فقد استعير النبذ، وهو إلقاء الشيء، باليد للأمر المتناسي حاله، والجامع عدم العناية فيها.

٦ - استعارة معقول لمحسوس، نحو: ﴿إِنَّا لَمَّا طَفَى الْمَاءُ﴾^(٥) فقد استعير الطفيان، وهو التكبر والعلو لظهور الماء وكثرته، والجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط، فالاستعار منه والجامع عقليان.

المبحث الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه الى قسمين:

١ - مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كقول شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منها واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية، والقرينة نسبة القول الى الدقات، ونظيره قول الواواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(١) سورة الملك الآية ٨.

(٢) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٣) التأثير المراد هنا نوع مخصوص لا يعود معه المؤثر فيه الى حاله الأول، وهو في كسر الزجاجة أقوى وأبين، فكانه قبل وضع الأمر وضوحاً لا يزول أثره كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

(٥) سورة الحاقة الآية ١١.

شبه الدموع باللؤلؤ، والعيون بالترجس، والحدود بالورد، والأنامل بالعباب،
والأسنان بالبرد، وقول الحريري :

فزحزحت شفقاً غشى سنا قر
وتساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر^(١)
فقد شبه الحمار بالشفق لمرقه والوجه بالقمر والكلام باللؤلؤ والفم بالخاتم .

٢ - مكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ،
نحو ﴿ واخفض لها جناح الذل من الرحمة ﴾^(٢) ، شبه الذل بطائر يجامع الخضوع
واستعير الطائر للذل ، ثم حذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الجناح ، على
طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات الجناح للذل استعارة تخيلية ، وهي قرينة
المكنية ، ويجعل الطائر مستعاراً للمخاطب (أي للولد في معاملة والديه) والأصل
واخفض لها جناحك ذلاً ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين ﴾^(٣) ، وقول الكميت :

خفضت لهم مني جناحي الى كنف عطفاه أهل ومرحب

ونحو ﴿ ينقضون عهد الله ﴾^(٤) قال في «الكشاف» : ساغ استعمال النقض
في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من
إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكنوا عن
ذكر الشيء المستعار ثم يرموزا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة
على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يفترس منه الناس ،
فقد نبهت على الشجاع والعالم بأنها أسد وبجر ، انتهى .

(تنبيه) علمت أن إثبات اللازم كالجناح للذل أو المخاطب بلين الجانب
لوالدين ، والأمور أن يذل لها ، وإثبات النقض للعهد يسمى استعارة تخيلية ،
وهي قرينة الاستعارة المكنية ، وسمي ذلك الإثبات استعارة لأجل أن متعلقة
وهو الأمر المختص بالمشبه به قد استعير ونقل عما يناسبه ، واستعمل مع ما شبه

(١) وقبله : سألتها حين زارت نضو يرقعها القاني وإبداع سمعي أطيب الخبز وساقطه
الحديث أن يتكلم واحد ويسكت الآخر ، ثم يتكلم الساكت ، وهكذا دواليك .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧ .

ونحوه قوله عز اسمه : ﴿ وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَذَرِ النَّخْلِ ﴾ ^(١) ، شبهه مطلق استعلاء بطلاق ظرفية يجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكلبيين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ (في) الموضوع لجزئي من جزئيات الظرفية لمعنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل نحو : نطق الحلال بكذا ، أو إلى المفعول الأول كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السباحا

فالذي دل على استعارة قتل وأحيا ، إنما إسنادهما إلى البخل والسباح ، إذ لو قال : قتل الأعداء وأحيا الأحياء ، لم يكن هناك سبيل للاستعارة فيها ، أو إلى المفعول الثاني ، كقول القطامي :

لم تلق قوماً هم شرُّ لإخوتهم منا عشية يحجري بالدم الوادي
نقريهم للهدميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد ^(٢)

فإسناد القرى إلى اللهدميات قرينة على أن نقريهم استعارة ، أو إلى المفعولين الأول والثاني ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إماماً نطق بياناً يقود الحرون الشموسا ^(٣)

فإن تعلق أقوى بكل من المسامع والبيان دليل على أنه استعارة ، أو إلى المجرور ، نحو : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٤) ، فذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية .

(تنبيهات) أولها كما تكون المصراحة أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك ^(٥) .

(١) سورة طه الآية ٧١ .

(٢) تقريهم من قرئت الضيف ، والهدم من الأسنة القاطع والهدميات منسوبة إليها ، والقدر القطع ، وضمن خاط معنى قد ، فعدها بعلى ، وزرد الدرع وسردها نسجها .

(٣) الحرون من الخيل ما لا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهوره من الركوب .

(٤) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٥) لكن لا تجري التبعية بجميع أقسامها في المكنية إذ أنها لا بد فيها من إثبات لازم المشبه به للمشبه ووضع الفعل واسمه ، والحرف يقتضي ألا يثلت لمتانها شيء لوجه ما لا بالإسناد إليه ، ولا بالإيقاع عليه ولا الإضافة إليه .

ثانيها - إنما سميت الاستعارة في القسم الثاني تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى إذ هي في المشتقات تابعة لجريانها في المصدر أولاً ، كما أن معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية لينتأى كونها مشبهة ومشبهة بها فلا بد من إجراء التشبيه أولاً في متعلق معاني الحروف ، ثم تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية .

ثالثها - قال السكاكي : لو لم يعملوا في الفعل والحرف استعارة تبعية بل جعلوا في مدخولها استعارة مكنية بقريبتها كما فعلوا في : أنشبت النية أظفارها ، لكان أقرب للضبط .

المبحث السادس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما الى ثلاثة أقسام ، مرشحة ومجردة ومطلقة :

١ - فالمرشحة هي التي تقترن بما يلائم المستعار منه ، كما تقول : رأيت في الميدان أسداً دامى الأنياب طويل البرائن ، وكما قال كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقب جراح^(١)
فقد استعار السهم للنظر يجمع التأثير في كل ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم ، وكما قال ابن هانئ المفرجي :

وجنيت ثمر الوقائع يانماً بالنصر من ورق الحديد الأخضر

٢ - والمجردة هي التي تقترن بما يلائم المستعار له كما تقول : رأيت أسداً في حومة الوغى يحندل الأبطال بنضله ويشك الفرسان برمحه ، وكما قال كثير يدح عمر ابن عبد العزيز :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب الملل^(٢)

(١) المعنى : أنها رمت به سهم نظرها الفاتك الذي ريشه الكحل ، فجوسحت قلبه ، ولم تضر ظواهر جلده .

(٢) يريد أنه كثير العطاء سخي ، والمعنى أنه اذا ضحك وسر وهب ماله وفرقه وعنى برقاب الأموال أنفسها ، وعبر عنها بالرقاب كقولهم : أعتق رقبة ، أي عبداً .

فقد استعار الرداء المعروف ، لأنه يصون عرضه كما يصون الرداء ما يلقي عليه من مكروه والقرينة تنمة البيت ، ثم وصفه بالفمر الذي هو وصف للمعروف لا للرداء على سبيل التجريد .

٣ - والمطلقة هي التي لم تقترن بصفة معنوية ولا تفرغ يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينهما أن الملائم إن كان من تنمة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو الصفة ، كما في قوله : تبسم ضاحكاً ، وإن كان كلاماً مستقلاً جيء به بعد تمام الاستعارة وبني عليها فهو التفرغ ، نحو : ﴿ فما رجحت تجارتهم ﴾ ^(١) ، بعد قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ ^(٢) .

(تنبيهات) أولها أنه إذا اجتمع الترشيح والتجريد كانت الاستعارة في حكم المطلقة كقول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

فشاكى السلاح هو حادة تجريد ، لأنه يناسب المشبه وهو الشجاع ، والمقذف إن أريد به في الوقائع والحروب كان تجريداً أيضاً ، وإن أريد به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضمامة ، لم يكن لا تجريداً ولا ترشيحاً لأنه يلائم كلا منهما ، وله لبد وهي الشعر المتراكم بين كتفي الأسد ترشيح ، وكذلك أظفاره لم تقلم لأن الأسد الحقيقي هو الذي ليس من شأنه تقليم الأظفار ، والقرينة كلمة لدى ، أو القرينة الحالية ، ولدى تجريد إذ التجريد أو الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ، ولذا لا تسمى قرينة الاستعارة التصريحية تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً .

(ثانيها) : الترشيح أبلغ ^(٣) وأقوى من الإطلاق والتجريد ، لاشتاله على تقوية المبالغة وكما لها ، فإن المحور الذي يدور عليه الترشيح إنما هو تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ، وكان الاستعارة غير موجودة ، ألا ترى أن النافر أو الشاعر يحد في إنكارها ، ويخيل إلى السامع أن الأمر على ما يقول حقيقة ، ومن ثم وضع أبو تمام كلامه في علو المنزلة والرقى في خلال الشرف وضمه في علو المكان حين يقول :

(١ و ٢) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٣) الأبلغ في الحقيقة هو الكلام المشتمل على الترشيح لا الترشيح نفسه .

وبصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء
فلولا أنه قصد تناسي التشبيه وعقد العزيمة على جرده ولم يأل جهداً في إنكاره
فجعله صاعداً في السماء حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه .
ونحوه قول بشار :

أتسني الشمس زائرة ولم تك تهرجُ الفلكا
وقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق
ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد
ومن هذا ما سبق من التعجب والنهي عنه ، وإذا جاز البناء على المشبه به مع
الاعتراف بالمشبه (١) في نحو قول العباس بن الأحنف :

هي الشمس مسكنها في السماء فمزَّ الفؤاد عزاء جميلاً
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزول
فلأن يجوز مع جرده وإنكاره في الاستمارة أولى .

(ثالثها) : المطلقة أبلغ من المجردة ، لأن التجريد يذكر بالتشبيه ، فيضعف
دعوى الاتحاد .

المبحث السابع عشر في حسن الاستمارة وقبحها

لا تحسن الاستمارة ولا تقع الموقع الملائم إلا إذا حازت الشروط الآتية :

١ - رعاية حسن التشبيه (٢) ، إذ هو أساسها الذي تبني عليه ، خلا أنه مما
يستلح هنا قوة الشبه بين الطرفين بعكس باب التشبيه ، ومن ثمة تحسن الاستمارة
فيما يقوي فيه الشبه بينهما بحيث يصير الفرع كأنه الأصل ، ولا يحسن التشبيه ،
ألا ترى أن الرجل يقول إذا فهم مسألة : حصل في قلبي نور ، ولا يقول : كأن
المسلم الذي حصل في قلبي نور ، ويقول لمن أوقعه في شبهة : أوقعتني في ظلمة ،
ولا يقول : كأن الشبهة التي أوقعتني فيها ظلمة .

(١) فإن قوله هي الشمس تشبيه ، وفيه اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك بني الكلام على المشبه به
أعني الشمس .

(٢) قال الجرجاني : ملاك الاستمارة قرب التشبيه ومناسبة المستمار للمستعار له وامتزاج
اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينها منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .

٢ - غرابية وجه الشبه ولطفه وكثرة التفصيل فيه وبعمده من الابتذال وعدم خفائه الى الغاية حتى لا يكون تعمية وألفاظاً ، ومن ثم لا يحسن استعارة الأسد لإنسان أبخر لحفاء وجه الشبه في مجرى العادة في مثل هذا .

٣ - ألا يشم منها رائحة التشبيه لفظاً ، ومن ثم ضعفت الاستعارة في قوله :
قد زر أزراره على القمر^(١) .

٤ - بعدما عن الحقيقة بترشيحها تقوية لدعوى الاتحاد فيها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المطلقة والمجردة في اعتبار البلغاء ، فإن خلت الاستعارة مما سبق ذكره انحطت رتبته واستهجنحت كقول أبي نواس :

بع صوت المال مما منك يشكو ويصبح

يريد أن المال ظلم من إهانتته إياه بتمزيقه بالعطايا ، وهذا معنى حسن ، لكن المبالغة عنه قبيحة لا تروق في نظر البلغاء ويأباهما ذوو الفطر السليمة^(٢) .

وقوله أيضاً وهو أسخف من الأول :

ما لرجل المال أضحت تشكي منك الكلالا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد في هذا المعنى :

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

وقول أبي تمام :

بلوناك أما كعب عرضك في العلا فعال وأما خد مالك أسفل

مراده أن عرضك مصون ومالك مبتذل ، لكنه قد ساقه مستكرهاً ، وأخرجه مخرجاً مستهجنأ ، وكقول بشار :

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرنا وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال في «العمدة» : فما أهجن رجل البين وأقبح استمارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك رقاب الوصل .

(١) إذ الضمير في أزراره لمحبوته ولم يكن هذا من التشبيه لما تقدم من أن المشبه لم يذكر على وجه ينبي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خيراً عنه أو حالاً أو صفة ، بل فيه رائحة الأشعار فقط .

(٢) إذ أي شيء أبعد استعارة من صوت المال ، فكيف به إذا بع من الشكوى والصياح ، مع أنه ليس له صوت حين يعطى .

أسرار البلاغة في الاستعارة

الاستعارة بجميع ضروبها وتمدد مذاهبها وشعوبها ، أعلى مرتبة من التشبيه ، وأقوى في المبالغة منه ، لما فيها من تناسي التشبيه ، وادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبّه به ، كأنها شيء واحد ، يطلق عليها لفظ واحد ، انظر الى قول المتنبي :

ترنو إليّ بعين الظبي 'مجهشة' وتمسح الطل فوق الورد بالعمّ^(١)

تره وقد تمثلت له محبوبته ظلية تنظر اليه وهي حيرى تمسح 'طلاً' فوق خدها بأصابعها وهي كالعمّ لينا وحرمة ، واختبأ عن عينيه مظهر التشبيه ، وظهر له ذلك بمظهر الحقيقة ، ورأيت أنه قد سما به الخيال فرأى الطل يسقط على الورد ، فهل يؤدي التشبيه مثل هذا؟ وهل تصل فيه المبالغة الى ما تصل اليه الاستعارة؟ فيه قال : تمسح الدموع التي تشبه الطل والحدود التي هي كالورد والأصابع التي تشبه العم ، أترأه يصل الى مثل ما قال ؟ إنك لتحس بأن هذا أدنى من المعنى المجازي وأقل منه مبالغة ، فإذن في التشبيه جمعاً بين المشبه والمشبّه به ، وهذا إقرار بأنهما متقاربان ، وتأمل قول أبي الحسن التهامي :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسفار

يتبين لك فيه صورة النجوم وقد أفلت بعد طلوعها ، وكواكب الأسفار وقد غادرت بعد ظهورها .

وقد استعمل العرب الاستعارة في كلامهم تقريباً للمعنى الى ذهن السامع ، واستثارة خياله واختلاباً للبه ، ليقنع بما يقال له ويلقى في روعه .

تدريب أول

اجعل التشبيهات الآتية استعارة مصرحة أو مكنية مع بيان القرينة :

١ - استذكرت كتاباً كالصديق في المؤانسة .

٢ - اللسان كالسيف في الإيذاء .

٣ - انتثرت في السماء نجوم كالدرر .

٤ - في البحر سفن كالجبال في العلو .

(١) العم : شجر لين الأغصان ، تشبه به الأصابع .

- ٥ - على الأشجار بلابل كالقيان في حسن الصوت .
 ٦ - في الغرفة ثريات كهربائية كالشمس في الإضاءة .
 ٧ - الكتاب صديق .
 ٨ - لفلاة أسنان كالبرد في البريق واللمعان .
 ٩ - علي كالفيث في العطاء .
 ١٠ - هند كالبدور في الحسن والبهاء .

الاجابة

- | القرينة | استعارة تصريحية |
|----------------|--------------------------------------|
| استذكرت | ١ - استذكرت صديقاً مطبوعاً |
| بين فكيك | ٢ - احذر سيفاً بين فكيك |
| في السماء | ٣ - انتشرت درر في السماء |
| تمخر في البحار | ٤ - رأيت جبلاً تمخر في البحار |
| على الأشجار | ٥ - صدحت قبان على الأشجار |
| في الغرفة | ٦ - في الغرفة شمس مغلقة بالزجاج |
| في القمطر | ٧ - عندي صديق في القمطر |
| في قم | ٨ - في قم فلانة برد منضد |
| يعطي الدرام | ٩ - رأيت غيثاً يعطي الدرام والدنانير |
| بين أترابه | ١٠ - طلع علينا بدر بين أترابه |
| القرينة | استعارة مكنية |
| مؤنساً | ١ - استذكرت كتاباً مؤنساً |
| الغضب | ٢ - احذر اللسان الغضب |
| مثقوبات | ٣ - نثرت نجوم مثقوبات في السماء |
| تتوجها الثلوج | ٤ - رأيت سفناً تتوجها الثلوج |
| تمزف بالحن | ٥ - صدحت بلابل تمزف بالحن مطربة |
| تشرق وتغرب | ٦ - في الغرفة ثريات تشرق وتغرب |

- ٧ - عندي كتاب حميم
٨ - لفلان أسنان يقدر قيمتها الجوهري
٩ - رأيت هنداً تتلألأ بين أترابها
- حميم
يقدر قيمتها الجوهري
تتلألأ

تدريب ثان

اجر الاستعارة فيما يلي وبين نوعها وقرينتها :

- ١ - ففى كلما فاضت عيون قبيلة دما ضحكك عنه الأحاديث والذكر
٢ - ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾^(١)
٣ - اذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن عيباً ولا ربا على من يقاعد
٤ - فسمونا والفجر يضحك في الشرق البنا مبشراً بالصباح
٥ - لسنا وإن أحاسبنا كرمتم يوماً على الاحساب نكل
٦ - سأبكيك للندى وللدن إنني رأيت يد المعروف بعدك شلت

الاجابة

- ١ - في فاضت العيون وضحكك الأحاديث استعارتان ، إما تصريحيتان أو مكنيتان ، فعلى الأول يقال : شبه نزول الماء متدفقاً بفيضان النهر يجامع الكثرة في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ودما تجريد لأنها تناسب العيون ، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحك يجامع أريحية النفس في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الضحك بمعنى السرور ضحكك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة الحالية ، وعلى الثاني يقال : شبهت العيون بالأنهار يجامع جريان الماء الكثير من كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو فاض على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ، والقرينة نسبة الفيضان الى العيون وهي الاستعارة التخيلية ودما تجريد أيضاً ، وشبهت الأحاديث بناس فرحين يجامع الأريحية والسرور لكل عند حصول ما يسر ، واستعير اللفظ

(١) سورة الأعراف الآية ٦٠ .

الدال على المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو ضحكك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة .

٢ - شبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضلالة ومتلبس به بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف يجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكلين (مطلق الارتباط) الى الجزئيات (معاني الحروف) فاستمرت (في) من الظرفية الحقيقية للظرفية المعنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

٣ - شبت الأحاديث بالسهم يجامع التأثير ومباراة المتحادثين كما يتبارى الرماة في كل منهما ، ثم استعير لفظ السهم للأحاديث وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو انتضل على سبيل الاستعارة المكنية ، وكلمة عيباً تجريد ، لأنها تناسب الأحاديث .

٤ - شبه الفجر بإنسان يبتسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة يجامع البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه وأشار اليه بشيء من لوازمه ، وهو يضحك على طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات الضحك للفجر استعارة تخيلية .

٥ - في كلمة على استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعل عليه يجامع التمكن والاستقرار في كل ، ثم استمرت على من جزئي من جزئيات الأول الجزئي من جزئيات الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٦ - شبه المعروف بإنسان له يد تعطي ، والجامع البذل والعطاء في كل منهما استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة ثلت وإثبات اليد للمعروف استعارة تخيلية .

تمرين أول

اجز الاستعارة وبيّن نوعها وقرينتها فيما يلي :

- ١ - سقاه الردي سيف اذا سل أو مضت اليه ثبايا الموت من كل مرقب
٢ - عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابعهم انتقام

- ٣ - م صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيطان إلا بأجدعا^(١)
 ٤ - ﴿ فحونا آية الليل وجعلنا النهار مبصرة^(٢) ﴾
 ٥ - ﴿ فأنشرنا به بلداً ميتاً^(٣) ﴾
 ٦ - ﴿ ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم^(٤) ﴾
 ٧ - والشمس لا تشرب خمر النسدى فى الروض إلا بكؤوس الشقيق

تمرين ثان

- ١ - ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم^(٥) ﴾
 ٢ - ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر^(٦) ﴾
 ٣ - مَنْ يزرع الشر يعصده فى عواقبه ندامة ولحصده الزرع إيثان
 ٤ - لا يمتطي الجده مَنْ لم يركب الخطرا ولا ينال العلا مَنْ قدم للعدوا
 ٥ - وما هى إلا خطرة ثم أفلعت بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن
 ٦ - قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
 ٧ - قال على بن أبى طالب : « الدنيا مَنْ أمسى فيها على جناح أمن ، أصبح فيها على قوادم خوف » .

تمرين ثالث

- ١ - شمس وبدر ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبنا
 ٢ - جاء النسيم الى الغصون رسولا ومشى يجر على الرياض ذيو لا
 ٣ - وذى رحم قلمت أظفار ضفنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم
 ٤ - اذا امتعن الدنيا ليبس تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

(١) الأجدع : المقطوع الأنف ، دعا عليهم بالذل والصغار لصلبهم العبدى .
 (٢) الاضافة فى آية الليل والنهار للتبيين ، أى آية هى الليل وآية هى النهار (سورة الإسراء) .
 (٣) أنشرنا : أحيينا (سورة الزخرف) .
 (٤) سورة فصلت الآية ٥٤ .
 (٥) سورة الذاريات الآية ٤١ .
 (٦) سورة السجدة الآية ٢١ .

- ٥ - أقتله الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
٦ - إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
٧ - وليلة بت أسقي في غياها راحا تسل شبابي مريد الهرم
ما زلت أشربها حق نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

المبحث الثامن عشر في المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل قصداً وبالدات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، فخرج بقولنا قصداً ، وبالدات ما اذا تجاوز يحجز من أجزاء المركب ، فإنه قد استعمل مجموعة في غير ما وضع له ، وليس ذلك مجازاً مركباً .
وهذا المجاز قسمان :

- (أ) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب ، وهو أنواع :
١ - المركبات الخبرية المستعملة في المعاني الإنشائية ، إما للتحسر وإظهار الحزن ، نحو :

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
وإما للدعاء ، نحو : وفكك الله - نجح الله مقاصدنا . . الى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها ، والعلاقة في مثل هذا اللازمة إذ يلزم من الأخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسر عليه ، وهكذا يقال في نظائره والقرينة حالية .

- ٢ - المركبات الإنشائية المستعملة في المعاني الخبرية ، نحو قوله عليه السلام :
« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » بمعنى يتبوا ، والعلاقة في نحو هذا السببية لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العيني في شرح البخاري : فليتبوا أمر من النبوء وهو اتخاذ المباءة والمثزل ، وظاهره أمر ومعناه خبر .

- ٣ - الجمل الإنشائية ، فعلية كانت أو اسمية المأثى بها ، لما يتولد منها من إكثار ونحوه ، والعلاقة في نحو هذا المجاورة ، نحو : ﴿ أَلَمْ نَبْرِكْ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (١) .

(١) سورة الشعراء الآية ١٨ .

(ب) ما كانت علاقته المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها بأن تشبه إحدى صورتين متزعتين من أمرين وأمور بالأخرى ، ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبهة بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبهة بها مبالغة في التشبيه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما يبيع بالخلافة الى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه في البيعة له .. أما بعد : فأني أراك تقدم رجلاً وتؤخر^(١) أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت والسلام ، فقد شبهت صورة تردده في المباينة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخرها مرة أخرى ، وكما يقال لمن يعمل فيما لا يجدي : أراك تنفخ في غير فحم ، وأراك تخط على الماء ، يراد أنه في عمله كمن يفعل ذلك .

وهذا القسم يسمى استعارة تمثيلية^(٢) واستعارة على سبيل التمثيل وتمثيلاً على سبيل الاستعارة أو تمثيلاً فقط ، ويمتاز عنها التشبيه المركب بأن يقال له : تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي .

وإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلاً ولا يغير مطلقاً محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعها بطريقة واحدة^(٣) كقولهم : أحشفاء وسوء كيلة^(٤) ، يضرب مثلاً لمن يظلم من جهتين ، وبيان الاستعارة في مثل هذا أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر قرأ رديئاً وطفف له المكيال يحامع الظلم من جهتين ، واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثال

(١) مفعول تؤخر محذوف أي وتؤخرها أي تلك الرجل المقدمة ، وقوله أخرى نعمت مرة أي مرة أخرى ، وإنما لم نجعل أخرى نعمتاً للرجل لثلاثي الكلام أن الرجل المؤخرة غير المقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا في ابن يعقوب .

(٢) وكل استعارة وإن كانت تمثيلاً أي تشبيهاً فقد خص اسم التمثيل بهذه الاستعارة لأنها مشارف فرسان البلاغة .

(٣) وذلك معنى قولهم الأمثال لا تغير .

(٤) الحشف : الرديء ، والكيلة : هيئة الكيل .

النثرية والنظمية نحو : إن البقايا بأرضنا يستنسر^(١) ، ما يوم حليلة بسر^(٢) .
وقولهم :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(تنبيه) هذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفرداً ومركباً ، إذ مبناهما تشبيه التمثيل ، وقد عرفت دقة مسلكه من قبل أن وجه الشبه فيه يكون هيئة منتزعة من أشياء متعددة ، فالاستعارة المبنية عليه تكون أدق أنواع الاستعارات إذ من الصعوبة بمكان أن تعتمد الى صورتين مركبتين من أجزاء عدة فتحاول الربط بينهما وتختصر جهات اتحادهما وتشبه إحداها بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج اليه في المهارة حينئذ ، كما لا ينكر الأثر الذي تراه في مخاطبك اذا أدليت اليه في معرض كلامك بمثل ، فكم تجد لديه من الأريحية ، وكيف يغني إيجاز المثل عن الشرح والإسهاب ؟ . . .

تدريب

يسن أنواع المجاز المركب فيما يلي :

- ١ - افعل ما بدا لك ، تقوله تهديداً لمخاطبك .
- ٢ - أنت تصرخ في واد ، تقول ذلك لمن يعمل ما لا فائدة فيه .
- ٣ - لك الحمد والشكر ، تقول ذلك بعد الأكل مثلاً .
- ٤ - أهذا الذي أظنبت في مدحه ، تقول ذلك متهمكاً .
- ٥ - سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق يصدق الوعد منصفاً .
- ٦ - أخذت من شبابي الأيام وتولى الصبا عليه السلام .

الاجابة

- ١ - في هذا المركب مجاز مرسل مركب علاقته المجاورة ، فقد استعمل الأمر في التهديد لا في الطلب .
- ٢ - في هذا المركب استعارة تمثيلية ، فقد شبهت صورة من يعمل ما لا فائدة

(١) يضرب للضعيف يصير قوياً .

(٢) يضرب لكل أمر متعارف مشهور .

فيه بصورة مَنْ يصرخ في واد يجامع عدم الفائدة في كل ، واستعير المركب الدال على هيئة المشبه به هيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

٣ - في هذا المركب مجاز مرسل ، علاقته السببية ، لأنه استعمل الخبر في الإنشاء لإرادة الدعاء .

٤ - في هذا المركب مجاز ، علاقته المجاورة ، لأنه استعمل الاستفهام في التهكم .

٥ - استعمل هذا المركب في إنشاء التحسر والأسف على فقدان الصديق ، مجازاً مرسل ، علاقته السببية .

٦ - هذا المركب كسابقه .

تمرين

بيّن نوع المجاز المركب ، واذكر علاقته فيما يلي :

١ - وَمَنْ قصد البحر استقل السواقيا ، يقال لمن يطمح الى العظيم ولا يرضى .

٢ - تلدغ المقرب ونصيء^(١) ، يقال للظالم يشكو كأنه مظلوم .

٣ - قد كنت عدوّي التي أسطويها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

٤ - ليس التكمّل في العنين كالتكمّل ، يقال لمن يتكلف ما ليس من طبعه .

٥ - وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل

٦ - أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع ؟

المبحث التاسع عشر في المجاز بالحذف^(٢) أو الزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي ، كما تقدم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظي إذا تغير حكم إعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ أو زيادته .

(١) صأي الفرخ والمقرب صاح وصاء مقلوب منه .

(٢) إطلاق المجاز على هذا النوع من طريق الاشتراك اللفظي فللفظ مجاز وضع ضمنين أحدهما للكلمة المستعملة في غير ما وضعت لملاقة وقرينة ، وثانيها للكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي بحذف لفظ أو زيادته ، وهذا النوع من المجاز يمكن رده الى المجاز العقلي أو المجاز المرسل .

فالحذف كقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ ^(١) ، إذ الأصل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف اليه إعرابه ، ونظيره (وجاء ربك) أي أمر ربك .

والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين :

١ - لأمر يرجع الى غرض ^(٢) المتكلم ، نحو : سل القرية ، ألا ترى أنك لو قرأته أو سمعته في غير التنزيل لم تقطع بأن ها هنا محذوفاً ، إذ من المحتمل أن يكون كلام رجل مرّ على قرية خربت وباد أهلها ، فأراد أن يقول مذكراً نفسه أو صاحبه على سبيل العظة والاعتبار : سل القرية عن أهلها وقل لها ماذا صنعوا ، كما قال الرقاشي : سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً .

٢ - لأن الكلام لا يصح بدون المحذوف ، كما اذا حذف أحد جزأي الجملة ، نحو : (قصر جميل) .

والزيادة كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(٣) ، أي ليس مثله شيء ، فأعراب مثله في الأصل النصب ، فلما زيدت الكاف سار جراً .

ونحوه : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾ ^(٤) . وقول لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
يريد : ثم السلام عليكما .

ومما تقدم تعلم أن الحذف والزيادة إذا لم يوجبا تغير الإعراب لا توصف الكلمة من أجلها بالمجاز ، نحو : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ ^(٥) ، إذ الأصل : أو كمثل ذوي صيب ، فحذف ذوي لدلالة يحملون أصابعهم على هذا المحذوف ،

(١) سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٢) للجزم بأن القصد من الآية سؤال أهل القرية للاشتهاد بهم فيجيئون بمسا يصدق أو يكذب لا سؤالها هي لأن الشاهد لا يكون جماداً ، ويحتمل أن تكون القرية مجازاً عن أهلها من إطلاق اسم المحل على الحال فلا يكون مما نحن فيه .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩ .

وحذف لفظ مثل لدلالة قوله تعالى : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ (١) عليه ،
ونحوه : ﴿ فبأرحمة من الله لنت لهم ﴾ (٢) .

المبحث العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي (٣)

هذا ضرب آخر من الاتساع والنجوز ، غير ما قدمنا لك الكلام عليه ، فإن
ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن ما هو ردف للمعنى أو
شبيه به ، فالتجوز كان يكون في اللفظ نفسه .

أما ما هنا فإن الكلمة متروكة على ظاهرها ومعناها مقصود في نفسه ، وإنما
النجوز في حكم يجري عليها ، كقولهم : نام ليلى ، وقوله تعالى : ﴿ فما رحبت
تجارتهن ﴾ ، ففي هذا مجاز لكنه ليس في ذوات الألفاظ ، فإن الليل والتجارة
مستعملان في حقيقتها ، بل في أن جعلتها فاعلين لنام ورحب .

ومن هذا تفهم ما قالوه في تعريف هذا المجاز بأنه إسناد الفعل أو ما في معناه
الى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم للملابسة مع قرينة صارفة عن أن
يكون الإسناد الى ما هو له ، وما في معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة ، ومعنى كونه غير ما هو له أنه ليس من حقه أن يسند
اليه لأنه ليس يوصف له ، ومعنى الملابسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبني للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل
الى غير فاعله كالمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل ،
وإسناد الفعل المبني للمفعول وما في حكمه كاسم المفعول الى غير نائب الفاعل مما
له علاقة به ، كالفاعل والمصدر ونحوهما ، وإيضاح هذه العلاقات مما يلي :

١ - إسناد ما بني للفاعل الى المفعول نحو : عيشة راضية (٤) وماء دافق .

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) البحث عن هذا المجاز من حيث كيفية الدلالة من البيان ومن حيث تحصل به المطابقة
لمقتضى الحال من المعاني ، والحق أن ذكره في المعاني كما فعل القزويني في الايضاح كان استطراداً .
(٤) أصل الكلام رضي المرء عيشته فأُسند الفعل للمفعول من غير أن يبين له فصار : وضيت
العيشة ، ثم أخذ من الفعل المبني للفاعل اسم فاعل وأُسند الى ضمير العيشة فقال الأمر إلى أن
صار المفعول فاعلاً وهكذا يقال في نظائره .

وقول الخطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبقيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
فقد أسند راضية ودافق وطاعم وكاس وهي مبنية للفاعل إلى صير لميشة
مع أن الراضي صاحبها وكذلك الماء مدفوق والشخص مطعوم مكسو .

٢ - إسناد ما بني للفعول إلى الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾ (١) ،
وسيل مفعم (٢) ، لأن الوعد آت والسيل مفعم أي مائي .

٣ - إسناد الفعل إلى المصدر ، نحو قول أبي فراس :

سيد كرتني قومي إذا جد جدم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر
فقد أسند الجد إلى الجد ، أي الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد
وفاصله جد الجاد جداً ، أي اجتهد اجتهداً ، فعذف الفاعل الأصلي وهو الجاد
وأسند الفعل إلى الجد .

٤ - الإسناد إلى الزمان ، نحو : نهاره صائم ، وليله قائم ، وقوله :

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
فقد أسند الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل والإساءة والسرور إلى الزمان ،
وكل هذه أزمنة للأفعال لا واقعة منها .

٥ - الإسناد إلى المكان ، نحو : ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحته ﴾ (٣) ،
فقد أسند الجري إلى الأنهار ، وهي أمكنة للمياه وليست هي لجارية بل الجاري
ماؤها ، ونحوه بيت ساكن .

٦ - الإسناد إلى السبب ، نحو :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قبل الكفاة ألا ابن الحمامة ؟
فقد نسب الإفناء إلى قول الشجيمان : هل من مدافع ، وليس ذلك القول بفاعل
ولا بمؤثر وإنما هو سبب فقط .

(١) سورة مريم الآية ٦١ .

(٢) أفعم الأثناء : ملأه .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦ .

وقد يحىء^(١) هذا المجاز في النسبة الإضافية بأن يضاف الى ملابس ما هو له نحو : تجري الأنهار ، ومكر الليل ، وغراب البين ، فنسبة الجري الى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، والمكر الى الليل مجاز علاقته الزمانية ، والبين الى الغراب مجاز علاقته السببية على النحو الذي يزعمون .

قال الشاعر :

مشائين ليسوا مصلحين عشرة ولا ناعب إلا بين غرابها

كما قد يحىء في النسبة الإيقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ما هو له كقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا أمري ﴾^(٢) ، وكما جاء في جميع ما مضى في الإثبات ، فقد جاء أيضاً في النفي ، كقوله عز وعلا : ﴿ فما رجحت تجارتهم ﴾^(٣) ، أي خسرت^(٤) ، ونحو : ما نام ليلى ، أي سهر ، ونحو : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، أي بما تكره .

أقسامه ، باعتبار الطرفين طرفاً هذا المجاز ، وهما المسند اليه والمسند ، إما :

١ - حقيقتان ، نحو : وشيب أيام الفراق مفارقي .

٢ - وإما مجازان نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد بإحياء الأرض إحداث النضارة والخضرة فيها مما ينتج عن تهيج القوى المنمية فيها ، كما أن المراد من شباب^(٥) الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه .

٣ - وإما مختلفان ، نحو : أهلك الناس الدينار والدرهم ، فقد جعلت الفتننة إهلاكاً ، ثم أثبت الإهلاك فعلاً للدينار والدرهم .

ونحو قول أبي الطيب :

ونحيمي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

(١) أي فالتعريف المتقدم غير جامع لكل أنواع المجاز إلا أن تراد بالاستناد مطلق النسبة ، سواء كانت كالاستنادية أو غير تامة كالأضافية والإيقاعية .

(٢) سورة طه الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٤) أي إذا قصد إثبات النفي لا نفي الإثبات .

(٥) أصل الشباب كون الحيوان في زمن قوته .

فقد جعل الزيادة والوفور حياة المال وتفريقه في العطاء قتلاً له ، ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم والقتل فعلاً للتبسم ، مع أن كلا منها لا يصح منه الفعل .

وقد وقع هذا المجاز في التنزيل نحو : ﴿ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ^(١) ، فقد نسبت الزيادة الى الآيات لكونها سبباً ، ونحو : (يذبح أبناءهم) نسب الذبح الى فرعون لأنه الأمر به والسبب فيه ، ونحو : ﴿ يَوْمًا يَحْمِلُ الْوَلَدَانِ شَيْبًا ﴾ ^(٢) ، فقد أسند الفعل الى الظرف لوقوعه فيه .

(قرينته) قرينة هذا المجاز إما لفظية ، كقول أبي النجم المجلي :

ميز عته قنزعا عن قنزع جذب الليالي أبطىء أو أسرع ^(٣)

فقد استدلنا على أن إسناد ميز الى جذب الليالي مجاز بقوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حق اذا وارك أفق فارجمي

فإنه يدل على أن ذلك فعل الله ، وأنه هو المفقى ، فيكون إسناده الى جذب الليالي من الاسناد الى الزمان .

وإما غير لفظية ، كاستحالة صدور المسند من المسند اليه ، أو قيامه به عقلاً ، نحو : محبتك جاءت بي اليك ، أو عادة نحو : بنى الوزير القصر ، وكصدور الكلام من الموحد ، كما في إسناد الاشادة والأفناء الى كسر الفداة في قوله الصلتان للعبدى :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كسر الفداة ومر العشي
اذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فقى

(تنبيهات) الأول قال عبد القاهر : هذا الضرب من المجاز ، على حدته ، كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المطلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان ، ولا يفرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول : أتى بي الشوق الى لقائك ، وسار بي الحنين الى رؤيتك ، وأقدمني بلدك حق لي على إنسان ،

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .

(٢) سورة المزمل الآية ١٧ .

(٣) ميز : فصل ، وعنه أي عن رأسه ، والقنزح : الشعر المجتمع في فواحي الرأس ، وجذب الليالي : مضيا وتعاقبا ، وأبطىء أو أسرع حال من الليالي على تقدير القول .

وأشبه ذلك، مما تجده لشهرته يجري مجرى الحقيقة، فليس هو كذلك، بل يدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق لها .

(الثاني) قال الإمام أيضاً : واعلم أنه ليس بواجب في هذا المجاز أن يكون للعمل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة ، مثل أن تقول في رجحت تجارتهم : رجحوا في تجارتهم ، فإن ذلك لا يأتي في كل شيء ، ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك : أقدمني بلدك حق لي على إنسان ، فاعلا سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وقول ابن البواب :

وصيرني هواك وبني لحيني يضرب المثل

أن تزعم أن ليزيد قائلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للوجه ، ولا لصيرني فاعلاً غير الهوى ، فالاعتبار إذاً بأن يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجوداً في الكلام على حقيقته ، معنى ذلك أن القدوم في المثال المتقدم موجود على الحقيقة ، وكذلك الزيادة والصيرورة موجودتان على الحقيقة ، وإذا كانت معنى اللفظ موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل لا محالة في الحكم .

(الثالث) هذا المجاز كما يجري في الخبر كما سلف يجري في الإنشاء ، كقوله تعالى : ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ فأوقد لي هامان على الطين فاجعل لي صرحاً ﴾ ^(٢) ، وقوله عز وجل : ﴿ فلا يخرجنك من الجنة من الجنة فتشقى ﴾ ^(٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ أصلائك تأمرك ﴾ ^(٤) ، فإن البناء والابقاء فعل العملة وهامان سبب أمر ، وهكذا يقال فيما بعده .

(الرابع) أنكر السكاكي هذا المجاز وقال : الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية يجعل الربيع مثلاً في قولك : أنبت الربيع البقل ، استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ، وجعل نسبة الإثبات اليه

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٨ .

(٣) سورة طه الآية ١١٧ .

(٤) سورة هود الآية ٨٧ .

قرينة الاستمارة على ما سبق لك في بيان مذهبه في الاستمارة بالكتابة، وقد رد هذا بأنه يستلزم ألا تصح الإضافة نحو: فما رجحت تجارتهم، لبطلان إضافة الشيء الى نفسه، وألا يكون الأمر بالنساء لهامان في قوله: يا هامان ابن لي صرحاً، لأن المراد به حينئذ العملة أنفسهم، وأن يتوقف جواز التركيب في نحو: أنبت الربيع البقل، على السمع، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، وكل هذه اللوازم منتفية فتنتفى ملازوماتها.

تتمة وفيها مبهان

١ - المجازات^(١) اللفوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ولا يجوز تعديها إلا بإذن وتوقيف من اللغة، فإذا استمير لفظ الأسد للشجاع لما يربطها من معنى الشجاعة يجب إقراره، ولا يجوز تعديته واستعارته للرجل الأبنخر لعلاقة المشابهة بينهما، ولفظ نخلة إذا استمير للرجل الطويل يجامع الطول في كل، لا يصح أن نعديه، ونطلقه على الحبل من أجل طوله.

أما المجازات العقلية فيجوز تعديها الى غير محالها التي وردت فيها، فكما ورد قوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾^(٢)، قيل: تكاثرت أشواقي وأسقمي فقدك وأحيتني مشاهدتك، الى غير ذلك مما لا يكاد يضبط في الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباتة الخطيب: إنه الموت حسام أزهرق النفوس ذبابه^(٣)، كذا في الطراز.

٢ - المجاز خلاف الأصل، فلا يصار اليه إلا لباعث يرجع إما الى اللفظ، وإما الى المعنى، وإما اليهما جميعاً:

(أ) فما يرجع الى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك في مثل لفظ الحنفيقي (الداهية)، أو يكون صالحاً للقافية أو السجع وهي لا تصلح لذلك، أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة وحشية.

(ب) ومما يرجع الى المعنى، قصد التعظيم، كما تقول: سلام على المجلس،

(١) وهي كون مثل هذا استمارة بالكتابة.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) الذباب: طرف السيف الذي يضرب به.

الكرم عادلاً ، الى المجاز ، تمظيماً للمخاطب وتشريفاً له عن أن يخاطب بلقبه ،
أو المبالغة مع الایجاز ، كما تبين لك ذلك فيما سلف .

(ج) وما يرجع اليها تحسين اللفظ ودقة المعنى من أجل أن الشيء اذا عرف
من بعض الوجوه دون بعض فاقت النفس الى تحصيل ما ليس بعلوم لها ، وذلك
لا يتسنى إلا عند التعبير بالمجاز ، أما عند التعبير بالحقيقة فيحصل العلم به من
جميع الوجوه ، لا جرم كان التعبير بالمجاز أقرب الى تحسين الكلام وتجميله .

أسرار البلاغة في المجاز العقلي

المجاز العقلي ضرب من التوسع في أساليب اللغة وفن من فنون الایجاز في القول
ألا ترى أن إسناد الفعل الى سبيله وجملة الفاعل المؤثر دليل على ما كان لهذا الأثر
من شديد الصلة في صدور الفعل ، وكأنه هو الذي صدر منه .

انظر الى قول ابن الرومي :

أرى الشعر يحمي الناس والمجد بالذي تبقيه أرواح له عطر
فما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم نخرات

تره قد جعل حياة الناس ومآثرهم رهينة الشعر بما ينشر من فضائلهم ويذكره
من جليل إحسانهم وعظيم إنعامهم فيبقى على كر الفداة ومر العشي .

وكذلك تجد ما في نسبة الحادث ، إلى زمانه أو مكانه ، من دلالة على التعميم
والشمول ، فإن الفعل اذا أريد بيان شموله وأنه يعمّ كل من يكنه المكان أو
يحيط به الزمان نسب الى المكان أو الزمان ، تأمل قوله تعالى على لسان زكريا
عليه السلام : ﴿ إني وهن العظم مني واشتمل الرأس شيباً ﴾ (١) ، قره أراد
أن يحمل الشيب قد عمّ رأسه حتى صار كأنه نار ، أضاف الاشتعال الى الرأس
لا الى الشعر مع أن المقصود هو بيان ابيضاض الشعر .

وانظر الى طرفة بن العبد تره قد نسب إبداء المجهول الى الأيام وهي لا تظهره
بل يظهر فيها ، ويستبين من أمره ما كان خفياً ، في قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) سورة مريم الآية ٤ .

وقد جعل ذلك شيمة الزمان وطبيعة الحدائق ، في كل عصر وأوان ، ولا تجد ذلك المعنى مستبيناً إذا أنت قد قلت : سيدو على صفحات الزمان ما كان أمره خفياً ، وما لم تجده من الشؤون جلياً .

تدريب أول

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - أهلكنا الليل ، والنهار معاً والدهر يفدو مصمماً جذعاً^(١)
- ٢ - ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
- ٣ - ولما رأيت الخيل تترى أئانجا علمت بأن اليوم أحسن فاجر^(٢)
- ٤ - وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب
- ٥ - محال بين ما أبقيت عيون المها مني فشبت ولم أفض اللبائنة من سني
- ٦ - سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر لملك تدري بعض ما لم تكن تدري

الاجابة

- ١ - إسناد الإهلاك الى الليل والنهار مجاز عقلي علاقته الزمانية ، لأن الفاعل هو الله ، وهذان زمانان له .
- ٢ - الأيام لا تظهر مجهولاً ، بل يظهر ذلك فيها ، فهو مجاز عقلي ، علاقته الزمانية .
- ٣ - وصف اليوم بالفجور مجاز ، علاقته الزمانية ، لأن الفجور صفة لما يقع فيه .
- ٤ - العز ينبت في المكان ، ولا ينبت المكان ، فهو مجاز عقلي ، علاقته المكانية .
- ٥ - إسناد الحو الى البين مجاز عقلي ، علاقته السببية ، لأن البين لا يحو شيئاً بل هو سبب فيه .

(١) المصم من الإبل الصابر على السير أو الماضي فيه ، والجذع الشاب الحدث .
(٢) تترى : تتابع ، والأئانج : الصائحات ، والأحسن : الصلب الشديد ، والفاجر : النبت في المعاصي .

٦ - الجيزة لا تسأل، بل يسأل أهلها ، فوقوع السؤال على الجيزة مجاز عقلي في النسبة الإيقاعية والعلاقة المكانية ، ويصح أن يكون في هذا مجاز بالحذف ، أو مجاز مرسل .

تدريب ثان

بيّن المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشهم المناصب والرتب
- ٢ - إن البلية من تمل كلامه فانقع فؤادك من حديث الوامق^(١)
- ٣ - نعم المعين على المروءة للفق مال يصون عن التبذل نفسه
- ٤ - ملكنا فكان المفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
- ٥ - ﴿ أَوْ لَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٢)
- ٦ - ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾^(٣)

الاجابة

- ١ - في اسناد يفترس الى ضمير الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية ، وفي اسناد تطيش الى المناصب والرتب مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٢ - في اسناد الوامق الى المفعول مجاز علاقته المنوالية إذ المراد سر نفسك بمحادثة الموموق أي المحبوب .
- ٣ - في اسناد الاعانة والصيانة الى المال مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٤ - في اسناد سال الى الأبطح مجاز عقلي علاقته المكانية إذ الدم سال فيه لا منه .
- ٥ - في اسناد الفاعل وهو آمن الى المفعول وهو الحرم مجاز عقلي علاقته المفعولية .
- ٦ - في اسناد المفعول وهو مستور الى الفاعل وهو الحجاب مجاز عقلي علاقته الفاعلة .

(١) نفع بالشراب استشفى منه وكذا بالخبر .

(٢) سورة القصص الآية ٥٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

تمرين أول

بيّن المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- | | |
|------------------------------------|----------------------------|
| ١ - لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى | ونمت وما ليل المطي بنائم |
| ٢ - الدهر لازم بين فرقتنا | وكذاك فرق بيننا الدهر |
| ٣ - وكذاك سر المرء ان لم يطوه | نشرته ألسنة تريد وتكذب |
| ٤ - ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى | عدواً له ما من صداقته بد |
| ٥ - والهـم يخترم الجسم نخافة | ويشيب ناصية الصبي وهـرم |
| ٦ - يومان يوم مقامات وأندية | ويوم سير الى الأعداء تأويب |

تمرين ثان

بيّن المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - (لا عاصم اليوم من أمر الله) .
- ٢ - هذا يوم عصيب .
- ٣ - منزل عامر بنعم الله .
- ٤ - ذاك مشرب عذب .
- ٥ - هذا مركب فاره .
- ٦ - (أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) .
- ٧ - سار بي الحنين الى لقائك .
- ٨ - هذا منزل ساكن .
- ٩ - قال تعالى : (من ماء دافق) .
- ١٠ - تنام وما ليل المضم بنائم .

الباب الثالث في الكناية

وفيه أربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول في تعريفها

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كنيت اذا تركت التصريح به ، أنشد الجوهري :

وإني لأكنو عن قدور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارح

وفي الاصطلاح تطلق على معنيين :

١ - المعنى المصدرى الذي هو فعل المتكلم ، أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته ^(١) معه .

٢ - اللفظ المستعمل فيما وضع له ، لكن لا ليكون مقصوداً بالذات ، بل لينتقل منه الى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة وال لزوم العرفي ، وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له ، لكن لا لذاته ، بل لينتقل منه الى لازمه فعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فيما وضع له ، وال لازم مراد لذاته ، لا مع استعمال اللفظ فيه ، فهو مناط الإثبات والنفي والصدق والكذب ^(٢) .

تفسير هذا أن العرب تلفظ أحياناً بلفظ لا تريد منه معناه الذي يدل عليه بالوضع ، بل تريد منه ما هو لازم له في الوجود بحيث اذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفاً وعادة ، فنقول : فلان رجب الصدر ، ونقصد أنه حلیم من قبل أن الحلیم يكون ذا أناة وقودة ولا يجحد الغضب اليه سبيلاً ، لما في صدره من السعة لاحتمال

(١) أي مع جواز إرادة المعنى الحقيقي مع اللزم كما ستعلم بعد .

(٢) فقولك : فلان طويل التجاد تريد طول القامة يكون الكلام صحيحاً وإن لم يكن له تجاد قط بل قد يستحيل المعنى الحقيقي كما سيأتي .

كثير من الحفائظ والأضغان كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع والماعون،
وتقول : فلانة تؤوم الضحى ، وتقصد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها
من الخدم والحشم ، فهم يقومون بتدبير شؤون المنزل ، وقضاء الحوائج البيتية ،
فلا تحتاج الى القيام مبكرة من النوم فأولئك قد كفوها مؤونة التعب والنصب .

(الفرق بينها وبين المجاز) مما سلف تعلم الفرق بين الكناية والمجاز هو أن
الأولى لا يمتنع معها إرادة المعنى الأصلي ، فيسوغ في المثالين المتقدمين أن تريد
أنه واسع الصدر حقيقة وأنها تنام حقاً الى وقت الضحى ، وقد تمتنع إرادة المعنى
الأصلي فيها أحياناً لخصوص الموضوع ، نحو : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(١)
كناية عن الاستيلاء والملك ، ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾^(٢) كناية عن قوة
التمكن وقام القدرة ، الى غير ذلك^(٣) .

أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلي ، فلا يسوغ إرادة الأسد
المفترس في قولك : رأيت أسداً في الميدان يضرب يمناً وشمالاً .

المبحث الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه الى ثلاثة أقسام :

١ - كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ودماثة الأخلاق ،
الى غير ذلك ، وهي ضربان :

(أ) قرينة ، وهي ما ينتقل منها الى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت
واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل النجاد^(٤) ، وقول الحماسي :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمسّ ظهوراً

كفى عن كبر الإعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمس بطناً
أو ظهوراً .

(١) سورة طه الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) فهذان ونحوهما كنايةات من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي وطلب
دلالة عليه إنما هو لقصد الانتقال منه الى لازمه المراد .

(٤) النجاد : حمائل السيف ، وقد اشتهر استعمال طويل النجاد في طويل القامة .

وهذا من بديع الكناية، أم خفية يتوقف الانتقال منها الى اللازم على التأمل وإعمال الرؤية، كقولهم كناية عن الأبله هو عريض القفا، إذ يزعمون أن عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا دلا على الغباوة، أو ما ترى، الى قول طرفة:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

(ب) بعيدة، وهي ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم في الكناية عن المضياف: هو كثير الرماد، فإنه ينتقل الذهن من كثرة الرماد الى كثرة الطبائخ، ومنها الى كثرة الرماد، ومنها الى كثرة الضيفان، ثم الى المضيافة، وهي المقصودة، ونظيره قول الآخر:

وما يك في من عيب فلاني جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن الذهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها والعس دونها، مع أن ذلك ليس من طبيعته، الى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته، ثم الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذا الى كونه ملجأً للقاصي وللداني، ومن ذا الى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف.

وكذا ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الأم، ومن ذا الى قوة الداعي الى نحرها مع كمال عنايتهم بالنوق، خصوصاً المثالي^(١) منها، ومن هذا الى صرفها الى الطبائخ، ومن ذا الى أنه مضياف.

٢ - كناية، يطلب بها موصوف، نحو قولك كناية عن الأسد: قتلت ملك الوحوش، وشرطها الاختصاص بالكنى عنه ليحصل الانتقال منها اليه، وهي ضربان:

(أ) ما هي معنى واحد بأن يتفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها الى ذلك الموصوف كمجامع الأضغان كناية عن القلوب في قوله:

الضاربين بكل أبيض مخنم والطاعنين مجامع الأضغان^(٢)

(١) التالي من أثلت الشاقة اذا تلاها ولها.

(٢) الضاربين منصوب عن الدح وكذا الطاعنين، والأبيض: السيف، والمخنم: القاطع.

ونحوه قول البحاري في قصيدته التي وصف فيها قتلة للذئب :

فأتبعتهما أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد^(١)

ففي الشطر الثاني ثلاث كنايات ، كل منها مستقل بإفادة الغرض ، لا كناية واحدة ، فقوله : بحيث يكون اللب ، الرعب ، الحقد ، ثلاثها عن كناية القلب ، إذ هو محل العقل والخوف والضعفينة .

(ب) ما هي مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم الى صفة ثانية ، ثم ثالثة ، فتكون جملة مما يختص بالموصوف ، فمقى ذكرت توصل بها اليه كقولهم كناية عن الإنسان : إنه حي مستوي القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف هو الثلاثة المختص بالإنسان لا كل واحد^(٢) منها .

٣ - كناية ، يطلب بها نسبة^(٣) ، أي ثبوت أمر لأمر ، أو نفيه عنه ، كما يقولون : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه^(٤) ، فهم لم يصرحوا بثبوت المجد والكرم له ، بل كنوا عن ذلك بكونها بين 'برديه وبين ثوبيه' ، وكقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج وكان أمير نيسابور :

إن السباحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنه أراد أن يثبت هذا الصفات خلافاً للممدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول : إنها مجموعة فيه ، أو مقصورة عليه ، أو نحو ذلك ، بل عدل الى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه لتمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية ، لأنه اذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له ، ومثل هذا وإن كان في حلة أبدع ووشى أغرب قول حسان :

بنى المجد بيتاً فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحولوا

وقول أبي نواس :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن بصير الجود حيث يصير

(١) ضمير أتبعتهما يعود الى الطمنه ، والتصل حديد السيف .

(٢) ويسمى هذا خاصة مركبة .

(٣) ضابطها أن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكناية عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كناية الصفة فإنه لا يصرح فيها بالصفة المرادة .

(٤) هما الأزار والرداء وهما الثوبان .

وقول الآخر : « وحيثما يك أمر صالح تكن » .

ففي كل هذا توصل الى إثبات للممدوح بإثباتها في المكان الذي يحل فيه ، ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قولهم : مثلك لا يبخل .

قال في «الكشاف» : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عن يسد مسده وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : العرب لا تحفر الذمم ، فإنه أبلغ من قولك : أنت لا تحفر ، انتهى .

المبحث الثالث في أقسامها من حيث الوسائط

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط الى أقسام أربعة :

١ - تعريض^(١) وهو خلاف التصريح واصطلاحاً ما أشير به الى غير المعنى بدلالة السياق ، كما تقول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، فالمعنى الأصلي انحصار الاسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه ، والمعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الاسلام عن المؤذي مطلقاً ، وهو المعنى المقصود من اللفظ ، ويشير بسياقه الى نفي الاسلام عن المؤذي الذي تكلمت عنده .

ومن لطيف ذلك ما كتبه عمر بن مسعدة وزير المأمون الى المأمون يوصيه على بعض أصحابه : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ليتطول^(٢) في إلحاقه بنظرائه ، فأعلمته بأن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك بمد عن طاعته ، فوقع المأمون في كتابه : قد عرفنا نصيحتك له وقمريضك لنفسك وأجنبناك اليها .

٢ - تلويح ، وهو لغة أن تشير الى غيرك من بعد واصطلاحاً كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم ، نحو : (أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي) كناية عن بخلهم ، فقد انتقل من الايقاد في الوادي المنخفض ، الى إخفاء النيران ، ومن هذا الى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم اليها ، ومن ذا الى بخلهم ، ونحوه ما تقدم من قولهم : هو جبان الكلب ، ومهزول الفصيل .

(١) قد يكون التعريض كناية كما في هذا المثال ، وقد يكون مجازاً .

(٢) يتطول : أي يتكرم من الطول ، وهو الفضل والزيادة .

٣ - رمز وهو لغة أن تشير الى قريب منك خفية بشقة ، أو حاجب ،
كما قال :

رمزت إلى مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها
واصطلاحاً هو كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم نحو: هو غليظ الكبد،
كناية عن القسوة، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقده العرب من أن الكبد
موضع الاحساس والتأثر فيلزم من رفته اللين ومن علظته القسوة، ونحوه ما سبق.
٤ - إيماء وإشارة ، وهي كناية قلت وسائطها ، مع وضوح الدلالة ، كقول
أبي تمام يصف إبله مادحاً أبا سعيد (١) :

أبين فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد
وقول البحري يمدح آل طلحة :
أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول
ومن لطيف ذلك وعجيبه قول بعضهم في رثاء البرامكة :

سألت الندي والجود مالي أراكما تبدلتا ذلاً بعز مؤيد
وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقالا أصبنا بان يحيى محمد
فقلت : فهلا متا عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا : أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

المبحث الرابع في حسن الكناية وقبحها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما تقدم لك من
الأمثلة ، وقبيحة إذا خلت مما ذكر ، كقول الشريف الرضي يرثي امرأة :
(إن لم تكن نصلاً فقم نصال) ، فهذا من رديء الكنايات ، إذ هذا لا يفيد
ما قصده من المعنى ، بل ربما جرّأ الى ما يقبح من تهمتها بالريبة .
ونحوه قول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلها
قال ابن الأثير: فهذه كناية عن الزاهة والعفة ، إلا أن الفجور أحسن منها ،

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الثعري .

وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها ، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم
أبي الطيب فجاء به على وصف حسن وقالب عجيب حيث قال :

أحن الى ما يضمن الخمر والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر
وقريب من بيت المتنبي قول الآخر :
وما نلت منها محرماً غير أنني اذا هي بالث بلت حيث تبول

خاتمة

اتفقت كلمة البلغاء على :

١ - أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيها من
الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببيته .

٢ - وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، لما فيها من
دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ، ثم الكنية ، لاشتغالها على
المجاز العقلي الذي هو قرينتها .

٣ - وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرها ، أبلغ من
الكنية ، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة .

وليس معنى الأبلغية في كلا من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد
خلافه ، بل المراد زيادة التأكيد في الإثبات .

قال الإمام عبد القاهر : فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت
رجلاً لا يتميز عن الأسد في جرأته وشجاعته ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته
للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك
المساواة له لم يفده الثاني ، وسر هذه المزية والفخامة أنك اذا قلت : رأيت أسداً
كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي
يجب له الثبوت والحصول ، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك
أنه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالاستحصيل
والممتنع أن يعمرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت : رأيت رجلاً كالأسد ، كنت
قد أثبتتها إثبات الشيء يترجع بين أن يكون وألا يكون ، ولم يكن من حديث
الوجوب في شيء .

وليست فضيلة قولنا: جَم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراء لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيد الإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها أكد وأبلغ في الدعوة من أن تحييئ اليها فتثبتها هكذا ساذجاً عقلاً ، وذلك أنك لا تدعي دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ، كذا في «دلائل الإعجاز» مع اختصار.

أسرار البلاغة في الكناية

الكناية فن من التعبير توخاه العرب استكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني ، وبها يتوقفون في الأساليب ، ويزينون ضروب التعبير ، ويكثرثون من وجوه الدلالة ، انظر الى امريء القيس تجده كنى عن المرأة ببيضة الخدر في قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهُو بها غير معجل

وإلى حميد بن ثور نراه كنى عنها بالسُرْحَة في قوله :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاء^(١) تروق

فيا طيب رباها وبرد خلاها إذا حان من حامي النهار ودبق^(٢)

وإلى النبي ﷺ وقد كنى عنها بالقارورة في قوله لأنجسه وهو يحدو بنسائه :
« رفقا بالقوارير » ، وبها ينصبون الدليل على كل قضية ويقيمون البرهان على كل مدعي ، انظر الى المتنبي وهو يذكر وقعة سيف الدولة بأعدائه :

فستاهم وبُسطهم حرير وصبتهم وبُسطهم تراب

تجده قد أراد أن يبين أنه قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار الى عزتهم أولاً بافتراشهم بسط الحرير ، ثم الى ذلتهم بعد بافتراشهم بسط التراب .

وتأسل قول أبي تمام يمدح أبا سعيد بن يوسف الثغري ويذكر كرمه :

أبين فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد

(١) شجر عظيم شائك .

(٢) شدة الحر في الهاجرة .

تره قد أبان كرم أبي سعيد بقاية الوضوح من حيث أبان أن إبله أبت إلا أن تزور الكرماء ، ويكفيها أن تزور من بينهم أبا سعيد .

وليس بالحفي ما للكناية من فضيلة في إلباس المعقول ثوب المحسوس ، أترك تشاهد لطف التعبير ودقة التصوير إذا تأملت الكناية بحالة الخطب عن النامة التي تفسد ذات البين وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب : ﴿ وامراته حمالة الخطب ﴾ ^(١) فإنك وأنت تقرؤها تخيل اليك أنها مسكة حطبها بيديها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض .

الى ما فيها من حيلة بترك بعض ألفاظ الى ما هو أجل في القول وآنس للنفس ، ألا ترى اليهم وهم يكتنون عن الموت بقولهم : « فلان قد استوفى أكله » أو بقولهم : « لحق باللطيف الخبير » وعن الصحراء بالمغازة وهي مهلكة .

الى ما فيها من حسن التناطف في إطراح الألفاظ المستهجنة كما جاء في القرآن الكريم من الكنايات التي تتعلق بالنساء كالنهي عن أخذ المهور مع ذكر السبب في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ ^(٣) .

الى أنها قد تكون طريقاً من طرق الإيجاز والاختصار كقوله تعالى كناية عن كثير من الأفعال : ﴿ ولبس ما كانوا يفعلون ﴾ ^(٤) وقولهم كناية عن الجامع لكل شيء (هو سفينة نوح) .

وأنتك لترى فيها من العجب العجائب ومن غريب الصنعة ومن بديع السحر إذا كانت في باب الصناعات الخسيسة والأشياء الحقيرة بذكر منافعتها ، كما قيل لحائك : ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء ، وجهاز الموتى .

وقال ابن باقلاني (بائع فول) :

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدْرُهُ وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره فمنهم قيام حوله وقعود

(١) سورة المسد الآية ٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٩ .

نموذج أول

بين الكناية وأنواعها باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

- ١ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنات يمين
- ٢ - قال الحجاج: إن أمير المؤمنين نثر كنياته عوداً عوداً فوجدني أمرها ضرب
عوداً وأصابها مكسراً فرماكم بي، والله لأحزمنكم حزم السلعة ولأضربنكم
غرائب الإبل .
- ٣ - ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناب له عود
- ٤ - تقول التي من بيتها خف عملي عزيز علينا أن نراك تسير
- ٥ - أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلام من القطن
- ٦ - يببت بمنجاة من اللؤم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

الاجابة

- ١ - في مخضوب البنات كناية عن موصوف، وهي المرأة، إذ هذه من صفاتها
الخاصة بها، من نوع الإيماء لأن الذهن ينتقل الى ذلك بلا واسطة .
- ٢ - في هذه العبارة كنايات ثلاث :
- (أ) ففي قوله : نثر كنياته الى قوله فرماكم بي كناية عن صفة هي
البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه وهي من نوع التلويح
لأن الذهن ينتقل من نثر الكنانة الى البحث والتفتيش عن أصلح
سهاهما ومن ذا الى العثور على ذلك الأصلح ومن ذا الى اختياره
من بينها ثم إرساله اليهم لتدبير شئونهم .
- (ب) وفي قوله : لأحزمنكم حزم السلعة كناية عن صفة هي الضغط
عليهم والبطش بهم من نوع الإيماء .
- (ج) وفي قوله : لأضربنكم النع كناية عن صفة هي القسوة في معاملتهم
والتنكيل بهم ، وهي من نوع الإيماء .
- ٣ - في هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأن الذهن ينتقل
من ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان الى كونه ملكاً ، وهي من
نوع الإيماء .

٤ - كنى أبو نواس بقوله من بيتها خف الخ عن موصوف ، وهي امرأته ، لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة ، فهي كناية عن موصوف ، وهي امرأته لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة فهي كناية عن موصوف من نوع الإيحاء لعدم الوسائط .

٥ - في قوله : أخلام من الفطن كناية عن موصوف وهم الجهال ، وهي من نوع الإيحاء .

٦ - في هذا البيت كناية عن نسبة هي إثبات الزاها لها ونفي الفجور عنها ذلك أنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنها ، ومن ذا إلى براءتها من كل ما يشينها ، وهي من نوع الإيحاء .

نموذج ثان

يبين أنواع الكناية من حيث المكنى عنه ومن حيث الوسائط :

١ - قال زياد بن أبيه : وإني لأقسم بالله لأخذنّ الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل قاتل أبيه فيقول : « انج سعد فقد هلك سعيد » (١) ، أو تستقيم لي قناتكم (٢) .

٢ - ﴿ وحلناه على ذات ألواح ودُسّر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ (٣) .

٣ - وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تمض بنات النادم الحصر (٤)

٤ - أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق الغلا قبلي

٥ - لا أمتع المود بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل (٥)

٦ - فصبتهم وبسطهم حرير ومسام وبسطهم تراب

(١) مثل أصله أسعد أم سعيد يضرب للفشل أو الظفر بالبغية .

(٢) القناتة الرمح ، والمصا المستوية .

(٣) الدسر جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السفينة (سورة القمر) .

(٤) الحصر : البخيل .

(٥) المود جمع عائد الحديثة النتاج من الظباء والابل ، والفصال جمع فصيل ولد الناقة .

الاجابة

١ - في هذه المقالة كنايات عدة ، فقد كنى بقوله : انج سعد الخ ، عن الفرار والهرب ، وهي نوع من التلويح لكثرة الوسائط فيها إذ ينتقل الذهن من قولهم هذا الى السبب الباعث على ذلك ، وهو الخوف من الفتك بهم ، ومن ذا الى أخذ عدتهم للهرب ، تباعداً عن التتكيل بهم ، الى الهرب وهو المراد ، وكنى باستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم في أمورهم ، وهي كناية عن صفة من نوع الرمز .

٢ - كنى الله تعالى بذات الألواح والدر عن السفينة ، إذ ذاك وصف خاص بها ، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيحاء ، وكنى بقوله : تجري بأعيننا عن شمول لطفه وعنايته بها ، وهي كناية عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائط إذ ينتقل الذهن من النظر اليها ، الى مراقبتها ، ومن ذا الى الاهتمام بها ، ومنه الى العناية بها .

٣ - كنى بعض بنان الندم عن الأسف على قوات المرغوب فيه ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيحاء .

٤ - كنى ببسطة الكف عن الفنى ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيحاء ، إذ ينتقل الذهن من بسطة الكف ، الى مثلها بالمال ، الى الفنى .

٥ - في هذا البيت كنايتان عن صفتين من نوع التلويح ، الأولى كناية عن نحو الفصال ، والثانية كناية عن أنه مضياف ، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ، ومن ذا الى نحرها ، وكذا ينتقل من قرب أجلها الى نحرها ، ومن ذا الى أنه مضياف .

٦ - في هذا البيت كنايتان عن صفتين ، وهما العز والذل ، من نوع التلويح إذ كنى بكون بسطهم حريراً عن عزتهم إذ ينتقل الذهن من إحرازهم الرياش والأثاث الفاخر الى غناهم ومن ذا الى كونهم أعزاء ، وكنى بكون بسطهم تراباً عن ذلهم ، إذ ينتقل الذهن من افتراش التراب الى ضياع ما يملكون ، ومن ذا الى كونهم أدلاء .

تمرين أول

بيّن الكناية باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

- ١ - بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حممر مواضعنا ^(١)
- ٢ - أبيني أفي يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك ^(٢)
- ٣ - ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ^(٣)
- ٤ - ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ^(٤)
- ٥ - روي أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت : أشكو إليك قلة الفأر في بيتي فقال : ما أحسن ما روت عن حاجتها ، املئوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .
- ٦ - وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ ذَمُّواهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
- ٧ - تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو ق إليها حيث النحول

تمرين ثان

- ١ - قوم ترى أرحامهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتان
- ٢ - وإن ذكر المجد ألفتته تآزر بالمجد ثم ارتدى
- ٣ - ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار
- ٤ - ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ ^(٥)
- ٥ - تعرضت عجوز لسليمان بن عبد الملك فقالت : يا أمير المؤمنين مشيت جردان بيتي على العصي ، فقال لها : ألطفت في السؤال ، لا جرم لأردنها تشب وثب الفهود ، وملأ بيتها حباً .
- ٦ - اللباس المجد لم تنسج غلائله إلا يد الصانعين السيف والقلم
- ٧ - ولما سقط في أيديهم

(١) الصنائع: جمع صنعة وهي الاحسان ، والرابع: جمع مربع الوضع يتربعون فيه زمن الربيع ، والمواضي العيوف .
 (٢) فان الشيء النفيس يحتفظ به في اليد اليمنى عادة ، والذي لا يؤبه له يوضع في اليسرى .
 (٣) ينشأ يربي ، والخصام الجدل (سورة الزخرف) .
 (٤) سورة البقرة الآية ١٧٤ .
 (٥) سورة القصص الآية ٣٥ .

نموذج عام في البيان

- ١ - جاء في بعض الجرائد أن ظفر الزعيم سعد زغلول في الانتخابات يسيل له لعاب ساسة الغربيين ، فجميع الروابي التي نشهدها في جميع الأقطار لا تبلغ سفح هذا الجبل .
- ٢ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس تخضوب البنان يمين

الاجابة

- ١ - في جملة يسيل الخ ، كناية عن صفة هي الشوق اليه من نوع التلويح ، إذ ينتقل الذهن من سيل اللعاب الى الشيء ، الى شهوته وميل النفس اليه ومحبتها له ، وفي الروابي استعارة تصريحية أصلية مجردة فقد شبه الزعماء بالروابي يجمع العظم وجلالة القدر في كل والقرينة حالية ، وفي قوله : تبلغ سفح هذا الجبل ، استعارة تصريحية مرشحة بكلمة سفح والقرينة حالية .
- ٢ - في نقض النأي مجاز عقلي علاقته السببية لأن البعد سبب النقض وخلف العهد ، وفي العهد استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالجبل يجمع أن كلا يفيد الربط ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف لفظ المشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية ، وإثبات النقض للعهد استعارة تخيلية وهي قرينة المكنية ، وفي البنان مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن التي تخضب هي الكف كلها ، وفي يمين مجاز مرسل علاقته السببية إذ المراد وفاء باليمين وإنفاذ لما حلفت عليه ، وفي تخضوب البنان كناية عن موصوف وهي المرأة من نوع الإيحاء والإشارة ، والشرط الثاني كله استعارة تمثيلية ، لأنه جار مجرى المثل .

مزايا دراسة البيان في صوغ مختلف الأساليب

رأيت فيما سلف ألواناً مختلفة من التعبير وضروباً متنوعة من البيان ، يستطيع المتكلم أن يجعلها قبلة أنظاره اذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بفرضه وأبلغ لمقصده ، ويحسك بها ما شاء أن يحسكه من شريف المعاني التي تجيش بخاطره وتعلق بصدرة فإذا طرق باب المديح وأراد وصف بمدوحه بالكرم والجود أمكن أن ينمو نحو مسلم بن الوليد حين مدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل فقال :

ولو أن في كبد السماء فضيلة
يازيد آل يزيد ذكرك سؤدد
لسما لها زيد الجواد فزالا
باق وقربك يطرد الإحلالا
نفعات كفك يا ذؤابة وائل

فيؤدي المعنى على حقيقته دون مبالغة ولا إغراق ، أو حين يمدح جعفر بن
يحيى البرمكي فيقول :

تداعت خطرب الدهر عن جابر جعفر
هو البحر يغشى سرة الأرض سديه
وأمسك أنفاس الرغائب سائله
وتدرك أطراف البلاد سواحله
لجاد بها فليتق الله سائله

فهو قد شبهه بالبحر اللجي ، نعم فيضه الآفاق ، وتدرك سواحله أطراف
البلاد ، أو نحو أبي نواس وهو يمدح الخطيب :

أنت الخطيب وهذه مصر
ويحق لي إذا صرت بينكما
فتدافعا فكلاكما بحر
ألا يحل بساحي فقر

فجعله كالبحر المتدفق الذي إذا حل ببلدة عمها الخصب وفارقها الجذب ، أو
نحو قول البحاري يمدح يوسف بن محمد :

أدراهم الأولى بدارة جُلُجُل
وجاءك يحكي يوسف بن محمد
سقاك الحيا روحاته وبواكره
فروثك رباه وجادك ماطره

إذ لم يشأ إلا أن يجعل الغيث يشبهه في فيضه ، وبالغ في التشبيه ، وافتن في
الأسلوب ، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر ، ثم انظر إلى
قول الآخر :

إذ ما رأيت رأيت البحر يبسط كفه
فقد لجأ في وصف ممدوحه بالكرم إلى الاستعارة المصراحة وهي كما تعلم أبلغ
من التشبيه وأعلى كعباً لما فيها من دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، وقول
أبي العتاهية :

للجود باب في الأنام ولم تزل
يمناك مفتاحاً لذاك الباب

فقد جعل للجود باباً مفتاحه في يد الممدوح البمنى على سبيل الاستعارة المكنية
وقول المتنبي في مدح كافور :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فصور لك ما يلقاه قاصدو ممدوحه من الغنى والثروة ، وأن من لا ينبغي
سواه ، كما أن من قصد البحر تأبى همة أن ينظر الى الجداول والغدران .
وهذه استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذي تحس به وتتذوقه ،
وقول أبي نواس في الفضل بن الربيع :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة من جود كفك تأسو كل ما جرحا
فأضاف الجود الى الكف ، والجود ينسب عادة الى الممدوح من قبيل إضافة
ما للكل الى الجزء على سبيل المجاز المرسل ، وقول مسلم :
تظلم المال والأعداء في يده لا زال للمال والأعداء ظلاما
إذ كنى عن كثرة عطاياء وقتاله للأعداء وإفناؤه إياهم بالتظلم من يده .
والكناية أثرها البعيد في تثبيت المعنى في النفس وحسن تصويرها ، فهي
تهش له وترتاح .

فها أنت ذا قد رأيت في وصف الجود ضرباً وألواناً مختلفة من التعبير وفنوناً
شق من القول ، وهكذا ينفصح مجال الكلام أمام البليغ ، وتتشعب طرقه في
أي معنى من المعاني التي يقصد القول فيها ، ولكن بعضها كما رأيت أبلغ من بعض
بالنظر الى مقتضيات الأحوال ، فما يصلح لمقام لا يصلح مثله لآخر ، وهذا هو سر
البلاغة ، فقد يكون المقام داعياً الى التشبيه لا الاستعارة ، وقد يكون الأنسب
العكس ، فقد يكون المقام يدعو الى الكناية .

فتلك الصور المختلفة والأساليب المتنوعة هي موضوع علم البيان الذي درست
مسائله ، فإذا أنت جمعتها رائدك في صوغ المعاني ، هدتك الصراط المستقيم ،
وبلغت بك الغاية التي تسعى اليها .

ولكن دراسة العلم وحدها ، والوقوف على شواهد يسيرة من كلام الفصحاء
والبلغاء لا يبلغان بك الى المقصد ، كما لو درست قواعد الحساب مثلاً وحللت
مسائل قليلة لكل قاعدة ، فإن هذا لا يكسبك الملكة التي بها تستطيع أن تحل
كثيراً من المسائل ، بل لا بد للملكة من التمرين وممارسة حل كثير من المسائل
المختلفة ، حتى تتكون لديك .

فبلاغة القول ورشاقة التعبير ورصانته وإصابة المرمى من نفس السامع تحتاج
الى إدمان القراءة في كتب الأدب ، والوقوف على متنوع الأساليب ، من أقوال
الكتاب والشعراء والخطباء ، وحفظ ما يمكنك حفظه من منشورهم ومنظومهم .
ولا نرى كاتباً بليفاً ولا شاعراً مجيداً إلا جال في مختلف الأساليب الشعرية
والنثرية جولة صادقة ، وروى عن عذبتها ، وغاص في بحارها ، واستخرج
من دررها .

فعليك أيها القارىء من الإكثار من القراءة فيما خلفه لنا العرب من تراث أدبي
من التنظيم والنثر في مختلف العصور ، فإنك إن فعلت ذلك ظفرت بملكة مواتية
وحظ من الأدب عظيم .

علم البديع

البديع لغة : الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم ، تقول : بدع الشيء وأبدعه ، فهو مبدع ، وفي التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدِعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (١).

واصطلاحاً : علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين (٢).

(واضعه) أول من دوّن قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم «البديع» ذكر فيه سبعة عشر نوعاً وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره ». ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتاباً سماه «نقد قدامة» ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً زيادة على ما أملاه ابن المعتز .

ثم جاءت التآليف تترى ، فألف فيه أبو هلال العسكري وجمع سبعة وثلاثين نوعاً ، ثم ابن رشيق القيرواني فجمع مثلها في كتاب «العمدة» ، ثم جاء شرف الدين النيفاشي فبلغ بها السبعين .

ثم ألغت البديعيات ، فألف زكي الدين بن أبي الأصبع بديعيته ، وأوصل الأنواع إلى التسعين ، ثم جاء بعده صفى الدين الحلبي فأوصلها إلى مائة وأربعين ، ونظم قصيدة ميمية في مديح النبي ﷺ ، وذكر اسم كل نوع في بيت .

(١) سورة الاحقاف الآية ٩ .

(٢) أي فالاستفاد من علم البديع الحسن العرض ، والمستفاد من العلمين السالفين الحسن الذاتي .

ومن بعده جاء عز الدين الموصلي فذكر مثل ما ذكره سالفه ، مع زيادة يسيرة من ابتكاره ، وهكذا ارتقت التأليف صعداً وزيدت الأنواع وكبرت البديعات في هذا العلم كبديعة ابن حجة الحموي وقد شرحها في كتاب سماه «خزانة الأدب» وبديعة عبد الغني النابلسي وقد جاوز بها المائة والستين نوعاً .

أقسام المحسنات

تنقسم المحسنات الى قسمين :

١ - محسنات معنوية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى المعنى أولاً وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين^(١) اللفظ أيضاً كالطباق بين يسرّ ويعلن في قوله تعالى : ﴿ يعلم ما يسرّون وما يعلنون ﴾^(٢) ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقليل مثله : يعلم ما يخفون وما يظهرون ، لم يتغير المحسن المذكور .

٢ - محسنات لفظية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحياناً تبعاً كالجناس في قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾^(٣) ، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني الى ما يرادفه زال ذلك المحسن ، فلو قيل : ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلاً لضاع ذلك المحسن .

المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة ، لكننا رأينا ألا نذكر منها إلا ما اشتهر أمره ، وأهم النادر والشاعر علمه :

(١) كما سيأتي في العكس في قولهم عادات السادات سادات العادات فإن في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ، ففيه للتحسين اللفظي والغرض الأصلي الاختصار بمكس الاضافة مع وجود الصعة .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٧ .

(٣) سورة الروم الآية ٥٥ .

الطباق - المطابقة - التكافؤ - التضاد

هو لغة الجمع بين الشيئين ، واصطلاحاً الجمع بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو العدم والملكية أو التضاف ، أو ما شابه ذلك ، وسواء كان ذلك المعنى حقيقياً أو مجازياً ^(١) .

وهي تنقسم أولاً إلى :

(أ) مطابقة بلفظين من نوع واحد ، سواء أكانا اسمين ، نحو : ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم زُقود ﴾ ^(٢) ، أم فعلين نحو : ﴿ تَوَتَّى الْمَلِكُ مَن نَّشَاء وَتَنَزَّعَ الْمَلِكُ مَن نَّشَاء وَتَعَزَّزَ مَن نَّشَاء وَتَنَزَّلَ مَن نَّشَاء ﴾ ^(٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا لِكُتُوبِهِمْ عَلَى الْفَرْعِ وَتَلْقَوْنَ عِنْدَ الطَّمْعِ ﴾ ، أم حرفين نحو : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ^(٤) ، وقول القائل :

ركبنا في الهوى خطراً فإما لنا ما قد ركبنا أو علينا

(ب) مطابقة بلفظين من نوعين نحو : وأحيي الموتى بإذن الله ، وقوله :

قد كان يدعى لابس الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يحز

والتقابل إما ظاهر كما سبق وإما خفي نحو : أشداء على الكفار رحماء بينهم فإن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدّة ، وقول أبي تمام :

ما الوحش إلا أن هاتاً أو إنس قنى الخط إلا أن تلك ذوابل

لما في هاتان من القرب وتلك من البعد .

ثانياً إلى :

(أ) طباق الإيجاب كما سلف لك من الأمثلة .

(ب) طباق السلب ، وهو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي ،

(١) مثله أر من كان ميتاً فأحييناه .

(٢) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٤) لأن في اللام معنى النعمة وفي عل معنى المضرة ، لأن للام تشعر بالملكية المؤنثة بالانتفاع وعل تشعر بالملو الدال على التحمل المؤن بالضرر (سورة البقرة) .

أو أمر ونهي ، كقوله تعالى : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ ^(٢) .

ومن الطباق ما سماه بعضهم التديبج من ديج الأرض زينها ، واصطلاحاً أن يذكر في معنى كالمذبح وغيره ألوان لقصد الكناية أو التورية .

فتديبج الكناية كقول أبي تمام يرثي أبا نهشل محمد بن حميد :

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر
فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر وعن دخول الجنة بخضر السندس ،
إذ هو من شمار أهلها ، وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل الطباق .

وتديبج التورية كقول الحريري : فمذازور المحبوب الأصفر واغبر العيش
الأخضر ، اسودّ يومي الأبيض وابيضّ فودي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق
فيما حبذا الموت الأحمر ، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر إنسان ذو صفرة ،
والبعيد الذهب ، وهو المراد هنا ، فيكون تورية ، وأما بقية العبارة فكناية ^(٣)
ويلحق بالطباق شيان أحدهما ما يسمى : إيهام التضاد ، وهو الجمع بين معنيين
غير متقابلين ، معبراً عنها بلفظين متقابلين ، كقول دعبل الخزازي :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فإن ضحكك بمعنى ظهر ، وبكى بمعناه الحقيقي .

وثانيها : الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسبية
واللزوم ، كقوله تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ﴾ ^(٤) فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون ^(٥) .

(١) سورة الكهف الآية ٢٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) اخضراء العيش كناية عن طيبه ونعمته ، والاغبرار عن ضيقه ، والفودان شعر جانبي الرأس مما يلي الأذنين .

(٤) سورة القصص الآية ٧٣ .

(٥) وإنما عدل عن الحركة الى ابتغاء الفضل من قبل أن الحركة ضربان : حركة لمصلحة
وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية .

المقابلة

ومن الطباق نوع يخص باسم المقابلة، وهي أن يؤتي بمعينين متوافقين أو أكثر ثم يؤتي بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب .

فمقابلة اثنين باثنين كقوله ~~ويعطيه~~ لأم المؤمنين عائشة: « عليك بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » .
وقول النابغة الجعدي:

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى: ﴿يَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثُ﴾ (١) .

وقول المتنبي:

فلا الجود يفني المال والجدّ مقبل ولا البخل يبقي المال والجدّ مدبر

ومقابلة أربعة بأربعة ، نحو: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْإِسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيْسِرْهُ لِلْعُسْرَى﴾ (٢) وتتضح لك مقابلة اتقى باستغنى اذا علمت أن المراد بالاستغناء الزهد فيما عند الله كأنه استغنى عنه ، فلم يتق ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة ، فلم يتق .

ومقابلة خمسة بخمسة (٣) كقول أبي الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثى وبياض الصبح يفري بي

ومقابلة ستة بستة كقول الآخر (٤):

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الليل الآيات ٥ و ٦ و ٧ .

(٣) كذا ذكر الواحدي في شرحه لدبوان أبي الطيب ، قال في الايضاح : وفيه نظر لأن لي وبى صلتان ليشفع ويفري ، فهما من تمامها بخلاف اللام وطن في قوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

(٤) نسبه بعض المحواشي لعنترة .

مراعاة النظر - التناسب - الانتداب

هي أن يجمع في الكلام بين أمرين ، أو أمور متناسبة ، لا بالتضاد ، وبالقييد الأخير يخرج الطباق .

فاجمع بين أمرين كقوله تعالى : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ (١) .

وبين ثلاثة كقول البحاري يصف إبلا بالإنضاء والجزال :

« كالقسي المعطّفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار »

فقد اختار تشبيهها بالقسي دون المراجين والأطناب (٢) مثلاً من أجل أن أراد تشبيهها بالأسهم والأوتار ، فيحصل بذكرها معها ملازمة لا تحصل بدونها .
وبين أربعة كقول بعضهم للوزير المهلي : أنت أعم الوزير إسماعيلي الوعد ،
« شعبي » التوفير ، يوسف العفو ، محمدي الخلق .

وبين أكثر من أربعة كقول ابن رشيقي :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندي من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث تروها السيول عن الحيا عن البحر عن جود الأمير تميم

فقد لائم بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا ، أي المطر والبحر ، وكف تميم ، وبذا صار الكلام ملتئم النسيج ، بحكم التأليف والحوك ، مع ما أدخله في البيت الثاني من حسن الصنعة ، إذ أتى بصحة الترتيب في العننة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سند الأحاديث ، ألا ترى أن السيول أصلها المطر ، وهو أصل البحر ، وهو أصله كف المدوح على حسب ما ادعاه مبالغة في المدح .

تشابه الأطراف

من مراعاة النظر ما يسمى : تشابه الأطراف ، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى كقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار » وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣) .

(١) سورة الرحمن الآية ٥ .

(٢) العراجين جمع عرجون ، الكيامة والاطناب جمع طنب جبل الخيمة ونحوها .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً ، لأن الحبير من له علم بالخفيات ، ومن جملة الخفيات بل الظواهر الأبصار فيدر كها . ويلحق بها ما يسمى إلهام التناسب ، وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظ يكون لهما معنيان متناسبان ، وإن لم يكونا مقصودين هنا ، كقوله تعالى : ﴿ والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ﴾ ^(١) ، فالنجم هنا النبات الذي لا ساق له كالقول وهو أن لم يكن مناسباً للشمس والقمر يوم نجم السماء وهو مناسب لهما .

الارصاد - التسهم

الارصاد لغة نصب الرقيب في الطريق والتسهم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سهام واصطلاحاً أن يحمل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمها عند معرفة الروي ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحازي إلا الكفور ﴾ ^(٢) ، وقول البحري :

أحلت دمي غير 'جرم وحرمت
فليس الذي حلتته بمحلل
بلا سبب يوم اللقاء كلامي
وليس الذي حرمته بحرام

فالسامع إذا وقف على قوله تعالى : وهل يحازي ، بعد الاحاطة بما تقدم علم أنه ليس (إلا الكفور) ، والحاذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في يتسّى البحري أن ليس عجزه إلا ما قاله .

المشاكلة

هي لغة المائلة واصطلاحاً ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ ، فالأول كقوله عز وعلا : ﴿ وجزاء سينة مثلها ﴾ ^(٣) ، إذ الجزاء على السينة ليس بسينة في الحقيقة لكنه سمي سينة للمشاكلة اللفظية ، وقوله ^(٤) : « إن الله لا يملّ حتى تملّوا » ^(٤) ، فقد وضع : لا يمل ، موضع : لا يقطع عنكم ثوابه .

(١) سورة الرحمن الآيتان ٦ و ٧ .

(٢) سورة سبأ الآية ١٧ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٤) المعنى إن الله لا يقطع عنكم نعمه وفضله حتى تملوا عن مسأله .

وقول أبي الرقعمق ، وقد نظرف ما شاء :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقيصاً

فقد عبر عن خياطة الجبة بالطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام .

والثاني كقوله تعالى : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ ﴾ (١) ، وهو مصدر مؤكد لأننا بالله ،

والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .

وأصل ذلك أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه

الممودية ، ويقولون إنه تطهير لهم ، فعبّر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة الحالية (٢) .

المزاوجة

هي لغة مصدر زواج بين الشيتين قرن بينهما ، واصطلاحاً أن يجمع بين الشرط

والجزء في ترتب لازم من اللوازم عليها معاً نحو :

إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرت لها فازداد مني غرامها

فقد زواج بين معنيين هما بدوها وظهورها ونظره لها في الشرط والجزء في

أن ترتب عليها لزوم شيء ، وهو ازدياد الجمال وازدياد الغرام .

ونحوه قول البحترى :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى أصاخ الى الواشي فلج به الهجر

فقد جمع بين الشرط والجزء في لزوم شيء وهو لجاج الهوى ولجاج الهجر ،

ولا يخفى ما في ترتب لجاج الهوى على النهي من المبالغة في الحب لاقترانه أن

ذكرها ولو على وجه العتب يزيد حبها ويثيره كما قال :

أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليعلمني اللوم

(١) سورة البقرة الآية ١٣٨ .

(٢) فإن الصبغ ليس بذكور في كلام الله ، ولا في كلام النصارى لكن لما كان غمسم أولادهم في الماء الأصفر يستحق أن يسمى صبغاً وإن لم يتكلموا بذلك حين الغمس وكانت الآية نازلة في سياق ذلك الفعل كان لفظ الصبغ مذكور ، إذ أن المسلمين أمروا أن يقولوا : صبغنا الله تعالى بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغكم .

ومأ في ترتب لزوم الهجران على وشي الواشي من المبالغة في كون حبه على
شفا 'جرف' ، إذ يزيله مطلق الوشاية ، فكيف يكون لو سمع أو رأى عيباً ،
كما قال الآخر :

ولا خير في ود ضعيف 'تزيله' هواتف وهم كلما عرضت جفا

العكس - التبديل

هو أن تقدم في الكلام جزءاً ، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتأخر ما قدمت
وهو على وجوه ، منها :

١ - أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو قولهم :
عادات السادات سادات العادات (١) ، فالعادات أحد طرفي الكلام ، والسادات
مضاف الى ذلك الطرف ، وقد وقع العكس بينها بأن قدم أولاً العادات على
السادات ثم السادات على العادات .

ونحوه قول بعضهم لآخر : لم لا تفهم ما يقال ؟ فأجاب : لأنك لم تفهم
ما يفهم .

وقول متصدق : لا سرف في الخير ، ردأ على من اتهمه بالتبذير ، وقال له :
لا خير في السرف .

وقول المتنبي :

أرى كل ذي ملك اليك مصيره	كأنك بحسر والملوك جداول
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة	فوابلهم طل وطلثك وابل

٢ - أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو : يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي .

وقول الحماسي :

رمى الحدثان نسوة آل حرب	بأمر قد سجدن له سمودا (٢)
فرد شعورهن السود بيضاً	ورد وجوههن البيض سودا

(١) أي أن العادة التي تصدر من سيد الناس هي العادة الحسنی التي تستحق أن تسمى
سيدة العادات .

(٢) الحدثان نواب الدهر ومصائبه ، وسد لها : غفل .

٣ - أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو : ما عليك من حسابهم من شيء ، يوماً من حسابك عليهم من شيء ، وقول الحسن البصري : إن من خوفك حق تلقى الأمن خير من آمئك حق تلقى الخوف ، وقول المتنبي :
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

الرجوع

هو رجوع المتكلم الى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتة كالتحسر والتعجز في قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بل وغيرها الأرواح والديم
فإنه حين وقف على الديار دهش^(١) وذهل ، فأخبر بما هو غير حاصل فقال :
لم يعفها القدم ثم تاب اليه رشده فتدارك كلامه وقال : يلي وغيرها الأرواح والديم .
ونحو قول الحماسي :
ليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل

التورية^(٢) - الإيهام - التخيير

هي لغة مصدر وري الخبر إذا ستره وأظهر غيره ، واصطلاحاً أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان ، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد ، وهو ليس بمراد ، ومن ثم سميت إيهاماً ، كقول
أصلاح الصفدي :

وصاحب لما أفاه الفنى فاه ونفس المرء طمأحه
وقيل هل أبصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

فللراحة معنيان : قريب ، وهو الكف ، وهو المتبادر بقرينة ذكر اليد ، وبميد مراد وهو ضد التعب .

(١) أي فطن الشيء واقفاً وليس هو كذلك ثم عاد الى إبطاله بعد أن أفاد فأكبر بالحقيقة مع التأسف على قوات ما رغب فيه والتعسر على ما رأى .

(٢) الفرق بينها وبين المجاز والكتابة أنه لا يعتبر بين معنى التورية لزوم وانتقال من أحدهما الى الآخر ولا علاقة بينها كذلك بخلافها .

ونحوه قول الآخر:

أيها المعرض عنا حبسك الله تعالى

وقول البخاري صاحب دمية القصر:

يا خالق حملت الوري لما طفئ الماء على جاريه
وعبدك الآن طفئ ماؤه في الصلب فاحمله على جاريه

وهي ثلاثة أضرب :

١ - مجردة ، وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب ، نحو قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ^(١) ، للاستواء معنيان : أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لأن الحق تعالى منزّه عن ذلك ، والثاني : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور .

وقول أبي بكر ، وقد سئل عن النبي ﷺ حين الهجرة ، فقبل له : من هذا ؟ فقال : « هاد يهيني » ، أراد أبو بكر : هادياً يهيني إلى الإسلام ، لكنه ورى عنه بهادي الطريق ، وهو الدليل في السفر .

٢ - مرشحة ، وهي التي يذكر فيها لازم المورى به ، وهو المعنى القريب ، وهي قسيان :

(أ) قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى : ﴿ والسماءُ بنيناها ﴾ ^(٢) بأيد ، فاليد هنا القدرة ، وهي المعنى البعيد ، وقد قرنت بالبناء الذي يناسب المعنى القريب ، وهو الجارحة ، ونحو قوله :

حملناهم طراً على الدّم بعدما خلعنا عليهم بالطعام ملابسا

فالمعنى القريب للدم الحيول السود ، وهو ليس بمراد ، والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد ، ورشح التورية بذكر حملناهم المناسب للمعنى القريب .

(ب) قسم يذكر بعدها ، كقوله :

(١) قال الزمخشري: ولا ترى باباً في البيان أدق وألطف من هذا الباب ولا أعون على تعاطي تأويل المشبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين (سورة طه) .
(٢) سورة الذاريات الآية ٤٧ .

أقلعت عن رشف الطلا والشم في خد الحبيب
وقلت هذي راحة تسوق للقلب التعب^(١)
فالمعنى القريب للراحة ضد التعب وليس بمراد ، والآخر بمعنى الحجر ، وهو
المراد ، ورشحه بذكر التعب بعده .

٣ - مبينة ، وهي ما قرنت بما يلائم المعنى البعيد ، كقول ابن سناء الملك :
أما والله لولا خوف سخطك لهان عليّ ما ألقى برهطك^٢
ملكك الخافقين فتبت عجباً وليس مما سوى قلبي وقرطك
فالمعنى القريب للخافقين : المشرق والمغرب ، وإذا ليس بمراد ، والمعنى البعيد
المراد القلب ، والقرط ، وقد بينه الشاعر بالنص عليه .

الاستخدام

هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر ، أو إعادة
ضميرين عليه تريد بثانيتها غير ما تريد بأولها ، فالأول كقوله تعالى : فمن شهد منكم
الشهر فليصمه ، فالمراد بالشهر الهلال وبضميره الزمان المعلوم .

وقول ابن معنوق الموسوي المتوفى سنة ٥١٠٢٥ :

تالله ما ذكر العقيق وأهله إلا وأجراه الغرام بمحجري

إذا المراد بالعقيق الوادي الذي بظاهر المدينة ببلاد الحجاز وبالضمير الذي
يعود إليه الدم الأحمر الشبيه بالعقيق .
والثاني ، كقوله :

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متم لج في الأشواق خاله

فقد أراد بالعقيق أولاً المكان ، ثم أعاد اسم الإشارة إليه بمعنى الدم .

والثالث ، كقول شوقي يخاطب الإله جل وعلا :

العقل أنت عقلته وسرحتته وأحرته فيك دليله وأرحته

آتيتسه الحجر الأصم ونحته والنجم يعبد فوقه أو تحته^(٢)

(١) الطلا ما طبع من عصير العنب ، والحبيب الفقاعيغ التي تملو في الكأس .
(٢) أحرته أي بالشك وأرحته أي باليقين ، ومفعول يعبد محذوف أي يعبدك .

فالنجم يطلق على ما لا ساق له من النبات وعلى الكواكب وقد أعاد إليه
الضمير الأول في فوّه بمعناه الأول ، وفي تحته بمعناه الثاني .
ونعوه قول البحّاري :

فسقى الفضا والساكنيه وإن هو شبهه بين جوانح وقلوب^(١)
فقد أراد بضمير الفضا في قوله : والساكنيه المكان ، وفي قوله : شبهه ، أي
أوقدوه الشجر .

الف والنشر

هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين ،
اتكالا على أن السامع يرد الى كل ما يليق به لوضوح الحال^(٢) .
فالمفصل قسمان :

١ - إما مرتب ، كقوله تعالى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ، فقد 'جمع بين الليل والنهار بواو العطف ، ثم أضيف الى
كل ما يليق به ، فأضيف السكون الى الليل ، لأن فيه النوم والراحة ، وابتغاء
الرزق الى النهار لما فيه من الكد والعمل .
وقول ابن حيّوس :

فهل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وربقه

٢ - وإما بعكس ترتيب اللقب ، كقول ابن حيّوس أيضاً :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا

فاللحظ للغزال والقذ للفصن والردف للحقف وهو الرمل المتراكم .

والمجمل ، كقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً
أو نصارى ﴾^(٣) .

(١) الفضا : شجر شديد الاشتعال ، يريد الدعاء له ويطلب لأحبابه التازلين به السقيا ، وإن
أحرقوا قلبه بنار الجوى .

(٢) أما لفريضة لفظية أو معنوية فالأولى كما تقول رأيت شخصين ضاحكاً وعابسة ، فتأنيث
عابسة دل على أن الشخص العابس هي المرأة والضاحك هو الرجل والثانية كما تقول : لقيت الصاحب
والعدو فأكرمت واهنت .

(٣) سورة البقرة الآية ١١١ .

فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل الالف (١) ، ثم أضيف ما لكل اليه
بعد ، إذ التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى
لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً .

ونحوه قوله عليه السلام : « فإنت المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله
فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا بدري لعله لا يصل اليه » .

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين مختلفين ، أو أكثر ، في حكم واحد ، كقوله تعالى :
﴿ إِنَّمَا الْحَرُّ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٢) .

وقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة (٣)

وقول ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجّون فجوم

التفريق

هو أن يعتمد المتكلم الى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهما تبايناً
في المدح أو الذم أو غيرهما كقول الطواط في المدح :

ما نوال الفهام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين ونوال الفهام قطرة ماء (٤)

وقول صفي الدين الحلي :

فوجود كفيه لم تقلع سحائبه عن العباد وجود السُّحب لم يدم (٥)

(١) لف بين قولي الفريقين ، فلم يبين مقول كل فريق ، ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله
لما علم من تعادي الفريقين .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٣) الجدة الاستثناء ، يقال : وجد في المال وجداً بتثليث الوار وجدة أيضاً .

(٤) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

(٥) أقلعت السحابة : ذهبت .

التقسيم

هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التبيين، ويقيد التبيين بخرج اللف فإنه لا تبيين فيه ، بل الأمر موكول الى السامع ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ (١).

وقول أبي تمام :

فما إلا الوحي أو حد مرهف	تيل طباه أخذعي كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم	وهذا دواء الداء من كل جاهل (٢)

وللتقسيم إطلاقان آخران :

١ - ذكر أحوال الشيء مضافاً الى كل حال ما يليق بها، كقول علي كرم الله وجهه : « أحسن الى مَنْ شئت تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى مَنْ شئت تكن أسيره » .

وقول أبي الطيب :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ	كأنهم من طول ما التشموا 'مرء'
ثقال اذا لا قوا خفاف اذا دعوا	كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

وقوله أيضاً :

بدت قمرأ ومالت خوط بان	وفاحت عنبرأ ورنث غزالا (٣)
------------------------	----------------------------

٢ - استيفاء أقسام الشيء كقوله عيسى عليه السلام : « هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » .

وقول أبي تمام :

إن يعملوا الخير يخفوه وإن علموا	شراً أذاعوا، وإن لم يعملوا كذبوا
---------------------------------	----------------------------------

وقول نصيب :

فقال فريق القوم: لا وفريقهم	نعم وفريق واين الله ما ندرى
-----------------------------	-----------------------------

(١) سورة القارعة الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

(٢) الوحي الإشارة والمرهف السيف والطبا حد السيف والاخذعان عرقان في صفحتي العنق .

(٣) الخوط الغصن الناعم لسته ، والبان شجر سبط القوام لين ، ورفنا نظر .

الجمع مع التفريق

هو أن يجمع بين شيئين في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال ، كقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ (١).

وقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جمعه في الوجه الضوء والدمعان وفي القلب الحرارة والاحتراق .

وقول البحاري :

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائني البدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

الجمع مع التقسيم

هو جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ، ثم تقسيمها أو تقسيمها ثم جمعها ، فالأول كقول المتنبي يمدح سيف الدولة حين غزا خرشنة بأرض الروم ولم يفتحها :

حق أقسام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبسيع
للسبي مانكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا (٢)

فقد جمع البيت الأول شقاء المقيمين بنواحي تلك البلدة بما يلحقهم من الإهانة ثم فصله في البيت الثاني .

والثاني كقول حسان :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية " تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

(١) سورة الإسراء الآية ١٢ .

(٢) خرشنة بلد بديار بكر ، وأرباض البلد ما حولها (الضواحي) وحتى متعلقة بما قبلها ، وهو قوله :

فاد المقائب أقصى شربها نهل مع الشكيم وأدنى سيرها سرع
وبعدهما :

الدهر ممتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبّع

قسم في البيت الأول صفات المدرجين قسمين ضر الأعداء ، ونفع الأولياء ، ثم جمعها في البيت الثاني بقوله : سجية تلك ، ثم أشار إلى شر الأخلاق ما كان مستحدثاً مبتدعاً لا ما كان غريزة وجبلة .

الجمع مع التفريق والتقسيم

هذا النوع جامع للأنواع الثلاثة المتقدمة ، وقد مثلوا له بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ^(١) فالجمع في قوله تعالى : يوم يأتي لا تكلم نفس ، لأن النفس متعددة في المعنى إذ هي نكرة في سياق النفي تعم ، والتفريق في قوله عز وجل : فمنهم شقي وسعيد ، والتقسيم في قوله عز وعلا : فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا .

ومن هذا النوع أيضاً قول ابن شرف القيرواني :

للمتلفي الحاجات جمعٌ ببابه	فهذا له فنٌ وهذا له فن
فالعامل العليا والمعدم الغنى	وللهذنب العتبي وللخائف الأمن

التجريد

هو لغة : إزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحاً هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أو أكثر ، أمر آخر أو أكثر مثله فيها ، لإفادة المبالغة بادعاء كمال الصفة في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغاً يصح أن ينتزع منه موصوف آخر متصف بتلك الصفة ، فهي فيه كأنها تفيض بمثلاتها لقوتها كما يفيض الماء عن ماء البحر .

وهو أقسام :

١ - ما يكون بن التجريدية كقولهم : لي من فلان صديق حميم ، بلغ فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر مثله فيها .

(١) سورة هود الآية ١٠٧ و ١٠٨ .

٢ - ما يكون بالباء التجريد: الداخلة على المنتزع منه ، نحو : لئن سألت فلاناً للتسألن به البحر ، فقد بالغ في اتصافه بالسباحة حتى انتزع منه بجرأ فيها .

٣ - ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع كقوله :

وشوهاً تعدو بي الى صارخ الوغى بمستلثم مثل الفنيق المرحل^(١)

يريد أنها تعدو بي ومعني من نفسي لكمال استعدادها للحرب .

٤ - ما يكون بدخول (في) على المنتزع منه ، نحو قوله تعالى : ﴿لهم فيها دار الخلد﴾^(٢) ، فإن جهنم هي دار الخلد ، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلاً لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة .

٥ - ما يكون بدون توسط حرف ، نحو قول قتادة بن مسعدة الخنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

يعني بالكريم نفسه وقد انتزع من نفسه كريماً للمبالغة في كرمه .

٦ - ما يكون بطريق الكناية ، نحو قول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا

يريد أنه يشرب الكأس بكف الجواد ، فقد انتزع من المخاطب وهو الممدوح جواداً يشرب هو أي الممدوح بكفه على سبيل الكناية^(٣) لأنه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ، ومن البين أنه يشرب غالباً بكف نفسه ، فهو حينئذ ذلك الكريم .

٧ - ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه فينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر

مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ويخاطبه كقول الأعشى :

ودع هريرة أن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(١) وشوهاً أي فرس قبيحة المنظر لسة أشتاقها ، والمستلثم : اللابس الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم .

(٢) سورة فصلت الآية ٢٨ .

(٣) حيث أطلق اسم الملزوم الذي هو نفى الشرب بكف البخيل على اللازم ، وهو الشرب بكف الكريم يعني نفسه .

(تبيينان) الأول - قال أبو علي الفارسي في سر تسمية هذا النوع بهذا الاسم أن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره وهو هو بعينه ، كقولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألتك لتسألن منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر إلا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه أو متميزاً منه .

ثم قال : وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقول غيره ، كما فعل الأعشى في قوله :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل »

الثاني - لهذا الضرب من الكلام فائدتان :

إحداهما : التمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره لأنه موجه خطابه الى غيره فيكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقول .
ثانيتهما : طلب التوسع في الكلام ، وذا من مزايا اللغة العربية .

المبالغة - آراء العلماء فيها - أقسامها

هي ادعاء^(١) بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حداً مستحيلًا أو بعيداً
آراء العلماء فيها : للعلماء في المبالغة ثلاثة آراء :

١ - الرافض مطلقاً ، وحجتهم أن خير الكلام ما خرج نخرج الحق وجاء على منهاج الصدق من غير إفراط ولا تفريط ، كما قال حسان :

وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس إن كينسا وإن خجعا
فإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

٢ - القبول مطلقاً ، وحجة أولئك أن خير الشعر أكذبه ، وأفضل الكلام ما بولغ فيه .

٣ - التوسط بين الأمرين ، فتقبل مع الحسن إذا جرت على منهج الاعتدال ، وهذا رأي جمهرة العلماء ، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة ،

(١) إنما يدعي ذلك خوفاً من أن يظن أن ذلك الوصف غير متناه في الشدة أو الضعف ، بل هو متوسط أو دون المتوسط .

وقد إذا جاءت على جهة الإغراق والغلو، ويندم مستعملها، كما درج على ذلك أبو نواس وابن هانئ، الأندلسي والمتني وأبو العلاء، وغيرهم.

(أقسامها) - أقسام المبالغة ثلاثة ^(١) : تبليغ وإغراق وغلو، لأن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً في نفسه أولاً والثاني الغلو، والأولى إما أن يكون ممكناً في العادة أولاً، الأول: التبليغ، والثاني: الإغراق: ١ - فالتبليغ ^(٢) ما يكون المدعي فيه ممكناً عقلاً، وعادة، كقول امرئ القيس:

فعمادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً فلم ينضح بماء فيفسل ^(٣)
فقد وصف هنا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيتين في مضمار واحد ولم يعرق، وذلك مما لا يمتنع عقلاً ولا عادة.
ونظيره قول المتني:

وأصرع أي الوحش قفينة به وأنزل عنه مثله حين أركب
فقد مدحه أولاً بأنه يلحق كل وحش ولم يستثن شيئاً، ثم عقبه بمدح أعظم ومبالغة أكثر في الشطر الثاني من أجل أنه أفاد به وفرة جريه وشدة صلابته.
٢ - والإغراق ما يكون المدعي فيه ممكناً عقلاً لا عادة، وهذا على ضربين: (أ) وهو أجلبها إلى حسن الاصفاء أن يقرن به ما يقر به من نحو لو ولولا وكاد وكان، وإذ ذاك يظهر حسنه ويظهر شكله، كقول امرئ القيس في وصف محبوبته:

من القاصرات الطرف لو دب 'محول' من النمل فوق الإتب منها لأثرا ^(٤)
فقد وصفها بالركة ونعومة الجسم، وقرب الدعوى بلفظ لو حق جعل السامع يصغي إلى ما يقول.

-
- (١) انحصارها في هذه الأقسام بالاستقراء وبالعقل.
(٢) التبليغ والإغراق مقبولان في صنعة البديع لعدم ظهور الكذب فيها الموجب لردّها، وكذا بعض أنواع الغلو.
(٣) عادي عداء وإلى مرالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر، ودراكاً متتابعاً، والنضح للرشح.
(٤) المحول ما أتى عليه الجول، والاتب ما قصر من الثياب وقميص بلا كمين.

ونحوه قول المتنبي :

كفى يجسمي نحولاً أني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

(ب) أن يجيء مجرداً عما ذكر ، كقول عمرو بن الأثير التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا وتنبه الكرامة حيث مالا

فقد ادعى أنه يتبع جاره الكرامة حيث سار ، وهذا ليس يحائز في شرعة
المادة ، وإن أجازته العقل .

٣ - والغلو ما يكون المدعي فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلاً ، وهذا مسرح
الشعراء المفلقين في مدحهم وهجوم ، وهو على قسمين : مقبول ، ومردود .
فالمقبول أنواع :

١ - أن يقرن به ما يقرّ به إلى الإمكان كلفظ يكاد في قول ابن حديس :

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيق^(١)

وأجل منه قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾^(٢) .

٢ - أن يتضمن نوعاً حسناً من تخييل الصحة ، كقول أبي الطيب :

عقدت سنابكها عليها عثراً لو تبتغي عناقاً عليه لأمكننا^(٣)

فقد ادعى تراكم الفبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤوسها بحيث صار
أرضاً يمكن السير عليها ، وهذا وإن كان غير ممكن ، يخيل إلى الوهم من ادعاء
كثرتة وكونه كالجبال صحته ، وقد اجتمع السبب الأول والثاني في قول القاضي
الأرجاني يصف طول الليل :

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى وشدت بأهداي البهن أجفاني

٣ - أن يخرج مخرج الخلعة والهزل كقوله :

« أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غداً إن ذا من العجب »

(١) يصف فرساً بسرعة الجري .

(٢) سورة النور الآية ٣٥ .

(٣) السنابك : حوافر الخيل ، والكثير : الفبار ، والعتق : السير السريع ، وضمر عليها
يعود للخيال .

فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال ، لكن حسنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته ، والمردود ما جرى من الاعتبارات المتقدمة كقول أبي نواس مدح هارون الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حق إنه لتخافك النطَف التي لم تخلق
وقول أبي الطيب :

كأنني دحوت الأرض من خبرتي بها كأنني بنى الاسكندر السد من عزمي
شبه نفسه بالخالق جل وعلا في دحوه الأرض ، ثم فجأة نزل الى الحضيض فشبه نفسه بالاسكندر .

المنهج الكلامي^(١)

هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح تسبيتها الى علم الكلام .

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن ، فمن لطيف ذلك قوله عز وعلا : ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾^(٢) ، إذ تمام الدليل : لكنهما لم تفسدا فليس فيها آلهة غير الله .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾^(٣) لأن تحليل القياس : القمر آفل وربى ليس بآفل فالقمر ليس بربى .

وقوله عليه السلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ، إذ تمام الدليل : لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم .

ويرى أن أبا دلف المجلي قصده شاعر تميمي ، فقال له : من أنت ؟ فقال : من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل الهداية ضلت
فقال له التميمي : بتلك الهداية جئت اليك ، فأفحمه .

(١) هذه التسمية تنسب للجاحظ .

(٢) المراد بالفساد خروجها من النظام الذي هما عليه (سورة الانبياء) .

(٣) أي بقياس حملي يفيد أن المجيء اليه ضلال ، لكن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب (سورة الأنعام) .

حسن التعليل

هو أن يدعي شاعر أو ناثر لشيء علة مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستنراف وذلك لإيهام تحقيقه وتقريره من قبل أن الشيء معللاً أكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل .

وأقسامه أربعة : لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته ، والثابت إما ألا يظهر له علة في العادة ، أو يظهر له علة غير المذكورة ، وغير الثابت إما ممكن أو غير ممكن .

١ - فالأول ، كقول أبي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

فقد جل علة حرمان الكريم من الغنى هي العلة التي من أجلها حرم المكان العالي السيل ، فكما أن الملو هو السبب في حرمان المكان العالي كذلك علو قدر الكريم هو المانع له من الغنى الذي هو كالسيل في حاجة الخلق إليه .

ومما جاء بديعاً نادراً من هذا الضرب قول أبي هلال العسكري :

زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها الافتراء على المحبوب .

٢ - والثاني ، كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديهِ ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

جرت العادة بأن الملوك إنما يقتلون أعداءهم ليسلموا من أذاهم وضرهم ، لكن أبا الطيب اخترع سبباً غريباً وتخيل أن الباعث له على قتل الأعادي لم يكن إلا محبته لإجابة مَنْ يطلب الإحسان ، فهو قد فتك بهم لعله علم اليقين بأنه إذا غدا للحرب رجعت الذئاب والوحوش الضواري أن يتسع عليها رزقها^(١) ، وتنال من علوم أعدائه القتلى ، فما أراد أن يخيب لها مطلباً ، ومن لطيف هذا النوع قول ابن المعتز :

(١) يستفاد من ذلك ضمناً أنه ليس من السرفين في القتل تشبهاً وانتقاماً .

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء مَنْ قتلته والدم في النصل شاهد عجب

٣ - والثالث ، كقول مسلم بن الوليد :

يا واشياً حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الفرق
فإن استحسان إساءة الواشي ممكن لكنه لما كان مخالفاً عليه الناس احتاج
إلى تعقيبه بذكر سببه وهو حذره من الواشي ، ولأجل ذلك امتنع من البكاء ،
فسلم إنسان عينه من الفرق في الدموع .

٤ - والرابع ، كعنى بيت فارسي ، ترجمته :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منطلق
فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها وجعل الدليل على
ذلك شذها النطاق .

وبما يلحق بحسن التعليل وليس^(١) منه ما بني على الشك كقول أبي تمام :

رباً شفعت ريح الصبا لرياضها إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غين تحتها حبیباً فما ترقا لها مدامع
فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبیباً تحت
تلك الربی فهي تبكي عليه .

التفريع

هو أن يثبت حكم لشيء بينه^(٢) وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت
ذلك الحكم للنسب آخر لذلك الأمر ، فلا بد إذاً من متعلقين أي شيئين منسوبين
لأمر واحد كغلام محمد وأبيه بالنسبة إلى محمد ، فمحمد أمر واحد له متعلقان ،
أي منسوبان له ، أحدهما غلامه والآخر أبوه ، ولا بد من حكم واحد يثبت لأحد
المتعلقين ، وهما الغلام والأب ، بعد إثباته للآخر ، كأن يقال : غلام محمد فرح
ففرح أبوه ، فالفرح حكم أثبت لمتعلق محمد ، وهما غلامه وأبوه ، وإثباته للثاني

(١) لأن في حسن التعليل ادعاء تحقق العلة والشك بنافيه .

(٢) فخرج نحو قولنا : غلام محمد فرح أيضاً لعدم التفريع .

على وجه يشعر بتفريعه عن الأول ، وعليه قول الكميت يمدح آل البيت :
 أحلامكم لسقام الجمل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
 فقد فرع من وصفهم بشفاء أحلامكم لسقام الجمل ووصفهم بشفاء دماءهم من
 داء الكلب .

تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو على ضربين ثلاثة :

١ - وهو أبلغها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير
 دخولها فيها ، وذلك هو الغاية القصوى في المدح كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
 بهن فلول من قراع الكتائب^(١)

فقد أثبت لهم شيئاً من العيوب بتقدير عد فلول السيف من المعاييب ، وهذا
 محال ، لأن ذلك دليل كمال الشجاعة وفرط الحمية ، فكأنه في المعنى تعليق على
 المحال ، كما قالوا في الأمثال : حق يبيض الفار ، وحق يلج الجمل في سم الخياط ،
 وفي هذا الأسلوب تأكيد من وجهين :

(أ) أنه كدعوى أقيم عليها البرهان ، إذ كأنه استدل على نفي العيب عنهم
 بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون وما لا يتحقق بحال .

(ب) أن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فإذا تلفظ المتكلم بغير أو إلا أو
 نحوهما دار في خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح
 السابق ، وأنه يراد به إثبات شيء من الذم وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح
 تأكد المدح لكونه^(٢) مدحاً على مدح في أبهى قالب وآنق منظر .

ونظيره قول ابن الرومي :

ومساتعترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخير
 كذلك أنفاس الرياض بسحره تطيب وأنفاس الرياض تغير

(١) الفلول جمع فل بفتح الفاء الكسر يصيب السيف في حده ، والقراع المقارعة والمضاربة ،
 والكتائب جمع كتيبة .

(٢) وللإشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة المدح وتحويل الاستثناء
 من متصل إلى منقطع .

وقوله تعالى: ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قילה سلاماً ﴾ (١).

٢ - أن يثبت للشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقوله ﷺ : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ».

وقال النابغة الجعدي :

فقي كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثاني فقط ، ومن ثم كانت الضرب الأول أبلغ وأجمل .

٢ - أن يؤتى بالاستثناء المفرغ كقوله تعالى : ﴿ وما تَسْقُم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ (٢) ، إذ المعنى : وما تعيب منا إلا أسس المناقم ودعائم المفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله .

ويجري الاستدراك في هذا الباب مجرى الاستثناء ، كقول البديع الهمداني :

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرعام لكنه الويل

فإن قوله : إلا وسوى استثناء مثل : بيد أني من قريش ، وقوله : لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء إذ إلا في باب الاستثناء المنقطع بمعنى لكن .

تأكيد اللم بما يشبه المدح

وهو ضربان :

١ - أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كما تقول : فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرقه (٣).

٢ - أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كما تقول : فلان حسود إلا أنه غام ، وبيان إفادة الضربين للتوكيد على تفاوت فيها تفهم قياساً على ما عرفت في النوع السالف ، كما أن الاستدراك كالأستثناء .

(١) سورة الواقعة الآية ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٦ .

(٣) أي انتفت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة إن كانت خيراً لكنها ليست خيراً ، فلا خير فيه أصلاً .

الاستبعا

هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر ، كقول المتنبي :
نهبت من الأعمار ما لو حوينة لهنت الدنيا بأهلك خالدا
فقد مدحه ببلوغه الغاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث أعمارهم
لخلد في الدنيا ، على أسلوب استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها
من قبل أنه جعل الدنيا مهنة بخلوده ولا تنأ إلا بما فيه صلاحها .
وفي البيت وجهان آخران من المدح ، أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ،
وثانيها أنه لم يكن ظالما في قتل أي أحد من مقتوليه لأنه لم يقصد بذا إلا صلاح
الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه .

الادماج

هو لغة الادخال ، فيقال : أدمج الشيء في ثوب ، إذا لفه فيه ، واصطلاحا :
أن يجعل المتكلم الكلام الذي سبق لمعنى من مدح أو غيره ^(١) متضمنا معنى آخر
كقول أبي الطيب :

أقلب فيه أجفاني كأنني أعدت به على الدهر الذنوبا ^(٢)
فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج في ذلك على جهة الاستبعا
الشكاية من الدهر .

ونحوه قول ابن المعتز في وصف نبات يسمى الخيري :
فقد نقض العاشقون ما صنع الهج سر بألوانهم على ورقة
فإن الغرض وصف الخيري بصفة لكنه أدمج الغزل في الوصف .
وفيه وجه ثان من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافين وهما الإيجاز والاطناب ،
أما الأول فمن جهة الادماج ، وأما الثاني فلأن الغرض الوصف بالصفرة ،
واللفظ زائد عليه لفائدة .

(١) فهو أعم من الاستبعا لاختصاصه بالمدح .

(٢) ضمير فيه ليل أي لتقلب أجفاني في الليل كأنني أعد بها على الدهر ذنوبه .

التوجيه - الابهام

هو إيراد الكلام محتملاً معنيين على السواء ^(١) ، كهجاء ومديح ، ليلبغ القائل غرضه الذي يريده بما لا يمسك عليه .

كما روى أن محمد بن حزم هنا الحسن بن سهل بتزويج ابنته بوران للخليفة المأمون مع من هناء فأنابهم وحرمه ، فكتب اليه : إن أدت تماديت في حرمانني قلت فيك شعراً لا يعرف أمدح هو أم ذم .

فاستحضره وسأله ، فأقر ، فقال الحسن : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

بارك الله للحسن ولبوران في الحتن ^(٢)
يا إمام المهدي ظفر ت ولكن ببنت من

فلا يدري ببنت من في العظمة وعلو الشأن أم في الدناءة والخسة .

فاستحسن الحسن منه ذلك وقال له : أمن مبتكراتك هذا ؟ فقال : لا ، بل نقلته من شعر بشار بن برد ، وكان كثير العبث بهذا النوع .

ومن أحاديثه في ذلك أنه خاط قباء عند خياط يسمى زيدا ^(٣) ، فقال له الخياط مازحاً : لأخيطنه فلا تدري أهو جبة أم قباء .

فقال بشار : إذا أنظم فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ، فلما خاطه له كما أخبره قبل ، قال فيه بشار :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء
قل لمن يعرف هذا أمدح أم هجاء ^(٤)

قال السكاكي : ومن هذا النوع متشابهات القرآن باعتبار : أي وهو احتمالها وجهين وإن كانت تفارقه باعتبار آخر وهو عدم تساوي الاحتمالين ، لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر بعيد كما تقدم من عد المتشابهة من التورية .

(١) فان كان أحدهما ظاهراً والثاني خفياً والمراد هو الخفي كان تورية .

(٢) الحتن كل من كان قبل المرأة مثل الأب والأخ .

(٣) قال في «خزانة الأدب» : أغلب الناس يسمون الخياط عمراً ، لكن صاحب «التحصيل» روى أنه زيد .

(٤) هذان البيتان من مجزوء الرمل .

الهزل الذي يراد به الجهد^(١)

هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك المقصد مخرج الهزل
والجئون ، كقول أبي نواس :

إذا ما تيممي أذاك مفاخرأ فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب
أي تباعد عن هذا التفاخر وخبرني كيف تأكل الضب ، ولا مفاخرة مع
مَن يأكله لأن أشرف الناس تعافه ، ونظيره قول ابن نباتة :

سلبت محاسنك الغزال صفاته حتى تحير كل ظبي فيكا
لك جيده والحاظه ونفاره وكذا نظير قرونه لأبيكا

تجاهل العارف

هو سوق المعلوم مساق غيره^(٢) لنكتة :

١ - كالنوبينخ في قول ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد حين قتله يزيد
ابن مزيد الشيباني في عهد هارون الرشيد :

أيا شجر الخاور مالك مورقأ كأنك لم تجزع على ابن طريف
٢ - وكالمبالغة في المدح في قول البحتري :

ألمع برق سري أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي^(٣)
٣ - وكالمبالغة في الذم كقول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أو نساء
٤ - وكالتدله في الحب كقول الحسين بن عبد الله الفريبي :

يا الله يا ظبيات القاع قلنا لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر
٥ - وكالتحقير في قوله تعالى حكاية عن الكفار :

(١) الفرق بينه وبين التهكم أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل ، وهذا بمكسه ، وهزلته
باعتبار أصل استعماله وجديته باعتبار ما هو عليه الآن .

(٢) والفرض من ذلك المبالغة في إفادة المعنى المراد من ذم أو مدح أو نحو ذلك .

(٣) المنظر الوجه ، والضاحي الطاهر .

﴿ هل نندلكم على رجل يُنبئكم إذا مُزِقْتُمْ كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديدٍ ﴾ (١).

٦ - وكالتعريض (٢) في قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (٣).

٧ - وكالإناس لأن المقام مقام هيبة ورهبة كقوله تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ (٤).

القول بالموجب

هو نوعان :

١ - أحدهما أن تقع صفة في كلام غيرك كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت أنت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير أو نفيه عنه ، نحو : ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ﴾ (٥) ، فالأعز صفة وقعت في كلا المناققين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين ، وقد أثبتوا لفريقهم حكماً هو إخراج المؤمنين من المدينة عند رجوعهم إليها ، فردّ الله تعالى عليهم بإثبات صفة العزة لغيرهم من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج أو انتفائه .

٢ - الأسلوب الحكيم ، وقد تقدم ، وهو حمل لفظ وقع في كلام غيرك على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه كالبيت الثالث (٦) من قوله :

وإخوان حسبتهمو دروعاً	فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهمو سهاماً صائبات	فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب	لقد صدقوا ولكن من وودادي

(١) كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل ما (سورة سبأ) .
(٢) وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى ، وهي أنه يبعث المشركين على التأمل في حال أنفسهم وحال النبي والمؤمنين ، حتى إذا أنعموا النظر علموا أنهم على ضلالة ، فبعثهم ذلك على الإسلام .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٤ .

(٤) سورة طه الآية ١٧ .

(٥) سورة المنافقون الآية ٨ .

(٦) أما البيتان قبله فليسا منه لكنها قريبان منه .

الاطراد

هو أن يذكر اسم المدوح واسم من يمكن أن آبائه على ترتيب الولادة ليزداد إبانة وتوضيحاً على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف ولا تعسف فيكون كالماء الجاري رقة وانسجاماً ، كقوله :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم
وقول دريد بن الصمة :

قتلتك بعبد الله خير لدانة ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقد روي أن عبد الملك بن مروان لما سمعه قال: لولا القافية لبلغ به آدم .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

أما ذكر الأمهات والجندات فليس محموداً عند البلغاء لما فيه من إنزال قدر المدوح ، ولهذا عيب علي أبي نواس قوله بمدح محمداً الأمين :

أصبحت يا بن زبيدة ابنة جعفر أملاً لمقد حباله استحكام

تدريب أول

بين نوع المحسنات المعنوية فيما يلي :

- ١ - ومولع بفخاخ يدها وشباك قالت لي العين ماذا يصيد؟ قلت: كراكي
- ٢ - لئن ساءني أن نلتني بمساء لقد سرنني أني قد خطرت ببالك
- ٣ - وللغزاة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب
- ٤ - الدهر يصمت وهو أبلغ ناطق من موجز ندس ومن ثرثار
- ٥ - ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه
- ٦ - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار (٢)
- ٧ - رأى جسدي والدمع والقلب والحشا فأضنى وأقنى واستمال وتيسما

(١) ثل العروش كناية عن ذهاب العز وتضعيف الحال .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

- ٨ - آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم
٩ - يا قوم كم من عاتق عانس بمدوحة الأوصاف في الأندية
قتلتها لا أتقي وارثاً يطلب مني قوداً أو دية

الاجابة

- ١ - في هذا البيت تورية في لفظ كراكي ، إذ المعنى القريب له (جمع كركي) وهو الطائر المعروف ، وهو ليس بمراد ، والمعنى البعيد ، والمراد من الكركي ، هو النوم .
٢ - في هذا البيت طباق بين ساء وسر .
٣ - فيه استخدام ذكر لفظ الفزالة بمعنى الحيوان المعروف ، وأعاد اليه الضمير بمعنى الشمس .
٤ - فيه طباق بين يصمت وناطق وبين موجز وثرثار .
٥ - فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم من الضرب الأول .
٦ - في الآية تورية لذكر جرحتم إذ لها معنيان قريب من جرحه جرحاً شق بعض بدنه وليس ذا بمراد ، وبعيد هو المراد وهو اكتسبتم الذنوب من جرح الرجل اكتسب فهو جارح وهي مجردة لعدم ذكر لازم المعنى القريب .
٧ - فيه لف ونشر مرتب إذ ذكر أربعة أشياء ثم أتى بما يقابلها على الترتيب .
٨ - فيه جمع إذ جمع بين أشياء وأعطاهما حكماً واحداً .
٩ - في البيتين تورية إذ من يسمع العاتق والعانس والقتل يفهم منها المعنى القريب وهو البكر والموت لكنه أراد منها المعنى البعيد وهو الخمر والمزج بالماء .

تدريب ثان

بين نوع المحسن المعنوي فيما يلي :

- ١ - وقد أطفئوا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالي في سماء عجاج
٢ - فوا عجباً كيف اتفقنا فناصر وفي ومطوي على الفل غادر
٣ - كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعري وفي وجهه البدر

- ٤ - أبكيكما دمعاً ولو أني على قدر الجوى أبكي بكيتكما دماً
 ٥ - من مبلغ أنفءاء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل
 ٦ - إن الليالي للأنام مناهل تطوي وتنتشر دونها الأعمار
 ٧ - فأف لهذا الدهر لا بل لأهله
 ٨ - فبهها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر

الاجابة

- ١ - فيه طباق بين أطفئوا وأوقدوا .
 ٢ - فيه مقابلة بين ناصح وفي وبين مطوي على الفل غادر إذ الفعل ضد النصح والغدر ضد الوفاء .
 ٣ - فيه مراعاة النظر لجمعه أشياء متناسبة لا على جهة التضاد ، وهي الثريا والشعر والبدر .
 ٤ - فيه أرصاد لأنه جعل قبل المعجز من البيت ما يدل عليه إذ عرف الروي .
 ٥ - فيه مشاكلة فقد عبر عن اختيار الجار بالبناء مشاكلة لبناء الدار .
 ٦ - فيه العكس فقد قدم في الكلام جزءاً ثم آخر ما قدم في البيت الثاني .
 ٧ - فيه الرجوع فقد نقض ما قاله أولاً .
 ٨ - فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء لأن الغائب لا يخلو من هذه الثلاثة .

تدريب ثالث

- ١ - أن تلقني لا ترى غيري بناظره تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
 ٢ - لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
 ٣ - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .
 ٤ - قال الشيرازي في «شرح المفتاح» العثير القبار ولا تفتح فيه العين .
 ٥ - أيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم
 ٦ - أودع رجل بعض القضاة أموالاً فادعى ضياعها ، فقال ابن دويدة المغربي مخاطبه :

- إن قال قد ضاعت فيصدق إنها
أو قال قد وقعت فيصدق إنها
٧ - إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها
٨ - فبق قسم الأيام بين سيوفه
فسود يوماً بالمعاج وبالردى
ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
وقعت ولكن منه أحسن موقع
تذكرت القربى ففاضت دموعها
وبين طريفات المكارم والبلاء
وبيض يوماً بالفضائل والمجد

الاجابة

- ١ - فيه تجريد جاء على طريق الكناية فقد كنى بالأسد عن نفسه .
٢ - فيه تجريد فقد جرد من نفسه شخصاً ثم خاطبه .
٣ - فيه المذهب الكلامي ، إذ التقدير : والإعادة أهون من البدء ، والأهون أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب .
٤ - في قوله : ولا تفتح فيه العين ثورية ، فالمعنى القريب النهي عن فتح العين وهي الجارحة ، وليس بمراد ، والبعيد النهي عن فتح العين في اللفظ ، لئلا يلزم التحريف .
٥ - فيه تجاهل المعارف بسوق المعلوم مساق المجهول .
٦ - فيه القول بالموجب ، إذ هو قد حمل لفظي ضاعت ، ووقعت الواقعين في كلام القاضي الى معنى آخر مراد يحتمله اللفظ .
٧ - فيه المزاوجة فقد زواج بين احتربت وتذكرت الواقعتين في الشرط والجزاء ورتب على كل منهما أمراً وهو فيضان الدماء وفيضان الدفوع .
٨ - فيه جمع وتقسيم ، لأنه جمع أيام الممدوح في الحرب والمطاء ، ثم قسم ذلك .

تمرين أول

بيّن نوع المحسن المعنوي فيما يلي :

- ١ - ما مضى فات والمؤمل غيب
٢ - يكاد يمسه عرفان راحته
٣ - أسكر سكرى من المدام إذا
ولك الساعة التي أنت فيها
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
مرء بفكري خيال مبسمة

- ٤ - بدائع الحسن فيه مفترقة
سهام الحاظه مفوقه
٥ - أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
٦ - فارقي من أحب واحزني
٧ - قالوا : حبيبك محوم فقلت لهم
عانقته ولهيب النار في كبدي
٨ - أنت بدر حسنا وشمس علوا
وأعين الناس فيه متفقة
فكل من رام لحظة رشقة
وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل
واحزني من حب من فارقي
أنا الذي كنت في محائه السبب
يوماً فآثر فيه ذلك اللهب
وحسام غزا وبحر نوالا

تمرين ثان

- ١ - فتوي مثل شعري مثل نحري
٢ - ولا عيب فيكم غير أن ضيوقكم
٣ - ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾^(١)
٤ - أبادهم قلبيت المسال ما جمعوا
٥ - إن ترد خبر حالهم عن يقين
تلق بيض الوجوه سود مثار الذ
٦ - فبا له من عمل صالح
٧ - أهدى لمجلسه الكريم وإنما
كالبحر يطره السحاب وما له
٨ - فلان لا خير فيه إلا أنه ذو وجهين
بياض في بياض في بياض
تعاب بنسيان الأجابة والوطن
والروح للسيف والأجساد للرخم
فالقهم في منازل أو تزال
قع خضر الأكناف حمر النصال
يرفعه الله الى أسفل
أهدى له ما حزت من نعمائه
فضل عليه لأنه من مائه

تمرين ثالث

- ١ - يا سادة لبمدهم
لجين دمعى كم جرى
٢ - زيادة المرء في دنيا نقصان
٣ - إذا صدق الجذد أفترى العم للفق
أصبحت صبا وصبا
لطيب عيش ذهابا
وربحة غير فعل الخير خسرات
مكارم لا تحفي وإن كذب الخصال

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

- ٤ - وما طيب الرياض لها ولكن
 ٥ - ولا عيب فيهم غير أن ذوي الندى
 ٦ - بكت فقدك الدنيا قديماً بدمعها
 ٧ - الأرض طرس والرياض سطوره
 ٨ - والطل في سلك القصون كلؤاؤ
 والطير يقرأ والتقدير صحيفة
 ٩ - قال الخطيئة :
 ندمت على لسان كاد مني
 كساها دفنهم في القرب طيبا
 خاس اذا قيسوا بهم ولثام
 فكان بها في سالف الدهر طوفان
 والزهر شكل بينها وحروف
 رطب يصافحه النسيم فيسقط
 والريح تكتب والقلم ينقط
 فليت بأنه في جوف علم

المحسنات اللفظية

الجناس - التجنيس - أقسامه - فائدته

هو لغة مصدر جانس الشيء الشيء شاكله واتحد معه في الجنس ، واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ ^(١) مع اختلاف في المعنى ، وينقسم قسمين :

١ - تام ، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء :

(أ) هيئة الحروف ، أي حركاتها وسكناتها .

(ب) عددها .

(ج) نوعها .

(د) ترتيبها .

وهو إما مماثل أو مستوف :

(أ) فالمماثل هو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ يُقسم المحرمونَ ما لبثوا غير ساعة ﴿ ^(٢) ، فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية واحدة الساعات .

وقول محمود سامي البارودي :

تحمّلتُ خرف المن كل رزية وحلُ رزايا الدهر أحلى من المن

فالمن الأول تعداد الصنائع والنعم نحو : أعطيتك كذا وأحسنك اليك بكذا ، والمن الثاني العسل .

(ب) والمستوفى ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم وفعل ، كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

(١) فيخرج التشابه في المعنى نحو : أسد وسبع ، أو في مجرد العدد نحو : ضرب وعلم ، أو في مجرد الوزن : ضرب وقتل .

(٢) سورة الروم الآية ٥٥ .

٢ - مركب ، وغير مركب :

(أ) فقير المركب كالأمثلة التي فرطت .

(ب) والمركب ما كان أحد ركنيه لفظاً مركباً ، ويسمى جناس التركيب ، وينقسم الى قسمين : مركب من كلمتين تامتين ، ويسمى بالملفوف .
كقول القاضي الفاضل :

عضنا الدهر بنابه ليت ، راحل بنابه
لا يوالي الدهر إلا خاملاً ليس بنابه

ومركب من كلمة وبعض كلمة ، ويسمى مرفوضاً ، كقول الحريري :
والمرء مهما استطعت لا تأته لتقتني السودود والمكرمة
وقوله أيضاً :

فلا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكي الزن حال مصابه
ومثل لمينيك الحمام ووقمه وروعة ملقاة ومطعم صابه

٣ - متشابه ومفروق ، لأنه إن توافقت المركبة من كلمتين مع غير المركبة في الخط لقب بالمشابه كقول بعض البلغاء : يا مغرور أمسك ، وقس يومك بأمسك ، وإن لم تنفقا فيه لقب بالمفروق نحو :

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فحق عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وسأوسا تهذي بها

وغير التام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة المقدمة :

١ - فإن اختلفا في هيئة الحروف سمي جناساً محرفاً ، والاختلاف قد يكون في الحركة فقط ، كقولهم : لا تنال الفرر^(١) إلا بركوب الفرر ، وقد يكون في الحركة والسكون ، كقولهم : البدعة شرك لشرك .
وقول الحريري :

فقلت للأنبي أقصر فإني سأختار المقام على المقام

(١) الفرر (بالضم) جمع أفر ، وهو الحسن من كل شيء ، (وبالفتح) التمرض للتهلكة .

٢ - وإن اختلفا في العدد سمي ناقصاً ، ويكون ذلك على وجهين :

(أ) ما كان بزيادة حرف إما في الأول كقوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ﴾ ^(١) ويسمى مردوفاً ، وإما في الوسط كقولهم : جدي جهدي ^(٢) ، ويسمى مكثفاً ، وإما في الآخر ، ويسمى مطرفاً ، كقول أبي تمام :

يمدحون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب ^(٣)

(ب) ما كان بزيادة أكثر من حروف ، ويسمى مذيلاً .

٣ - وإن اختلفا في نوع الحروف اشترط ألا يكون الاختلاف بأكثر من حرف ، وذلك على وجهين :

(أ) أن يكون هو وما يقابله في الطرف الآخر متقاربي المخرج ويسمى مضارعاً ، والاختلاف إما في الأول كقول الحريري : بيني وبين كنى ليلي دامس وطريق طامس ^(٤) ، أو في الوسط كقولهم : البرايا أهداف البلايا ، أو في الآخر ، كقول الحريري لهم في السير : جرى السيل والى الخير جرى الخيل .

(ب) أن يكونا غير متقاربي المخرج ويسمى لاحقاً ، والاختلاف إما في الأول نحو : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ ^(٥) ، أو في الوسط نحو : ﴿ فأمما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ﴾ ^(٦) .

أو في الآخر ، كقول البحتري :

المسا فات من تلاق تلاف أم لشاك من الصبابة شاف

٤ - وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب ، وهو ضربان :

(١) سورة القيامة الآية ٢٩ .

(٢) الجد الفنى والحظ ، والجهد التعب .

(٣) المواصي جمع عاصبة من عصاه ، وعواصم من عصمه حفظه ، وقواض حاكيات بالقتل ، وقواضب قاطعات .

(٤) الكنى البيت ، ودامس مظلم ، وطامس بعيد .

(٥) سورة الهمزة الآية ١ .

(٦) سورة الضحى الآيتان ١٠ و ١١ .

- (أ) قلب الكل ، كقولهم : حسامه فتح لأولياته ، حتف لأعدائه .
 (ب) قلب البعض ، كقوله ~~بعضهم~~ : « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » ،
 وقول بعضهم : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه ، وأطلق ما بين فكيه .

تنبيهات

الأول - إذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقابلاً مجنحاً ^(١) ، كقول ابن نباته المصري :

ساق يربني قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاسي

الثاني - إذا ولي أحد المتجانسين سمي مزدوجاً ومكرراً ومردداً كما في الحديث : « المؤمنون هينون لينون » ، وكقولهم : من طلب شيئاً وجدّ وجد .
 وقول البسقي :

أبا العباس لا تحسب لشيني بأني من 'حلا الأشعار عار

الثالث - من التجنيس نوع يسمى تجنيس الإشارة ، وهو ألا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ، ولكن يشار إليه بما يدل عليه ، نحو :

حلقت لحية موسى باسمه وبهرون إذا ما قلبا

فلا شك أنك إذا ما قلبت هرون من آخره إلى أوله بصير (نوره) ، لكنه لم يذكرها بلفظها ، بل أشار إليها بقوله : وبهرون إذا ما قلبا .

الرابع - يلحق بالتجنيس شيطان :

(أ) أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، كقوله تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ ^(٢) ، وقول أبي تمام : فيا دمع أنجدني على ساكني نجد .

(ب) أن تجمع اللفظين المشابهة وهي ما يشبه ^(٣) الاشتقاق وليس باشتقاق ، كقوله تعالى : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ ^(٤) .

(١) لأن اللفظين بمنزلة جناحين من البيت .

(٢) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٣) لتوافق اللفظين في جميع الحروف أو جلها ، فيتبادر إلى الفكر أنها يرجعان إلى أصل واحد وليساهما كذلك في الحقيقة .

(٤) سورة الرحمن الآية ٥٤ .

وقول البحري :

إذا ما رباح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

قال في « أسرار البلاغة » : لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حيداً ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، أترك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذهبه الساحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسن تجنيس القائل : حتى نجا من خوفه وما نجا^(١) . وقول المحدث :

ناظره فيما جنى ناظره أودعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع الى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا بجهولة منكورة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووقاها، فهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصاً المستوفى منه، المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع ، اه .

وقال ابن رشيق في « العمدة » : التجنيس من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه الساقاة المتمقّبون في نظمهم ونثرهم ، حتى برد ورك ، اه .

وقال ابن حجة المحوي في « خزنة الأدب » : أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب .

رد المعجز على الصدر - التصدير

هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررين^(٢) أو المتجانسين^(٣) أو ملحقين^(٤) بهما اشتقاقاً أو شبه اشتقاق في أول الفقرة ، والآخر في آخرها ، فالمكرران نحو :

(١) نجا الأولى أحدث ، والثانية خلص .

(٢) أي المتفقين في اللفظ والمعنى .

(٣) أي المتفقين في اللفظ، دون المعنى .

(٤) أي اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه .

﴿وتخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أن تخشاهُ﴾^(١) ، والمتجانسان نحو: سائل اللثم يرجع ودمه سائل، والملحقان بها اشتقاقاً ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾^(٢) وشبه اشتقاق نحو: قال إني لعملكم من القالبي .

وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره أو في صدر المصراع الثاني^(٣) ، فالأول نحو:

تمنت سليمى أن أموت صباية وأهون شيء عندنا ما تمت

والثاني كقول الصمة بن عبد الله القشيري :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنابين المنيقة فالضمار
تتمتع من شميم عرار نجيد فما بعد العشية من عرار^(٤)
والثالث كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواكب مغرمًا فما زلت بالبيض القواضب مغرمًا^(٥)
والرابع كقول ذي الرمة :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلاً فإنني نافع لي قليلها
والخامس كقول القاضي الأرجاني :

دعاني من ملامكها سفاها فداعي الشوق قبلكما دعاني
والسادس كقول الثعالبي :

وإذا البلبال أقصحت بلغاتها فانف البلبال باحتساء بلبال^(٦)
والسابع كقول الحريري :

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(٢) سورة فوح الآية ١٠ .

(٣) فالأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب أربعة في أربعة .

(٤) الميس: الأبل يخاطب بياضها شقرة ، والمنيفة والضمار موضعان ، والعرار: وردة صفراء طيبة الرائحة ، ومن زائدة وما بعدها مبتدأ والظرف قبله خبر ، وما مهمة .

(٥) الكواضب الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والقواضب السيوف القواطع .

(٦) البلبال الأولى جمع بلبل ، والثانية جمع بلبال وهو الحزن ، واللبلبال الثالثة جملة بلبلة

(بالضم) ابريق الخمر .

فشفوف بآيات المثاني ومقتون برئات المثاني^(١)
والثامن كقول القاضي الأرجاني :
أملتهم ثم تأملتهم
والتاسع كقول البحري :
ضرائب أبدعتها في السماح
والعاشر كقول أبي العلاء :
لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والمذاب يهجر للأفراط في الحضر^(٢)
والحادي عشر كقول ابن عينة المهلبى :
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحة الذباب يضير
والثاني عشر كقول أبي تمام في مراثية محمد بن نهشل حين استشهد :
وقد كانت البيض القواضب في الوغى بواتر وهي الآن من بعده بتر^(٣)
(تنبيه) تركنا المثل الأربعة الباقية الملحقه بالتجانس التي يجمعها الاشتقاق
الأكبر لقله استعمالها .

السجع - شروط حسنة - حكمه - أقسامه

هو في المنشور بإزاء التصريح الآتي بيانه في المنظوم ، وهو لغة من قولهم :
سجعت الناقة إذا مدت حنيتها على جهة واحدة ، واصطلاحاً أن تتواطأ
الفاصلتان في النشر على حرف واحد .

شروط حسنة

- لا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء :
- ١ - أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع .
- ٢ - أن تكون الألفاظ خدم المعاني ، إذ هي تابعة لها ، فإذا رأيت السجع

(١) المثاني القرآن ، ورنات المثاني أي نغمات أوتار المزامير التي ضم طاق منها الى طاق .
(٢) الحضر : البرودة .

(٣) بواتر جمع بوتر ، والبوتر جمع أوتر أي مقطوع ، وقبل البيت :
نوى في الثرى من كان يحيا به الورى ويضر صرف الدهر نائل الغمر

لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ ، أو نقصان فيه ، فاعلم أنه من المتكلف المقوت .

٣ - أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة .

٤ - أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يفاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكراراً بلا فائدة .

ومنى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام ، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه كما لا يخلو منه سورة ، وإن قصرت ، بل ربما وقع في أوساط الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم ، ونطبعُ على قلوبهم ﴾^(١) .

أقسامه

هو على ثلاثة أضرب : مرصع ، ومتواز ، ومطرف :

١ - فالمرصع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والنقبة كقول الحريري ، فهو يطبع الاسجاع يحواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ، وقول أبي الفتح البستي : ليكن إقدامك توكلًا ، وإحجامك تأملًا .

٢ - والمتوازي ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين نحو قوله تعالى : ﴿ والمرسلاتُ عُرفاً فالعاصفاتُ عَصفاً ﴾^(٢) ، وقوله عز وعلا : ﴿ فيها سرورٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ ﴾^(٣) .

٣ - والمطرف ما اختلفت فاصلاته في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير نحو : ﴿ مالكم لا ترجون الله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ﴾^(٤) ، وقوله : جنباه محط الرحال ، ونخم الآمال .

وأيضاً السجع إما قصير نحو : « والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً » ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٠٠ .

(٢) سورة المرسلات الآية ١ .

(٣) سورة الغاشية الآية ١٣ .

(٤) سورة نوح الآية ١٣ .

وإما متوسط نحو: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر ﴾ (١) ، وإما طويل نحو: ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٢) .

تنبيهات

الأول - أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى: ﴿ في سدر مخضود ، وطلح منضود وظلّ ممدود ﴾ (٣) ، ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾ (٤) ، أو الثالثة ، نحو قوله عز وجل: ﴿ خذوه ، فقلوه ، ثم الجحيم صلوه ﴾ (٥) ، فلا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أمدّه في الأولى بطولها وجاءت الثانية أقصر منها كثيراً ، يكون كالشيء المبتور ، يؤيد ذلك الذوق السليم .

الثاني - الاسجاع مبنية على سكون أو آخرها ، لأن المزاوجة بين الفقر في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت ، لم يكن بسد من إعطاء أو آخر القرائن ما يستلزمه حكم الإعراب فتختلف أو آخرها ويفوت السجع .

الثالث - يقال للجزء الواحد من السجع سجعة ، وجمعها سجمات ، وفقرة وجمعها فقر وفقرات وفقرات ، وقرينة لمقارنة أختها ، وتجمع على قرائن ، وللحرف الأخير منها حرف الروي أو الفاصلة .

الرابع - ربما غيرت الكلمة عن موضوعها في تصريف اللغة طلباً للسجع والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها ، ألا ترى قوله عليه السلام في تعويذه لابن أخته :

(١) سورة القمر الآية ١ .

(٢) سورة الأنفال الآيتان ٤٣ و ٤٤ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢٨ .

(٤) سورة النجم الآية ١ .

(٥) سورة الحاقة الآية ٣٠ .

« أعينه من الهامة والسامة ، والمين اللامة ، ، وأصلها الملة لأنها من أم ، فمبر عنها باللامة لموافقة ما قبلها ، وقوله للنساء : انصرفن مأزورات غير مأجورات ، والأصل موزورات أخذاً من الوزر ، لكنه قال ذلك لمكان مأجورات .

الحامس - يرى بعض العلماء ومنهم الباقلائي وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلمها يخلو من التكلف والتمسك ، الى أنه مأخوذ من سجع الحمام ، وهو هديره ، وإنما يقال في مثل ذلك فواصل ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ كتابٌ فُصِّلَتْ آياته ﴾ (١) .

السادس - يرى بعضهم أن السجع غير مختص بالنثر ، بل يكون في النظم ، كقول أبي تمام يمدح أبا العباس نصر بن بسام :

تجلى به رشدي وأثرت به يدي وفاض به ثدي وأورى به زندي (٢)
وقول الخنساء :

مهدي الطريقة نفاع وضرار	حامى الحقيقة محمود الخليفة
عقاد ألوية للخيال جرار	جواب قاصية جزار ناصية

وقول الآخر :

ومكارم أوليتها متورعاً وجرائم ألفتها متبرعاً

ومنه على هذا الرأي التشطير ، وهو أن يجعل في كل من شطري البيت سجعتان على روى مخالف لروى سجمتي الشطر الآخر كقول أبي تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتقب (٣)

فالشطر الأول محتو على سجمتين مبينتين على الميم ، والثاني محتو على سجمتين مبينتين على الباء .

(١) سورة فصلت الآية ٣ .

(٢) قبله :

سأحمد نصراً ما حييت وإنني لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد
وأثرت صارت ذات ثروة ، والشم الماء القليل ، وأورى صار ذا وري أي نار .
(٣) مرتقب أي راغب ، ومرتقب منتظر ثوابه .

الموازنة

هي أن تكون الفاصلتان ^(١) متساويتين في الوزن دون التفقية كقوله تعالى : ﴿وَتَقَارَقَ مَصْفُوقَةٍ ، وَذَرَابِي مَبْثُوثَةٍ﴾ ^(٢) .

فإن كان ما في إحدى القريبتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المائلة .

فالأول كقول البحاري يمدح الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته للأسد :

فأحجم لما لم يجد فيك مطعما وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
والثاني كقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٣) .

وقول أبي تمام من قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزياد :

مها الوحش إلا أن هاء أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل ^(٤)

القلب

هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبديء بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير الكلام عما كان عليه .

ويجري ذلك في النثر والنظم ، كقوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ﴾ ^(٥) .

وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل :

« سر فلا كبا بك الفرس »

(١) أي الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين كما في الآية أو المصراعين ، كقوله :

هو الشمس قدرا والملك كواكب هو البحر جوداً والكرام جداول

(٢) إذ الأولى على الفاء ، والثانية على الشاء ، ولا عبرة بقاء التأنيث ، كما بين في علم القافية ، (سورة الناشية) .

(٣) سورة الصافات الآية ١١٨ .

(٤) مها الوحش أي كمها الوحش في سعة الأعين وسوداما ، وقنا الخط أي كقنا الخط في الاستقامة .

(٥) سورة المدثر الآية ٣ .

وقول القاضي الأرجاني :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم^(١)
وقد يكون في الصراع الواحد ، نحو : « أرانا الإله ملأاً أثاراً » .

التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى إذا وقفت على كل واحدة منها ،
وإنما يقع ذلك ممن كان ضليعاً متمكناً من صناعة النظم ، بارعاً مقتدرأ ،
كقول بعضهم :

اسلم ودمت على الحوادث مارسا ركناً ثبير أو مضاب حراء
ونل المراد ممكناً منه على رغم الدهور وفز بطول بقاء
فيمكن أن يذكرنا على قافية أخرى ، وضرب آخر بأن يقال :

اسلم ودمت على الحوا دث مارساً ركناً ثبير
ونل المراد ممكناً منه على رغم الدهور

لزوم ما لا يلزم - الالتزام - الشديد - الاعنات

هو أن يلتزم قبل الروي في الشعر ، أو الفاصلة في النثر شيء^(٢) يتم السجع
بدونه ، كقوله تعالى : ﴿ فلماذا هم مبصرون ﴾ وإخوانهم يمدونهم في النفي ،
ثم لا يقصرون ، وقول الشاعر^(٣) :

سأشكر عمراً إن تراخت منيقي أباذي لم 'تمن وإن هي جلت'
ففي غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النبل زلت
رأى خلقي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

(١) وقيله : « أحب الرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم »
(٢) أي لو جمعت القوافي أو الفواصل أسجاعاً لم يحتاج الى الاتيان بذلك الشيء وهذا الشيء
أحد أمور ثلاثة : حرف وحركة معاً كما في الآية والأبيات بعدها ، وحرف فقط : كالقمر
ومستمر ، في قوله تعالى : « أقربت الساعة وانتش القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر » ، وحركة فقط كقول ابن الرومي :

لا تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فمسا يبكيه منها وإنها لأوسع مما كان فيه وأرغد

(٣) هو عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي) الأسدي في مدح عمر بن عثمان بن عفان .

تتمة

قال الإمام عبد القاهر: لا يحسن هذا النوع (الحسن اللفظي) إلا إذا كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيته ، وتركت وما تريد ، طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك ، كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مفقود

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع ، على أنه نسي أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه أنه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا خير أن يقع ما عناء في عمياء وأن يجعل السامع يتخبط خبط عشواء .

السوقات الشعرية وما يتصل بها

إذا توافق الشاعر أن على اللفظ والمعنى ، أو المعنى وحده ، فإن لم يعلم أخذ الثاني من الأول ، جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد الى سرقة وأخذ ، ويسمى ذلك موارد ، ويرشد الى ذلك ابن ميادة لما أنشد ابن الأعرابي قوله لنفسه :

مفيد ومتلاف إذا ما أتيتَه تهلل واهتز اهتزاز المهند

قيل له : أين يذهب بك ، هذا للحطينة ، قال : الآن علمت أنني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة .

ولذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم جليلة أمره بأن يتيقن أنه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بأن يخبر عن نفسه بأنه أخذ من تقدمه فإن لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه اليه فلان فقال كذا ، حتى يتباعد عن دعوى الملهاة الغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقاً فيما حكم وقال .

واعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض ، كالوصف بالشجاعة ، والسخاء ، والذكاء ، أو في وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حثال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح ، وقلة الفكر ، ووصف الجواب بالتهلل عند ورود المفاة والارتياح لرؤيتهم — لا يمد هذا سرقة ولا استعانة لأن تلك أمور اشتركت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعجم ، كقولهم في الغزل : إن الطيف يحود بما يبخل به صاحبه ، وفي الممدوح : إن الممدوح يحود ابتداء من غير مسألة ، وفي الرثاء ، إن هذا الرزء أول حادث ، وإن هذا الذاهب لم يكن واحداً وإنما كان قبيلة ، الى أشباه ذلك مما يحري هذا الجري .

أما إذا احتاج المعنى الى كد الفكر فذاك هو الذي يدعى فيه الاختصاص

والسبق ، لأنه لا يصل الى مثله كل أحد ، فهو جدير بالتفاضل بين القائلين فيقال :
إن أحدهما يفضل الآخر وإن الثاني زاد على الأول ، أو نقص ، كما فعل أبو تمام
فابتدع معنى جديداً ، ذلك أنه حين أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية
التي مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من لباس تقضي حقوق الأربع الادراس
حق انتهى الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
قال الحكيم الكندي : وأي فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟
فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى واللباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
فهذا معنى ابتكره ولم يتقدمه أحد به ، فمن أتى بعده بهذا المعنى أو يجزه منه
عداً سارقاً له .

وهذه السرقات ، وإن تعددت فنونها وكثرت مذاهبها ، لا تخرج عن ثمانية
أنواع ، وهي :

١ - النسخ - الانتحال ، وهو سرقة مذمومة ، وحقيقته أن يأخذ أحد
الشاعرين معنى صاحبه ولفظه ، كله أو أكثره ، فهو إذاً على قسمين :
(أ) أن يأخذ لفظ الأول ومعناه ، ولا يخالفه إلا بروي القصيدة ، كقول
امرئ القيس :

وقوفاً بها صبحي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل
أخذه طرفه وأجراه على منواله الأول ، فقال :

وقوفاً بها صبحي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل
(ب) أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ ، كقول الأبيرد البروعي :

فقي يشتري حسن الشاء بماله إذا السنة الشباء أعوزها القطر
وقول أبي نواس :

فقي يشتري حسن الشاء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

٢ - المسخ أو الاغارة ، وهو أن يأخذ الشاعر بعض اللفظ ، أو يغيّر بعض النظم ، وهو ثلاثة أضرب :

(أ) أن يكون الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بحسن السبك ، أو جودة الاختصار ، أو الايضاح ، أو زيادة المعنى ، وهو مقبول ومدوح كقوله :

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسُمر القنا والبيض عيناً وحاجباً
مع قول ابن نباتة ، وهو بعده :

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لها وقع السيوف حواجب
فقد زاد هذا معنى لم يطرقه الأول ، وهو إشارة الى انهزامهم .

(ب) أن يكون الثاني دون الأول في البلاغة ، وهذا خليق بالرد ، كقول أبي تمام :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

مع قول أبي الطيب ، وقد أخذ عنه ، وقصر عن الغاية التي وصل إليها سابقه :

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلاً (٢)

إذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه ، إذ المعنى على المضي لكن الوزن ألجأ الى ذلك .

(ج) أن يكون الثاني مثل الأول ، وحينئذ يكون بعيداً من الذم ، والفضل للسابق ، كقول أبي تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلاً (٣)
مع قول أبي الطيب :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلاً

(١) المعنى أن الزمان سخا به علي ، وكان بخيلاً به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدني بضمي اليه وهدأني له .

(٢) حار تحير في التوصل الى إهلاك النفوس ، ومرتاد المنية الاضافة فيه للبيان أي مرتاد هو المنية ، والمعنى : لو تحيرت المنية لم تجد لها طريقاً يوصلها لذلك إلا فراق الاحبة .

٣ - السُلخ والإلام ، وهو أخذ المعنى وحده ، وهو أيضاً ينقسم الى ثلاثة أقسام :

(أ) أن يكون الثاني ممتازاً بحسن سبكه ، وبلاغته ، ورسالته ، كقول البحري :

تصد حياء أن تراك بأوجه أتى الذنب عاصيها فلم يُطيعها
مع قول أبي الطيب ، وهو أحسن منه سبكاً :

وجُرْم جره سفهاء قوم وحل يغير جارمه العذاب
و كأنه اقتبس من قوله تعالى : ﴿ أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ (١) .
(ب) أن يكون الثاني دون الأول ، كقول بعض الأعراب :

وريجها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
مع قول بشار ، وقد أخذ منه وقصر عنه في المعنى ، حيث يقول :
وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل
(ج) أن يتساوى الأول والثاني ، كقول بعضهم يذكر ابناً له قد مات :
الصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم
مع قول أبي تمام بعده :

وقد كان يدعي لبس الصبر حازماً فأصبح يدعي حازماً حين يحزع
وهذه الأنواع الثلاثة من الأخذ الظاهر ، أما غير الظاهر فهو ذو 'شعب' كثيرة ، أهمها :

٤ - التشابه ، وهو أن يتشابه معنى الأول والثاني ، كقول الطرماح ابن حكيم الطائي :

لقد زاد حباً لنفسي أنفي بفيض الى كل امرئ غير طائل
مع قول المتنبي :

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٥ .

وإذا أنتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
فإن ذم الناقص أبا الطيب كقبض مَنْ هو غير طائل الطرماح ، وشهادة ذم
الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه .

وليس بضائر في التشابه اختلاف الغرضين كأن يكون أحدهما نسيباً والآخر
مدحاً أو هجاء أو افتخاراً ، فإن الحاذق مَنْ يتحيل في إخفاء مأخذه بتغيير
لفظه والمدول عن الوزن والقافية .

٥ - النقل ، وهو أن ينقل معنى الأول الى غير محله ، كقول البحتري :

'سلبوا فشرقت الدماء عليهم
محرة فكأنهم لم 'يسلبوا' (١)
نقله المتنبي الى السيف فقال :

يبس التجميع عليه وهو مجرد
عن غمده فكأنما هو مفمد (٢)

٦ - أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم
وجدتُ الناس كلهم غضابا
أخذه أبو نواس ، وعمم فيه ، فقال ، يستعطف الرشيد لما سجن
الفضل البرمكي :

وليس على الله يستنكر
أن يجمع العالم في واحد

٧ - القلب ، وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول ، كقول
أبي الشيبان :

أجد الملامة في هواك لذينة
حبا لذكرك فليأني اللوم
قلبه أبو الطيب فقال :

أحبه وأحب فيه ملامة
إن الملامة فيه من أعدائه (٣)

(١) يريد أنهم سلبوا ثيابهم فكانت الدماء الملبسة لاشراق الشمس بمنزلة الثياب لهم .

(٢) التجميع الدم المائل الى السواد ، يريد أن الدم اليابس صار بمنزلة الفمد له .

(٣) الاستفهام فيه للانكار ، وجملة وأحب فيه ملامة حالية ، والانكار راجع للتجمع بين
محبه ومهبة الملامة فيه .

فأبو الشيص يصرح بحب الملامة من حيث اشتغال اللوم على ذكر المحبوب ، وهذا محبوب له .

والمتنبى صرح بكراحتها لصدورها من أعدائه ، وكل ما يصدر من العدو فهو مبغوض ، فكل منها نحا منحى غير الآخر .

٨ - أن يؤخذ بعض المعنى ، ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار
مع قول أبي تمام :

لقد ظلت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل^(١)

فقد أفاد الأفواه بقوله : رأى عين قريبا ، لأنها اذا بعدت تحيلت ولم تر ، وهذا القرب إنما كان لتوقمها الفريسة ، وبقوله : ثقة أن ستمار ، تأكيداً بما هي طامحة إليه .

أما أبو تمام فلم يحم حول هذا ، ولكنه زاد عليه قوله : إلا أنها لم تقاتل ، وقوله : في الدماء نواهل ، ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، ومن أجل هذا حسن أن يقول : إلا أنها لم تقاتل ، وهذه الزيادة أكسبت كلامه حسناً وطلاوة ، وإن كان قد ترك بعض ما ألم به الأفوه .

(تنبيه) الأنواع التي ليس الأخذ فيها ظاهراً مقبولة كلها ، بل منها ما يدق فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حتى يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من حيز الأخذ والاتباع ، إلى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع .

أما ما يتصل بالسرققات الشعرية ، فهو : الاقتباس ، والتضمين ، والمقد ، والحل ، والتلميح :

١ - الاقتباس ، أن يضمن المتكلم منشوره شيئاً من القرآن ، أو الحديث ،

(١) إضافة عقبان إلى الأعلام من إضافة المشبه به للمشبه أي الأعلام التي هي كالعقبان في تلونها وفخامتها لأن الأعلام بمعنى الرايات فيها ألوان مختلفة كالعقبان ، وقوله بعقبان طير متعلق بظلال أي أنها لزممت فوق الأعلام فألقت ظلها عليها ، والنواهل من نهل اذا روى .

تفخيماً لشأنه وتزييناً لسبكه على وجه لا يشمر^(١) بأنه منه ، كقول
ابن نباتة الخطيب :

« فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، ما لكم لا تشفقون
فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون » .

وقول الحريري : أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليه .
وقول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوة^٢ قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمحل القلب والحشا سريرة^٣ حب (يوم قبلى السرائر)

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني :

لآل فريغون في المكرمات يد أولاً واعتذار أخيراً
إذا ما حلت بغمضهم ﴿ رأيت نعيماً ومُلْكاً كبيراً ﴾^(٤)

وقول الحريري : « وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة » .

فقوله : انتظار الفرج بالصبر عبادة ، لفظ الحديث .

وقول صاحب بن عباد :

قال لي إن رقيبي سيء الخلق فداره
قلت دعني « وجهك الجنة حفت بالمكاره »

اقتبسه من الحديث 'حفت الجنة بالمكاره' وحفت النار بالشهوات ،
والاقتباس ضربان :

(أ) ما لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي الى معنى آخر ، كما
تقدم من الأمثلة .

(ب) ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي ، كقول ابن الرومي :

(١) أما إذا قال في أثناء الكلام : قال الله تعالى كذا ، أو : قال النبي عليه السلام كذا ،
فلا يسمى اقتباساً .

(٢) سورة الانسان الآية ٢٠ .

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتَ في منعي

لقد أنزلت حاجاتي (بواد غير ذي ذرع)

فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنتُ من دُبري بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾^(١) ، فمناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات .

نقله ابن الرومي الى رجل لا خبر فيه ولا نفع ، ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خفت أن يكونا إنما إلى الله راجعون

(تقمة) الاقتباس على ثلاثة أقسام :

(أ) مستحسن ، وهو ما كان في الخطب والمواعظ .

(ب) مباح ، ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

(ج) مردود ، ما كان في الهزل ، كقول القائل :

أوحى الى عشاقه (هيات هيات لما توعدون)
وردفه ينطلق من خلفه (لمثل هذا فليعمل العاملون)

٢ - التضمن^(٢) ، وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعراً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وذوي اللسان ، كقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع :

على اني سأنشد عند بيعي (أضاعوني وأي فقى أضاعوا)
المصراع الأخير للعرجي ، وأصله :

أضاعوني وأي فقى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثفر^(٣)

أما تضمينه فلا تنبيه عليه لشهرته ، فكقوله :

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

(٢) تضمين البيت فما زاد استمانة وتضمن المصراع فما دونه يسمى رفواً وإبداعاً .

(٣) الكريمة : الحرب ، والسداد : سد الثفر بالحيل والرجال ، والثفر : الموضع الذي يخشى منه العدو ، والاستفهام أي أضاعوني وأنا أكمل الفتيان في وقت الحاجة لسداد الثفر .

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري المعجول ترفقن ما في وقوفك ساعة من بأس^(١)

المصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :

ما في وقوفك ساعة من بأس نقضي حقوق الأربع^١ الادراس
وأحسن التضمن أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية
والتشبيه في قوله :

إذا الهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدماها ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق^(٢)

المصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يحرون الرماح عند مطا الفرق
ويسابقون على الخيل ، أما الآخر فأراد بالعذيب تصغير عذب وعزبه شفة الحبيبة
وببارق ثغرها ، أي ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينها ريقها ، وهذه تورية بديعة
نادرة في بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح وتتابع دموعه يحريان
الخيل السوابق .

٣ - المقدم ، هو نظم المنشور لا على جهة الاقتباس^(٣) ، ومن شرطه أن يأخذ
المنشور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ،
فمقدم القرآن كقوله :

أنلني بالذي استقرضت خطا وأشهد معشراً قد شاهدوه
فإن الله خلاق البرايا عننت لجلال هيئته الوجوه
يقول : (إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)

وعقد الحديث كقوله :

(١) أطلعت : أبدت ، والشقيق : ورد أحمر .

(٢) اللي : سمة الشفتين ، ومجر : رؤوس الرماح .

(٣) فإن كان النثر قرآناً أو حديثاً وأريد نظمه فلا بد أن يغير فيه تغييراً كثيراً ، أو يشير
إلى أنه من القرآن أو الحديث .

إن القلوب لأجناد مجندة^١ بالأذن من ربه تهوى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر فهو مختلف
عقد لقوله عليه السلام : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف » .

٤ - الحل ، وهو نثر النظم ، وشرط قبوله أمران :

(أ) أن يكون سبكه جيداً لا ينقص عن سبك أصله .

(ب) أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق ولا ثاب ، كقول
بعضهم في وصف السيف : أوره عشق الرقاب ، نحو : فبكى والدمع
مطر ، تزيد به الحدود محولا ، حل قول أبي الطيب :

في الحد إن عزم الخليل رحيلاً مطر تزيد به الحدود محولا^(١)

وقول بعض المغاربة : فإنه قُبِحت فعلاته ، وحفظت نخلاته ، لم يزل سوء
الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده^(٢) ، حل قول أبي الطيب^(٣) :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

٥ - التلميح ، هو أن يشير الناثر أو الناظم في قرينة سجع ، أو بيت شعر ،
إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة ، أو بيت حفظ لتواتره ، أو مثل رائع ،
أو حكمة مستملحة .

وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود ، كقول بعضهم في مליح
اسمه بدر :

يا بدر أهلك جاروا وعلوك التجري وقبحوا لك وصلي
وحسنوا لك هجري فليفلوا ما أرادوا فإنهم أهل بدر

(١) الخليل من مخالطك وأراد به الحبيب ، وبحول الحدود ذهب نضارتها .

(٢) القملات الأفعال وحفظت نخلاته أي صارت كالخنظل والمراد بها نتائج أفكاره .

(٣) قاله يشكو سيف الدولة واسمعه لقول أعدائه .

إشارة الى قوله ~~يعجز~~ لعمر حينما سأل قتل حاطب^(١) بن أبي بلعنة ، وكان
من شهد بدرأ ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : « اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم » .

وقول الحريري : بت^٢ بليلة نابغة ، أو ما به الى قول النابغة :

فبت^٣ كاني ساورتني ضيلة من الرقش في أنيابها السم^٤ نافع
وقول آخر :

لعمرو من الرمضاء والنار تلنظي أرق وأحفى منك في ساحة الكروب
إشارة الى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٥)

وقد وقع هذا النوع كثيراً في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ كَمْثَلُ الْعَنْكَبُوتِ
انْخَضَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾^(٦) ، يشير إلى المثل :
أرق من نسج العنكبوت وأضعف من بيتها .

(١) لأنه أرسل خطاباً مع امرأة لأهل مكة سرّاً يخبرهم بنزول النبي عليه السلام وأصحابه
على قتلها ، ليكون له يد عندهم ، فعلم النبي ذلك بالوحي .
(٢) عمرو هو قاتل كليب ، وقد طلب منه ماء حين أجهز عليه وطلب لإغاثته فامتنع .
(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

خاتمة

ينبغي للتكلم أن يتألق في ثلاثة مواضع : الابتداء ، التخلّص ، الانتهاء .

١ - فالابتداء هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه حسن الوصف عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، فإذا اشتمل على إشارة الى المقصود سمي براعة استهلال .

قال ابن رشيق في «العمدة» : إن حسن الافتتاح ، داعية الانشراح ، ومطية للنجاح ، كما جاء في الخبر الشعر قفل أوله مفتاحه ، فعلى الشاعر أن يحوّث ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده ، وليتجنب (أ) وخليلي (وقد) فلا يستكثر منها في ابتدائه فإنها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء وليجعله حلواً سهلاً وفخماً جزلاً ، هـ .

ومن جيد الابتداءات قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)

فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقول النابغة الجعدي :

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أفاقيه بطيء الكواكب

وقد فضلوا بيت النابغة على البيت الأول ، لأن الشطر الثاني منه كثير الألفاظ قليل المعنى غريب اللفظ .

وقد كان أبو تمام في الموضع الذي لا يحارى في فخم ابتداءاته لما لها من الروعة والجلال ، كقوله يني المعتصم بفتح عمورية ، مع أن المنجمين كانوا قد زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

(١) السقط : منقطع الرمل حيث يدق ، واللوى رمل معوج ملتو ، والدخول وحومل : موضحان .

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب
ومن جيد الابتداءات المشتمة على براعة الاستهلال قول حافظ إبراهيم في تحية
عام هجري :

أطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

وقول أحمد شوقي في رثاء إسماعيل صبري :

أجل وإن طال الزمان موافي أخلى يدك من الخليل الوافي

وقوله أيضاً في فوز الأتراك على اليونان :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وربما خان الحظ بعض الشعراء المفلقين وأوقعهم نحس الطالع في مهواة سحيقة
لا قرار لها إما من غفلة أو غلطة في الطبع أو استغراق في الصنعة وشغل هاجس
بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب ، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين
دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من قوله :

ما بال عينك منها الماء مُنْسَكِب كأنه من كلي مقشورية سرب^(١)

وكان به رمش فهي تدمع أبداً ، فظن أنه عرض به ، فقال : بل عينك ،
وأمر بإخراجه .

وقيل إنه لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظماء دولته وجلس فيه
في يوم حفل أنشده إسحاق الموصلي :

يا دار غيرك البلى ومحالك يا ليت شعري ما الذي أهلك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

فعلى الخاذق الفطن أن ينظر في أحوال المخاطبين ويختار للأوقات ما يشاكلها
فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه .

٢ - التخلص - الخروج ، هو أن ينتقل الشاعر من فن إلى آخر باحسن
أسلوب مع لطف تخيل وحسن تخلص ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة

(١) الكلي جمع كلية (بضم الكاف) والمقشورية المعزوزة ، والسرب الجاري .

الالتئام ، كأنها أفرغا في قالب واحد ، وذلك يحرك من نشاط السامعين ويمين
على إصغائهم ، وأحسنه ما تهيأ للناظم في بيت واحد كقول مسلم بن الوليد يمدح
يحيى البرمكي :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر
سريتُ بها حق تجلت بفرّة كفرة يحيى حين يذكر جعفر^(١)

ويليه ما جاء في بيتين كقول المتنبي يمدح المغيث بن علي المجلي :

مرّت بنسا بين تريبها فقلت لها من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليت الشرى وهو من عجل إذا انتسب^(٢)
وأكثر الناس ولوعاً بهذا النوع أبو الطيب ، ولأجله يسقط سقوطاً قبيحاً ،
كقوله :

ها فانظري أو فظني بي ترى حرقاً من لم يذق طرفاً منها فقد وألا
على الأمير يرى ذلي فيشفع لي إلى التي تركتني في الهوى مثلاً^(٣)
فقد غنى أن يكون الأمير قواداً له .

والتأخرون كلهم على الجملة فلما يفوتهم سلوك هذه الطريق ، أما العرب فما
كانوا يذهبون هذا المذهب في الخروج من المديح ، بل يقولون عند فراغهم من
نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله : دع ذا ، وعد عن ذا ، ثم يأخذون فيما
يريدون ، ويسمى هذا اقتضاباً ، كقوله :

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا^(٤)

أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه ، وكثيراً ما كان البحري
يسلك هذه الطريقة كقوله :

(١) أجذك (بكسر الجيم وفتحها) لا يتكلم به إلا مضافاً ، والمعنى : أعيذك منك هذا ، فنصبه على
طرح الباء ، فإذا سبق بالواو فقل : وجدك ، فهو مفتوح الجيم ليس غير .
(٢) القرب والدة المساوي في السن ، والشادن : الطيبي إذا شدت قرنه وقوي ، واستضحكت :
ضحكت ، والشرى مأسدة مشهورة .
(٣) الحرق جمع حرقه ما يحده الانسان من لدغة حب أو حزن ، ووأل نجا .
(٤) الجسرة الطوية الضخمة من النوق ، والذمول التي تسير ذميلاً أي حثيثاً ، وصام النهار
قام قائم الظهيرة واعتدل .

لولا الرجاء لمت^١ من ألم النوى لكن قلبي بالرجاء موكل
إن الرعية لم تزل في سيرة عمرية منذ ساسها المتوكل

ومن الاقتضاب ما هو شبيه بالتخلص كما يقول القائل بعد حمد الله ، أما بعد
فكذا ، وكقوله تعالى : ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ (١) ، أي هذا
كما ذكر ، وقول المؤلف : هذا باب ، هذا فصل .

٣ - الانتهاء - الاختتام ، هو أن يختم المتكلم كلامه بأحسن الخواتم ، إذ هي
آخر ما يبقى منه في الأسماع ، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب المهد بها
فوجب أن تكون غاية في الجودة وألا يكون سبيل للزيادة عليها ، ولا لأن يؤتي
بمدها بأحسن منها في رشاقتها وحلاوتها وقوتها وجزالتها ، مع تضمنها معنى تاماً
يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية ، فإن دل على ما يشمر بالانتهاء سمي
براعة مقطع .

ولقد ختم الله تعالى كل سورة من سور القرآن الكريم بأحسن ختام ، وأتمها
بما يطابق مقصدها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد إلى غير ذلك
من الخواتم الرائعة .

وقد أجاد سلوك هذا الطريق المتأخرون ، كأبي نواس وأبي تمام والبحثري ،
ولاسيما المتنبي ، فإنه أتى فيه بالمعجب المعجاب ، فمن ذلك قول أبي نواس
في المأمون :

فبقيت للعلم الذي تهدي له وتقاعست عن يومك الأيام

فانظر كيف تضمنت هذه الخاتمة الدعاء بالبقاء مع المدح والإعظام ،
وقول أبي تمام :

فما من ندي إلا إليك محله ولا رفعة إلا إليك تسير
وقول ثالث :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاق لك الدنيا فراقا
وقول الأرجاني :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشعاً فإنك في هذا الزمان فريد

(١) سورة من الآية ٥٥ .

وقول ابن حجة في بديعته :

عليك سلام نشره كلها بدا به يتغالى الطيب والمسك يختم

تدريب أول

بين نوع المحسن اللفظي فيما يلي :

- ١ - حدى الآجال آجال والهوى للمرء قتال
- ٢ - وسعيته يحى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل
- ٣ - قد بلىنا في عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلماً عما
- ياكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حباً جماً
- ٤ - اللهم اعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً
- ٥ - أشكو وأشكر فمسه فأعجب لشاك منه شاكر
- ٦ - قابل بشكرك من قلت عطيته في الناس أو كثرت واستبق إيناسا
- ولا تم ساخط منهم على أحد (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)
- ٧ - يسار من سجيتهما النسايا وعنى من عطيتهما اليسار
- ٨ - فحوض عدلك عذب مفدق خصر وروض فضلك رعب موق خصر

الاجابة

- ١ - في هذا البيت جناس تام مماثل بين الآجال وآجال ، إذ الأولى جمع إجلى (بكسر الهمزة) وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أجل ، وهو أمد العمر .
- ٢ - فيه جناس تام مستوف بين يحى ويحيا .
- ٣ - فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وتاكلون التراث اكلا لما ﴾ وتحبون المال حباً جماً^(١) .
- ٤ - فيه سبع مرصع ، لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية .

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

- ٥ - فيه جناس ناقص لاختلافها في العدد .
- ٦ - فيه اقتباس من الحديث الشريف: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .
- ٧ - فيه رد المعجز على الصدر لوجود أحد اللفظين المتفقين لفظاً ومعنى في آخر البيت ، والآخِر في صدر المصراع الثاني .
- ٨ - فيه سجع مرصع لاتفاق كل لفظ من صدره مع نظيره من المعجز وزناً وروياً .

تدريب ثان

- ١ - كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي حق تعود لي الحياة وأنت هي
- ٢ - ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ ، وإنه لحب الخير لشديد ﴿ ^(١) ﴾
- ٣ - يمشى عن المجد الغبي ولن ترى في سؤدد أربا لغير أريب
- ٤ - سل سبيلا فيها الى راحة النفس س براح كأنها سلسيل
- ٥ - في الحديث : « اللهم إني أدرك بك في محورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .
- ٦ - لينهم سموه باسم سوى ذا إنما التسريع دين قوم
- ٧ - وما اشتار العسل ، من اختار الكسل
- ٨ - فلو كانت الأخلاق تحوي ورائه ولو كانت الآراء لا تقتضب
- لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
- ولكنها الأقدار كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرب

الاجابة

- ١ - فيه جناس تام ومفروق لتشابه الركنين لفظاً لا خطاً .
- ٢ - فيه جناس مضارع لاختلافها في نوع الحرف مع تقارب الخرج .
- ٣ - فيه ما يلحق بالجناس ، لأنه يجمع اللفظين ، وهما أرب وأريب الاشتقاق .

(١) سورة العاديات الآيتان ٧ و ٨ .

٤ - فيه رد المعجز على الصدر ، لأن أحد اللفظين المتجانسين في آخر المصراع الأول ، والآخر في صدره .

٥ - فيه سجع متواز ، لأن الفقرتين اتفقتا في الكلمتين الأخيرتين .

٦ - فيه تشريع لأن البيت مبني على قافيتين ، إذ يمكن أن يسقط منه شيء ، فيصير :

ليتهم سموه باسم
إنما التشريع دين
فينقلب من المديد الى الرمل .

٧ - فيه لزوم ما لا يلزم لأن قبل الفاصلة حركة وحرفاً ليسا لازمين .

٨ - فيه اقتباس من الحديث : « اعملوا كل ميسر لما خلق له » .

تقرين أول

١ - بقيت لنا تجود مدى الليالي فإنك ما بقيت لنا بقينا

٢ - سل طائراً صدع الفؤاد بسحرة أتراه غرد صادعاً أم صادحاً

٣ - واستجب في الهوى دعائي إني لم أك بالدعاء رب شقياً

٤ - حي عرباً بالخيف من حي ليلى وأقر عيني السلام هنداً وليلى

٥ - لا كان إنسان تيمم قاصداً صيداً لما فاصطاده إنسانها

٦ - رماني زمان فلم يرعوا لمالي النار وغالي المنال

٧ - وهن المعظم بالعباد فهب لي رب باللطف من لدنك وليا

٨ - ودارهم ما دمت في دارهم ، وحيهم ما دمت في حيهم

٩ - له مبسم كالبرق ضياء ولما ، وأعين يخيل لي من سحرهم أنها تسمى

١٠ - كنت أطمع في تجريبك ، ومطايا الجهل تجري بك

تمرين ثان

١ - دعت النوى بفراقهم فتشتتوا وقضى الزمان بينهم فتبددوا

وهو ذم الحالتين فإبه شيء سوى جود بن ارتقَ يحمّد

٢ - فلم تضع الأعادي قدر شاني ولا قالوا فلان قد رشاني

٣ - وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

٤ - قال الخطيب ابن نباته ، يذكر أهوال يوم القيامة :

« هنالك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع من له الثواب ،

وحق عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة

وظاهره من قبله المذابح . »

٥ - قال الشافعي رضي الله عنه :

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البريه

اتق المشبهات وازهد ودع ما ليس يمنيك واعلمن بنيه

٦ - قال ابن المعتز :

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا أنني مقم وقلبي راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال

٧ - قال المتنبي في مطلع قصيدة :

« أتراما لكثرة المشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي »

- ٨ - خليلي ما لي لا أرى غير شاعر
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة
- ٩ - وإني جدير إذ بلفتك بالذي
فإن تولني منك الجميل فأمله
- ١٠ - فهمت كتابك يا سيدي
فهمت ولا عجب إن أهيمما
- فكم منهم الدعوى ومني القصائد
ولكن سيف الدولة اليوم واحد
- وأنت بما أملت فيك جدير
وإلا فإني عاذر وشكور

فرائد من البلاغة

لقد رأينا القطع الآتية تشمل على فرائد من البلاغة ، فأحببنا وضمها لتكون
نماذج في التطبيق على الفنون الثلاثة :

قال عبد الله فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ينصح ابنه :

إذا نام غر في دجى الليل فاسهر	وقسم للمعالي والعوالي وشعر
وسارع الى ما رمت ما دمت قادراً	عليه وإن لم تبصر النجى فاصبر
وأكثر من الشورى فإنك إن تصب	تجد مادحاً أو تحظىء الرأي تمذر

وقالت عائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ :

بيد العفاف أصون عز حجابي	وبمصطفى أسمو على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة	نقادة قد كملت آدابي
ما ضرني أدبي وحسن تعلمي	إلا بكوني زهرة الألباب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ في وصف حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقته	ما بين مختلف منه ومتفق
والظل يسرق بين الدوح خطوطه	وللبياض ديب غير مسترق
وقد بدا الورد مفترأ مباسمه	والترجس الفض فيها شاخص الحدق
والسحب تبكي وثمر البرق مبتسم	والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب	والماء في هرب والنفس في قلق

وقال في الفخر والحامسة :

سل الرياح العوالي عن معاليها	واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
لقد سعيننا فلم تضعف عزائمنا	عما نروم ولا خابت مساعينا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة	يوماً وإن حكموا كانوا موازيننا
إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً	أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائمننا سود وقائعنا	خضر مرابعنا حمر مواضعنا

وقال محمد بن الطيب المغربي في وصف الربيع :

ورد الربيع فمرحباً بوروده	وبنور بهجتته ونور وزوده
وبحسن منظره وطيب نسيمه	وأنيق مبسمه ووشي بروده
والفصن قد كسى الفلائل بعد ما	أخذت يدا كلون في تجريده
والورد في أعلى القصور كأنه	ملك تحف به سراً جنوده

ومن لامية المعجم للطبراني المتوفى سنة ٥٦٥ هـ :

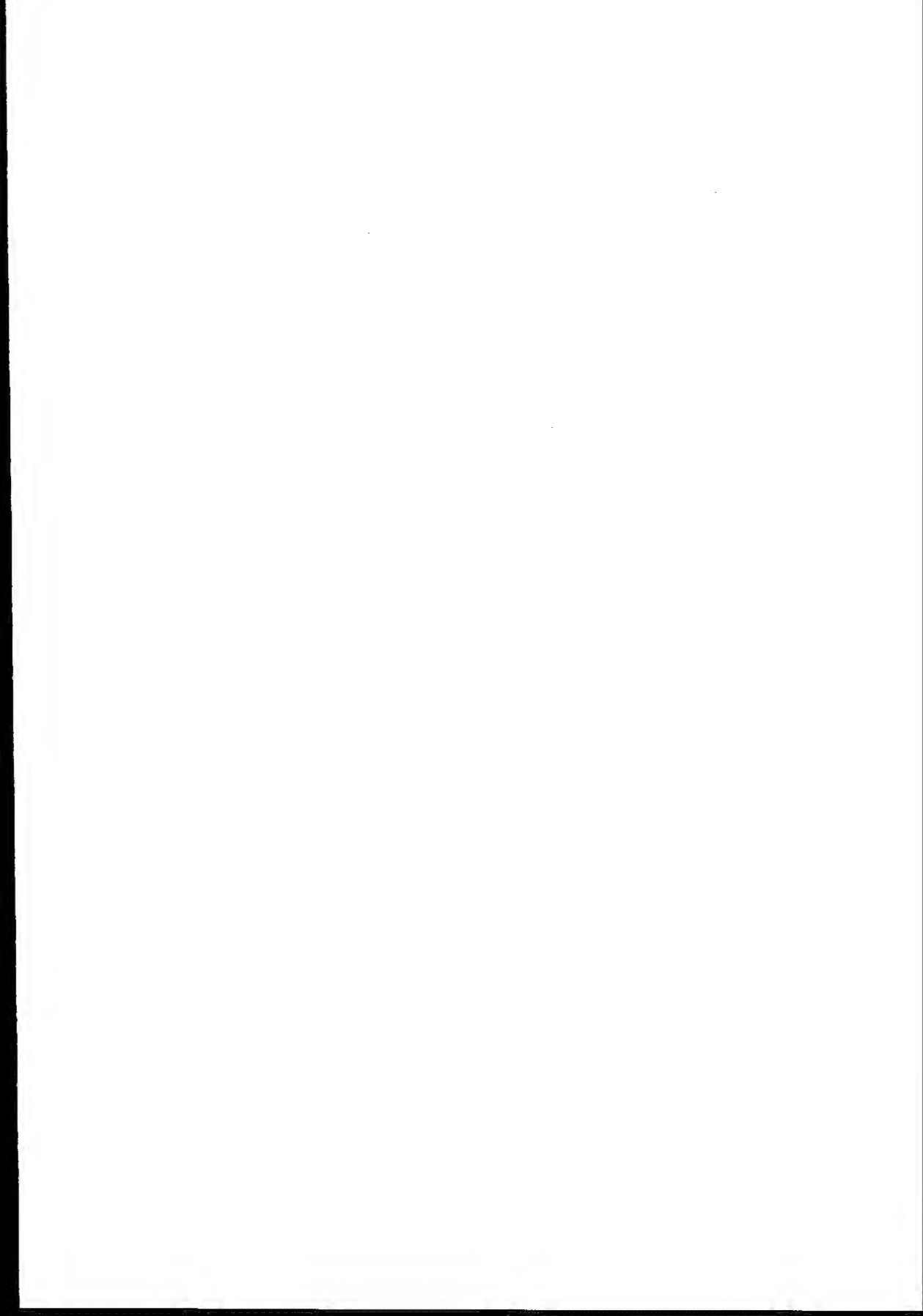
حب السلامة يثني عزم صاحبه	عن المعالي ويفري المرء بالكسل
فإن جنحت اليه فاتخذ نفقا	في الأرض أو سلكاً في الجو فاعتزل
أبى الله أن أسمعوا بغير فضائي	إذا ما سما بالمال غير مسود
وإن أكرمت قبلي أو اتل أسرتي	فلاني بحمد الله مبتدأ سؤدي
إذا شرفت نفس الفق زاد قدره	على كل أسنى منه ذكراً وأمجد

يقول مؤلفه ، عفا الله عنه :

« فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه ، بمـد وضعه وترتيبه ،
لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بمدينة
الخرطوم ، حاضرة الديار السودانية .
والحمد لله أولاً وآخراً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

(تم)



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
نبذة في تاريخ علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة	٥
المقدمة	
في حقيقة الفصاحة والبلاغة لفة واصطلاحاً	١٣
الفصاحة	١٥
فصاحة الكلام	٢٥
فصاحة المتكلم	٣٤
البلاغة	٣٥
بلاغة الكلام	٣٥
بلاغة المتكلم	٣٩
تداریب وتمازین	٤٠
علم المعاني	٤١
الباب الاول - الخبر	
المبحث الأول في تعريف الخبر	٤٣
المبحث الثاني في تألیف الجمل	٤٥
المبحث الثالث في الفرض من إلقاء الخبر	٤٦

٤٩	المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر
٥٥	المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية
٥٨	نماذج ومقارن
٦١	الباب الثاني - الانشاء
٦١	المبحث الاول في تعريف الانشاء
٦٢	» الثاني في التمني
٦٣	» الثالث في الاستفهام
٧٥	» الرابع في الأمر
٧٩	» الخامس في النهي
٨١	» السادس في النداء
٨٥	الباب الثالث - الذكر
٨٧	نماذج ومقارن
٨٩	الباب الرابع - الحذف
٨٩	المبحث الاول في مزايا الحذف وشروطه
٩٠	» الثاني في حذف المسند اليه
٩٢	» الثالث في حذف المسند
٩٣	» الرابع في حذف المفعول
١٠٠	الباب الخامس - التقديم
١٠٠	المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه
١٠١	» الثاني في تقديم المسند اليه
١٠٥	» الثالث في تقديم المسند
١٠٦	» الرابع في تقديم متعلقات الفعل

١١٢	الباب السادس - التعريف
١١٢	المبحث الأول في الفرق بين النكرة والمعرفة والداعي الى التعريف
١١٢	» الثاني في تعريف المسند اليه بالاضمار
١١٤	» الثالث في تعريف المسند اليه بالعملية
١١٥	» الرابع في تعريف المسند اليه باسم الاشارة
١١٦	» الخامس في تعريف المسند اليه بالوصولية
١١٦	» السادس في تعريف المسند اليه باللام
١٢٠	» السابع في تعريف المسند اليه بالاضافة
١٢٢	» الثامن في تعريف المسند
١٢٣	تدريب وتمارين
١٢٦	الباب السابع - التنكير
١٢٨	نماذج وتمارين
١٣٠	الباب الثامن - التقييد
١٣٠	المبحث الاول في فوائد التقييد
١٣٠	» الثاني في التقييد بالمفاعيل ونحوها
١٣٠	» الثالث في التقييد بالتوابع
١٣٣	» الرابع في التقييد بضمير الفصل
١٣٤	» الخامس في التقييد بالشرط
١٤٠	الباب التاسع - الخروج عن مقتضى الظاهر
١٤٨	تدريب وتمارين

١٥٠	الباب العاشر - القصر
١٥٠	المبحث الاول في تعريف القصر لغة واصطلاحاً
١٥٠	» الثاني في طريقه
١٥٥	» الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة
١٥٦	» الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور
١٥٦	» الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب
١٥٧	» السادس في تقسيم مواقع القصر
١٥٨	تدريبات وتمارين

١٦٢	الباب الحادي عشر - الفصل والوصل
١٦٢	تمهيد في دقة مسلكه وعظيم خطره
١٦٣	المبحث الاول في وصل المفردات وفصلها
١٦٣	» الثاني في وصل الجمل
١٦٥	» الثالث في الجامع
١٦٧	» الرابع في محسنات الوصل
١٦٧	» الخامس في الفصل
١٧٢	تممة
١٧٨	تدريبات وتمارين

١٨٢	الباب الثاني عشر - الایجاز والاطناب والمساواة
١٨٢	المبحث الاول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها
١٨٢	» الثاني في الایجاز
١٩٠	» الثالث في المساواة

١٩١	المبحث الرابع في الاطناب
١٩١	المبحث الخامس الايجاز أفضل أم الاطناب
٢٠٠	أسرار البلاغة في الايجاز والاطناب
٢٠٢	تقارن ونماذج عامة على المعاني
٢٠٧	علم البيان
٢٠٩	الدلالة
٢١١	أبواب الفن
٢١٣	الباب الأول - التشبيه
٢١٣	المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته
٢١٤	» الثاني في الطرفين
٢١٩	» الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوف ومفروق
	» الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية
٢١٩	وتشبيه جمع
٢٢٠	» الخامس في وجه الشبه
٢٢٥	» السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى تثليل وغيره
٢٢٨	» السابع في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى مجمل ومفصل
	» الثامن في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى قريب مبتذل
٢٢٩	وبعيد غريب
٢٣٢	» التاسع في الكلام على أدوات التشبيه
٢٣٣	» العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة
٢٣٤	» الحادي عشر في الغرض من التشبيه
٢٣٨	» الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الغرض
٢٤٢	تدريب وتقارن

٢٤٦	الباب الثاني - الحقيقة والمجاز
٢٤٦	المبحث الأول في أقسام الحقيقة
٢٤٦	» الثاني في تعريف الحقيقة
٢٤٨	» الثالث في المجاز وأقسامه
٢٤٩	» الرابع في المجاز المرسل
٢٥٩	» الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة
٢٦٣	» السادس في الاستعارة أمجاز لغوي هي أم مجاز عقلي
٢٦٥	» السابع في قرينة الاستعارة
٢٦٦	» الثامن في انقسام الاستعارة الى عنادية ووفاقية
٢٦٧	» التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج
٢٦٧	» العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامة وخاصة
٢٦٩	» الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع
٢٧٠	» الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكتنية
٢٧٢	» الثالث عشر مذهب السكاكي والخطيب القزويني في المكتنية
	» الرابع عشر في تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكي الى تحقيقية وتخيلية ومحملة لهما
٢٧٣	
٢٧٤	» الخامس عشر في انقسامها الى أصلية وتبعية
٢٧٧	» السادس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة
٢٧٩	» السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها
٢٨٦	» الثامن عشر في المجاز المركب
٢٨٩	» التاسع عشر في المجاز بالحذف أو الزيادة
٢٩١	» العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي
٢٩٦	تتمة وفيها مهان
٢٩٨	تدارين وتمازين

٣٠١	الباب الثالث - الكناية
٣٠١	المبحث الأول في تعريفها
٣٠٢	د الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه
٣٠٥	د الثالث في أقسامها من حيث الوسائط
٣٠٦	د الرابع في حسن الكناية وقبحها
٣٠٧	خاتمة
٣١٠	نماذج وتمارين
٣١٤	مزايَا دراسة البيان في سوغ مختلف الأساليب
٣١٨	علم البديع
٣١٩	أقسام المحسنات - المحسنات اللغوية
٣٢٢	المقابلة
٣٢٣	مراعاة النظر - التناسب - الائتلاف
٣٢٣	تشابه الأطراف
٣٢٤	الارصاد - التسميم
٣٢٤	المشاكاة
٣٢٥	المزاوجة
٣٢٦	المعكس - التبديل
٣٢٧	الرجوع
٣٢٧	التورية - الأيهام - التخيير
٣٢٩	الاستخدام
٣٣٠	اللف والنشر

الصفحة

الموضوع

٣٣١	الجمع - التفريق
٣٣٢	التقسيم
٣٣٤	الجمع مع التفريق - الجمع مع التقسيم
٣٣٤	الجمع مع التفريق والتقسيم
٣٣٤	التجريد
٣٣٦	المبالغة - آراء العلماء فيها - أقسامها
٣٣٩	المذهب الكلامي
٣٤٠	حسن التعليل
٣٤١	التفريع
٣٤٢	تأكيد المدح بما يشبه الذم
٣٤٣	تأكيد الذم بما يشبه المدح
٣٤٤	الاستنباع - الادماج
٣٤٥	التوجيه - الايهام
٣٤٦	الهزل الذي يراد به الجد
٣٤٦	تجاهل المعارف
٣٤٧	القول بالموجب
٣٤٨	الاطراد
٣٤٨	تداريب وقارين

المحسنات اللفظية

٣٥٤	الجناس - التجنيس - أقسامه - فائده
٣٥٨	رد المعجز على الصدر - التصدير
٣٦٠	السجع - شروط حسنه - حكمه - أقسامه
٣٦٤	الموازنة
٣٦٤	القلب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٦٥	التشريع
٣٦٦	تتمة
٣٦٧	المسقات الشعرية وما يتصل بها
٣٧٨	خاتمة
٣٨٢	تدأرب وتمامين
٣٨٧	فرائد من البلاغة
٣٩١	الفهرس

